الحركة ودروبها في شعر ما قبل الإسلام

إعـــداد

ختام محمد حسن الطنطاوي

عميد كلية الدراسات العليا

إشـراف

الأستاذ الدكتور هاشم ياغي

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة

كلّيّة الدّراسات العليـا

الجامعة الأردنية

تمـوز ١٩٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٩٨/٧/٢٨ وأجيزت

التوقيع

١ - الأستاذ الدكتور ابراهيم السعافين رئيساً

٢ - الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن عضواً

٣ - الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي عضواً

٤ - الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــــداء

إلى أُمي.. الشمعة التي أنارت لي الدرب..

إلى أبي.. الذي علّمني الصبر والثبات..

إلى رفيق دربي وشريكي في هذا الخِضَمِّ الصعب..

إلى من علّموني البذل والعطاء... إخوتي وأخواتي وولدي سري

إليهم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكـــــر وتقـديـــر

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور هاشم ياغي الذي تعهدني برعايته وتشجيعه، وأفاض عليّ من علمه وتوجيهاته، وكذلك يعجز لساني عن شكر الأستاذ الدكتور ابراهيم السعافين الذي تكرّم برئاسة لجنة المناقشة نيابة عن الأستاذ الدكتور هاشم ياغي وأمدني بالتشجيع والعون.

وأخص بالشكر الأساتذة الفاضلين: الدكتور نصرت عبد الرحمن، والدكتور محمد بركات أبو علي، والدكتور عفيف عبد الرحمن الذين تكرّموا بقراءة الرسالة والمناقشة فيها.

وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسدى إليّ العون أثناء قيامي بإعداد هذا البحث وأخص الأخت إنعام فجزاها الله كل الخير. وأسأل الله أن يمدّهم بتمام الصحة والعافية ليستمر عطاؤهم في البناء والجهد المثمر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	جـ
الشكر والتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ز
المقدّمة	١
تمهيد: مفهوم الحركة في الشعر الجاهلي	٥
الفصل الأول: أنواع الحركة في الشعر الجاهلي	١٢
- الحركة وراء الكلأ والماء	١٣
- الحركة القتالية	١٧
- الحركة لتأمين السلاح	٢٣
- الحركة للأخذ بالثأر	٢٩
- الحركة وراء السّلم	٣٥
- الحركة السياسيّة	٣٩
- الحركة وراء الحريّة والخلاص من الرّق	٤٦
- حركة الزمن وأثرها في الشعر الجاهلي	٤٩
- الحركة وراء اللّهو والمتعة	٥٦
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية على الحركة في الشعر الجاهلي في مجموعة من القصائد	٦٠
- الحركة في معلقة امرىء القيس	٦١
- الحركة في معلقة طرفة بن العبد	٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الحركة في معلقة زهير بن أبي سلمى ـــــــ ٧٧
- الحركة في معلقة لبيد بن أبي ربيعة ـــــــ ٨٣
- الحركة في معلقة النابغة الذبياني ـــــــ ٩١
- الحركة في معلقة عمرو بن كلثوم ـــــــ ٩٧
- الحركة في معلقة عنترة ـــــــ ١٠٥
- الحركة في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري ـــــــ ١١١
- الحركة في قصيدة الأعشى ـــــــ ١١٧
- الحركة في قصيدة عبيد بن الأبرص ـــــــ ١٢٤
- الحركة في قصيدة أوس بن حجر ـــــــ ١٣١
- الحركة في قصيدة طفيل الغنوي ـــــــ ١٣٥
- الحركة في قصيدة زهير بن أبي سلمى ـــــــ ١٤٠

الفصل الثالث: وقفة متأنية عند شاعرين في قصيدة ١٤٦
واحدة لكل منهما: ـــــــ ١٤٧
- الشاعر علقمة الفحل ـــــــ ١٥٧
- الشاعر المثقّب العبدي ـــــــ ١٦٢
الخاتمة ـــــــ ١٦٦
ثبت المصادر والمراجع ـــــــ ١٧٣
الملخص باللغة الانجليزية ـــــــ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخّـــص

الحركة ومساربها في الشعر الجاهلي

ختام محمد حسن الطنطاوي

إشـــراف

هاشم ياغي

حاولت هذه الدراسة أن تتبّع الحركة ومساربها في الشعر الجاهلي، التي ولّدها النظام الاقتصادي السائد آنذاك والقائم على نتاج التفاعل بين المناخ والأرض أي على الكلأ، معتمدة في ذلك على مَنهج واقعي علمي يردّ نشاط الإنسان ومنه الأدب إلى تركيبة المجتمع التي خلفها نظامه الاقتصادي السائد.

بيّنت هذه الدراسة أثر الحركة التي كانت مفروضة على الإنسان الجاهلي في شعره، وبيّنت أنواع الحركة المتفرعة عن الحركة الرئيسة، ووضحت من خلال الدراسة التطبيقية أثر هذه الحركة في بناء القصيدة الجاهلية وفي موضوعاتها، كالطلل، والمرأة والظعن ورحلة الشاعر، وحديث الخمر والكرم والحرب وغيرها من الموضوعات.

جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول سبقها تمهيد وضّح مفهوم الحركة وأثر العامل الاقتصادي والظروف البيئية والجغرافية في تشكيلها. وقد شكّل هذا المفهوم الأساس الذي قامت عليه هذه الدراسة.

قدم الفصل الأول صورة عن الحركة في حياة الإنسان الجاهلي، وأنواع الحركة التي تفرّعت من الحركة الرئيسة، وأثر هذه الأنواع في الشعر الجاهلي وقدم الفصل الثاني دراسة تطبيقية تم فيها استقصاء الحركة وأنواعها في طائفة من القصائد الجاهلية تمثل عيون الشعر الجاهلي.

وأما الفصل الثالث، فكان عبارة عن وقفة متأنية عند شاعرين هما: المثقب العبدي في نونيته المشهورة، وعلقمة الفحل في بائيته المشهورة، حيث تم تحليل هاتين القصيدتين تحليلاً متكاملاً وتسليط الضوء على الحركة فيهما، وأثر هذه الحركة في إبراز العناصر الجمالية فيهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــة

ترددتُ كثيراً قبل أن أقبل اقتراح أستاذي الدكتور هاشم ياغي، القيام بهذا البحث، وكان مردّ هذا التردد عوامل عدة، أبرزها أن موضوع البحث ممتد وواسع يعنى بالشعر الجاهلي بأكمله. والنظر في هذا الشعر يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين يفوق ما هو متاح للبحث باعتباره أطروحة مقدمة لنيل شهادة جامعية، كما أن (الحركة) كلمة فضفاضة غامضة تحتمل معاني وجوانب كثيرة للنظر فيها. وبالرغم من ذلك، وبعد حوارات طويلة مع أستاذي قررتُ قبول هذا البحث، إذ استهواني الموضوع كثيراً، ووجدتُ فيه فرصة للاقتراب من الشعر الجاهلي، ودخول عالمه الفسيح الغني.

أما عنوان البحث: (الحركة ومساربها في الشعر الجاهلي) فهو عنوان واسع وغامض. لم أذكره لأحد إلاّ واستوقفني متسائلاً مستنكراً: ماذا تعني بالحركة، ولعله من الضروري تحديد مفهوم الحركة. فالحركة التي عمدتُ إلى استقصائها وإظهارها في الشعر الجاهلي هي الحركة المكانية بصورتها العامة، فقد كان الإنسان الجاهلي في حركة دائمة مستمرة، فرضها عليه نظامه الاقتصادي الذي كان يعتمد على (نتاج التفاعل بين المناخ الجغرافي والأرض، أي على الكلأ)، ولما كان نتاج التفاعل بين المناخ والأرض يمتاز بالندرة والتذبذب الشديدين، كان لزاماً على الإنسان الجاهلي أن يتحرك باستمرار تتبعاً لمساقط الأمطار ومنابت الكلأ، فما أن يستقر في مكان خصيب حتى يجف فيضطر إلى معاودة الحركة من جديد، وهكذا دواليك، فالحركة كانت عماد حياته، وأساسها، عليها تتوقف حياته وحياة ماشيته.

وهذه الحركة تسرّبت إلى حياة الإنسان الجاهلي في الحرب والسلم، في الجد واللهو، في عاداته وتقاليده وفي ثقافته وأثرّت أيضاً في رؤيته للعالم والكون من حوله وما فيهما من موجودات، وأثرت في تشكيل فلسفته في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة والموت.

فمشكلة هذه الدراسة، إذن، تقوم على تتبّع هذه الحركة في شعر الإنسان الجاهلي، وإماطة اللّثام عن طريقة تعبيره عن تلك الحركة، وعن الآثار التي خلّفتها هذه الحركة في القصيدة، كالطلل وما فيه من اثار كالنؤى والثمام والأثافي وغيرها، والظعن، وحديث المرأة ورحلة الناقة، وغيرها من موضوعات القصيدة الجاهلية بصورة عامة. فالدراسة إذن تحرص على تتبّع مسارب هذه الحركة في حياة الإنسان الجاهلي وانعكاساتها في فنه الشعري. ولهذا جاءت الدراسة في ثلاثة فصول وتمهيد. وفي التمهيد سلطتُ الضوء على مفهوم الحركة التي عني البحث باستقصائها وتتبع آثارها في الشعر الجاهلي، موضحةً أثر النظام الاقتصادي السائد آنذاك في خلق هذه الحركة واستمرارها، وبينت أن النمط الرعوي لم يكن هو النمط الاقتصادي الوحيد السائد في بلاد العرب، بل كان هناك أنماط اقتصادية أخرى، كالصناعة والزراعة والتجارة والصيد. لكن هذه الأنماط لم تكن تمُارس بكثرة، ولم تكن قوية ومتطوّرة وواسعة، بصورة تؤدي إلى تغيير في تركيبة المجتمع وثقافته وعاداته وفلسفته، كما أن هذه الأنماط كانت تعاني من مشاكل تتهددها، ناهيك عن أنفة العرب من هذه الأعمال وافتخارهم بالحياة البدوية القائمة على التنقل والرعي.

كما أن التجارة عمادها الحركة لتبادل البضائع سواء شراء أو بيع. وعليه فإن النمط الرعوي هو الغالب والسائد بصورة عامة لديهم. وهذا النمط هو الذي صبغ حياتهم بالحركة والانتقال الدائمين.

وفي الفصل الأول بينتُ مسارب وأنواع الحركة التي كانت في حياة الإنسان الجاهلي الواقعية، والتي انعكست على شعره وظهرت فيه. وأما أنواع الحركة التي تفرّعت عن الحركة الرئيسة فقد حصرت أبرزها في الأنواع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التالية:

حركة وراء الكلأ والماء، وحركة قتالية وحركة لتأمين السلاح، وحركة وراء السَلم، وحركة للأخذ بالثأر، وحركة سياسية، وحركة وراء الحريّة والخلاص من الرّق، وحركة نحو اللهو والمتعة واللذة، وحركة الزمن. وقد قمتُ بتوضيح هذه الأنواع والمقصود فيها، وبينّت أثر النظام الاقتصادي الرعوي السائد وأثر البيئة الجغرافية والمُناخيّة القاسية في توليد هذه الأنواع من الحركة، واستشهدت على وجود هذه الأنواع بأبياتٍ ومقطوعاتٍ شعرية استقيتها من دواوين الشعراء ومن المجموعات الشعرية بصورةٍ عامة.

والفصل الثاني كان عبارة عن دراسة تطبيقية، سلّطتُ فيها الضوء على الحركة وأنواعها في قصائد شعرية متكاملة، وقد حرصتُ في هذا الفصل على الوقوف عند قصائد تمثل عيون الشعر الجاهلي كالقصائد العشر إضافة إلى لامية زهير في مدح الحصن بن حذيفة، وبائية طفيل الغنوي، ولامية أوس بن حجر التي يتحدث فيها عن القوس وصنعها. وقد تم اختيار هذه القصائد الثلاث لأنها خير شاهد على أنواع معينة من الحركة.

والفصل الثالث كان عبارة عن وقفة متأنية عند شاعرين هما: المثقّب العبدي وعلقمة الفحل في قصيدة واحدة لكلٍ منهما. حيث قدمت دراسة متكاملة لكل من القصيدتين المختارتين، وأبرزت الحركة الواردة فيهما.

واختتمت الدراسة بخاتمة وقفتُ فيها على أهم النتائج التي خرجت فيها هذه الدراسة، وأرفقت مع الرسالة ملحقاً أثبتُ فيه نصوص القصائد التي قمت بتحليلها وتتبّع الحركة فيها.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على منهج واقعي علمي، يرد نشاط الإنسان إلى تركيبة المجتمع التي خلّفها النظام الاقتصادي السائد آنذاك. وقد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أفدت في تطبيق هذا المنهج من أستاذي الدكتور هاشم ياغي بقدر ما أسعفني الفهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنني حين اعتمدت هذا المنهج في دراستي لم أنطلق من باب التعصب لهذا المنهج أو غيره، بل أنني أقرّ بأن هذا المنهج كغيره من المناهج النقدية التي تنظر في النص الأدبي من زاويتها الخاصة وهي لا تخلو من جوانب القصور. ولكن تبقى لكل منهج زاويته الخاصة التي ينظر من خلالها إلى النصوص الأدبية وطريقته، في كشف الجوانب الجمالية فيها وقد اطلعتُ على الكثير من هذه المناهج، وقرأت تحليلاتها للنصوص الشعرية، وقد أعجبتُ بالكثير منها فتنوع المناهج النقدية يثري الدراسات الأدبية ويغنيها.

وفي سبيل تكوين صورة عامة عن الشعر الجاهلي، رجعتٍ الى معظم دواوين الشعراء الجاهليين، وأشعارهم المجموعة، ورجعت الى المجموعات الشعريّة التي تضمنت قدراً كبيراً من الشعر الجاهلي، ومن أهمها المفضّليات، والأصمعيات، وجمهرة أشعار العرب واستعنتُ بعددٍ من المراجع التي عنيت بالشعر الجاهلي من زوايا مختلفة، منها الرحلة في القصيدة الجاهلية للدكتور وهب روميّة، وعناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي للدكتور سعيد الأيوبي، ومعايير من معاناة وجمال في طائفة من القصائد الجاهلية والمخضرمة للدكتور هاشم ياغي.

وكان لا بد في نهاية البحث من خاتمة تبيّن خلاصة ما جاء فيه، وهذه الخاتمة مناسبة مهمّة استغلتها الطالبة للملمة ما تناثر من أجزاء البحث، محاولةً تقديم صورة عامة لما تم انجازه.

آمل أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن أكون قد وصلت الى الغرض العلمي الموضوعي، فإن أصبت فهذا غاية ما أرجو، وإن جانبني الصواب فعذري أنني بذلت جهدي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــد

مفهوم الحركة في الشعر الجاهلي

يتفق معظمنا على وجود علاقة وثيقة بين الآداب والفنون والظروف الاجتماعية للحقبة التاريخية التي أنتجتها. وغنيّ عن البيان القول بوجود خلافات ومنازعات حول المقولة السابقة، حفلت بها كتب الأدب والنقد وأوراق الصحف والمجلات، لا تتسع هذه العجالة لذكرها.

وعلى أية حال تبقى العلاقة بين الأدب والفن والظروف الاجتماعية قائمة لا يستطيع أن يجحدها أحد.

فالأدب والفن في أيّ مجتمع وفي أيّ فترة تاريخية ثمرة من نشاط المجتمع وما فيه من عادات وتقاليد وثقافة وأفكار ومعتقدات ولدّها النظام الاقتصادي السائد آنذاك.

إلاّ أن هذه الثمرة من ثمرات الوجود الاجتماعي الذي ظهرت في رحابه ونمت بين أحضانه تؤثر في هذا الوجود وتتأثر به. ومن هنا لا نستطيع أن ندرسَ الشعر الجاهلي بمعزل عن الظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخيّة المحيطة به وهي نتاج نظامه الاقتصادي الرعوي الذي يعتمد - في أغلبه - على نتاج التفاعل بين المناخ الجغرافي والأرض أي على الكلأ[١].

فالكلأ هو عصب الحياة بالنسبة للإنسان الجاهلي، والكلأ في تلك البيئة يتسم بالندرة والتذبذب الشديدين، فهو يعتمد على مياه الأمطار، التي قسمت تلك البيئة إلى منطقة رعويّة، وأخرى زراعيّة، وثالثة - وهي القسم الأكبر - أرض بور جافة لا حياة فيها ولا نبات. والقسم الأكبر من شبه

---

(١) هاشم ياغي، معاناة ومعايير من جمال في طائفة من القصائد الجاهلية والمخضرمة، ط ١، دار الفجر، ١٩٩٠، ص ٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجزيرة العربية يقع في منطقة الرّهو المداريّة ذات الضغط العالي والمطر القليل، كما يقع جزء منها في منطقة الأمْطار الغزيرة[١]. ولذا كان الجدب والحرّ من أشدّ العوامل المؤثرة في حياة السكان، فأصبح الماء في الحسّ اللغويّ العربيّ يعني الغيث، والحياة، والرحمة، والطهر والنقاء، والبركة والشفاء. وهو أيضاً ماء الشباب، وماء الجمال[٢]. في ذلك قال أحد شعرائهم[٣]:

وما العَيْشُ إلاّ نَـوْمَةٌ وتشـرُّفٌ وتَمْـرٌ كَأَكْبَـاد الحِرَار ومَـاءُ

وقال عبيد بن الأبرص[٤]:

فَذَلِكَ المَاءُ لو أنّـي شربـتُ به إذا شَفَـى كَبِداً شكّاءَ مَكْـلُومة

والماء يعني السعادة والكرامة والعزة والشرف، كما عبّر عمرو بن كلثوم[٥]:

وإنّا الشّاربون المـاء صَفْـواً ويَشْربُ غَيرُنَا كَـدَراً وطينـا

وقد صوّر القرآن الكريم فرحتهم واستبشارهم بالمطر، فقال جل وعلا: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كِسَفاً فترى الوَدْق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾[٦].

---

(١) عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، سعيد الأيوبي، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٦، ص ٢٢.

(٢) الدكتور أنور أبو سويلم: المطر في الشعر الجاهلي، ط ١، دار عمار، عمان، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٢، ٣٣.

(٣) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان الحماسة، تعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، القاهرة، ١٩٥٥، جـ٢، ص ٤٠٤.

(٤) عبيد بن الأبرص، الديوان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٤، ص ١٣٥.

(٥) الخطيب التبريزي، يحيى بن علي ٤٢١ - ٥٠٢هـ)، شرح القصائد العشر، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٦٧هـ ص ٣٥٩.

(٦) سورة الروم، آية: ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا نفهم ما كان يصيب الإنسان الجاهلي من ألم ومعاناة إذا أمسكت السماء، فذلك يعرّضه وماشيته إلى الموت جُوعاً وعطشاً. فأمطار الجزيرة غير المنتظمة لا يعوّض عنها أنهار تجري وعيون تسحّ دون انقطاع، بل إن كلّ موارد الصحراء، من آبار وغدران وإحساء، تغذيها الأمطار، لا تلبث بعدها أن تجف، رويداً رويداً، في حرارة الشمس القوية[١].

والجفاف السريع مسؤول عن صبغ حياة الإنسان الجاهلي بالحركة الدائمة، ففرض عليه التشرد والبحث الدائمين عن الماء. فقد قالوا قديماً: «من أجدب جنابه انتجع». وعليه، أصبحت الحركة قطب الرّحى في حياة الإنسان الجاهلي وعصب معيشته، فعليها يتوقف وجوده واستمراريته، مما دفعه إلى تحمل ألوان المشاق، وهو يجتاز بإبله الصحراء الجرداء، والقفار المهلكة، وكثيراً ما كانت القبيلة تشقى وتعاني حتى تصل إلى مورد ماء، فتجده قد جفّ أو أسن، أو تُفاجأ بقبيلة أخرى سبقتها إليه، فتضع نصب أعينها الموت أو الاستيلاء عليه. فتقوم حروب وتسفك دماء، والغلبة في الصراع للأقوى. (فالبقاء للأصلح) هو قانون الحياة الذي فرضته بيئتهم القاسية والشحيحة الموارد عليهم.

وحركة الإنسان الجاهلي الدائبة في الصحراء، أكسبته معرفةً بالطرق التي تمرُّ بموارد المياه، فكانت من ألوان الجغرافية التي عرفها أهل الصحراء، ومن الأرض إلى السماء، فقد عُني البدوي بدراسة أنواع الغيوم من لونها إلى شكلها وكثافتها والرّياح واتجاهاتها، وكل ذلك لاستكناه ما يمكن للسماء أن تجود به على الأرض العطشى دائماً لعطائها[١]، وقد ظهر أثر ذلك في أشعارهم.

---

(١) سعيد الحفناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص ٤٢١.

(٢) سعيد الحفناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، ص ١٤١ – ١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد عبّر الشعراء عن ترقّبهم للمطر وانتظارهم المؤلم له. فقال أبو ذؤيب الهذلي[١]:

أمنك بَرْقٌ أبيتُ اللّيْلَ أرقُبُهُ ... كأنَّه في عراض الشّأم مِصْباح

وقال أيضاً[٢]:

أرقتُ له ذات العشاء كأنّه ... مخاريقُ يُدْعَى تَحْتَهنَّ خَريجُ

ونتيجةً لاعتمادهم على الرّعي، ظهر لديهم نظام الحمى وأصبح أفراد كل قبيلة ينتقلون انتقالاً دائماً في أرجاء هذا الحمى وراء الكلأ والغيث وحركة أبناء القبيلة المستمرة وراء الغيث والكلأ، أدت إلى تداخل منازل القبيلة، واختفاء حدودها أحياناً، وأصبح تحديد هذه المنازل أمراً دقيقاً يكاد يصل درجة العسر والاستحالة لانطماس معالمها واختفاء أثرها.

وقد كانت القبيلة تحافظ على حماها، وتمنع أيّ فرد من خارجها الرعي فيه بقوة السلاح إن لزم الأمر. ولذا افتخر الشعراء بحمايتهم حمى قبيلتهم من الاعتداء. كما قال عامر بن الطفيل[٣]:

ولَكِنَّني أحْمي حِمَاها وأتّقي ... أذاها وأرْمي مَنْ رَمَاها بمَنْكِبِ

وقال سحيم بن وثيل[٤]:

وذادوا يوم طِخْفَةَ عن حِماهُمْ ... ذياد غرائب الإبل النِّهَالِ

ونحن إذ نصرّح بأن النتاج الاقتصادي للإنسان الجاهلي يعتمد على

---

(١) الهذليون، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة، ١٩٦٥، ج ١، ص ١٦٧.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٨.

(٣) عامر بن الطفيل، الديوان (... – في عصر الرسول) الديوان بشرح الأنباري، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣، ص ١٣.

(٤) د. عبد الحميد المعيني (محقق) شعر بني تميم في العصر الجاهلي نادي القصيم الأدبي، أبها، ١٩٨٢، ص ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرعي، لا ننس ولا نتجاهل ألوان النشاط الاقتصادي الأخرى، كالصيد والزراعة والتجارة والصناعة.

فتنوّع البيئات الجغرافية والظروف المناخية في بلاد العرب، أدى إلى وجود ألوان وأنواع من النشاطات الاقتصادية، كالزراعة، والتجارة، والصناعة: وقد صوّر الشعر الجاهلي هذه البيئات المختلفة، والأنماط الانتاجية الاقتصادية فيها.

فالنشاط التجاري كان مزدهراً في مكة، والتجارة - لا ننسى - عمادها الحركة. فها هو وهب بن عبد قصي يمتدح هاشماً لأنه أحضر البرّ من الشام، وأطعم قومه الثريد، في الأوقات الصعبة[1]:

تَحَمَّلَ هاشِمٌ ما ضاقَ عَنْهُ وأعْيا أن يقُومَ به ابنُ بِيْضِ
أتاهُمْ بالغرائِرِ مُتْأَقاتٍ مِنَ أرض الشام بِالبُرِّ النَّفِيضِ
فَأَوْسَعَ أهلَ مكةَ من هَشِيمٍ وشابَ الخُبزَ باللَّحْمِ الغَرِيضِ
فظلَّ القومُ بين مكللاتٍ من الشّيزى وحائِرُها يَفيضُ

وأمّا يثرب فقد اشتهرت بالزراعة، قال كعب بن الأشرف اليهوديّ مفتخراً بما لهم من مزارع ومياه[2]: ٤٩٤٧١٢

ولنا بِئْرٌ رِواءٌ جَمَّةٌ مَنْ يُرِدْها بإناءٍ يَغْتَرِفْ
ونخيلٌ في تِلاعٍ جَمَّةٌ تُخرِجُ التمرَ كأَمْثالِ الأكُفْ
وصريرٌ في مَحالٍ خِلتُهُ آخرَ الليلِ أهازيجَ بِدُفْ

وعُرفت الصناعة في يثرب، فقد اشتغل يهودها بصياغة الذهب

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، دار المعارف بمصر، ١٩٦١، ج ٢، ص ٢٥٣. الغرائر: جمع غرارة بالكسر وهي الجوالق. متأقات: مملوءات. البرّ النفيض: القمح الجيد. اللحم الغريض: اللحم الطريّ.

(٢) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ص ٢٣٩. رواء: عذب. بئر جمة: كثيرة الماء مرتفعة. كأمثال الأكف: يصف التمر في عناقيده كأنه الأصابع المستوية الملساء. الصرير: الصوت الصافر. المحال: جمع محالة وهي البكرة. أهازيج: أغاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمجوهرات مما يدل على ذلك قول عمرو بن كلثوم يعيّر عمرو بن هند[١]:

لحا الله أدْنانا إلى اللُّؤْمِ زُلْفَةً وألأمَنا خَالاً وأعْجَزَنا أبا
وأجْدَرَنا أن يَنْفُخَ الكيرَ خالُه يصوغُ القُرُوطَ والشُّنوفَ بيَثْرِبا

وفي الطائف واليمن نجد الزراعة والتجارة والصناعة. ونجد الأمر ذاته في مملكتي المناذرة والغساسنة اللتين كانتا تتصلان بالفرس والروم[٢].

ولكن رغم وجود هذه الأنماط الاقتصادية في بلاد العرب آنذاك، إلاّ أن هذه الأنماط كانت محدودة، فلم تكن تمارس بكثرة، ولم تكن منتشرة ومتطوّرة لدرجة تغيّر في نمط حياة الإنسان الجاهلي، وفي ثقافته ومعتقداته. فقد واجهت مشاكل عدة، فالزراعة كانت تعاني من خطر الجدب، أمّا التجارة فإن دفعها أتاوات للحماية، وخضوعها للدول المجاورة جعل تأثيرها وممارستها محدودة[٣] يضاف إلى ذلك أن التجارة عمادها الحركة فهي لا تتنكر للحركة الواسعة التي عبّر عنها القرآن ﴿لايلاف قريش، إلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾[٤].

وزاد من ضعف تأثير الأنماط الاقتصادية السابقة أن العرب في الجاهلية كانوا يأنفون من هذه الحرف، فقد كانوا يزدرون الصيد من أجل كسب الرزق. ولهذا هجا عمرو بن معد يكرب الزبيدي بني زياد لاشتغالهم بالصيد، وافتخر أن قومه أصحاب حروب فقال[٥]:

أبني زِيادٍ أنْتُمُ في قَوْمِكُمْ ذَنَبٌ ونَحنُ فُروعُ أصلٍ طَيِّبِ
نَصِلُ الخَمِيسَ إلى الخميسِ وأنْتُمُ بالقَهْرِ بَيْنَ مُرَبِّقٍ ومُكَلِّبِ
حِيدٌ عن المَعْروفِ سَعيُ أبيهِمُ طَلَبُ الوُعولِ بِوَفْضَةٍ وبأكْلُبِ

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ١، ص ٨٢.
(٢) انظر: علي العتوم، قضايا الشعر الجاهلي، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى، ص ٣٦٣ – ٣٧٣.
(٣) انظر: د. حسين عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٠.
(٤) القرآن الكريم، سورة قريش: آية ١ و ٢.
(٥) الجاحظ، كتاب الحيوان، (الحلبي) ط ٢، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٢، ص ٣١٠. الوفضة: جعبة السهام، الخميس: الجيش، المربق: الصائد بالربق وهي العروة في الحبل، المكلب: الصائد بالكلاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأعشى يهدد كسرى بأنهم ليسوا مثل إياد الذين لصقوا بأرضهم، ينتظرون موسم الحصاد، بل هم قوم جعل الله طعامهم في إبلهم يرحلون عليها حيث يشاءون، قال[١]:

لَسْنا كَمَنْ جَعَلَتْ إيادٌ دارَها ... تكْرِيتَ تنظرُ حبَّها أنْ يُحصدا
قوماً يعالِجُ قُمَّلاً أبْناؤُهُمْ ... وسَلاسِلاً أُجُداً وباباً مُوْصَدا
جَعَلَ الالهُ طعامَنا في مالِنا ... رِزْقاً تضمَّنَه لنا لَنْ يَنْفَدَا

والصناعة أيضاً كانت مهنة محتقرة عند العرب، كما مرّ علينا قول عمرو بن كلثوم يعيّر عمرو بن هند مفتخراً عليه أن أجداده ليسوا صياغاً يعتاشون من كسبها. ونخلص - من هذا كلّه - إلى القول أن النشاط الرّعوي كان الغالب والسائد بصورة واسعة لدى العرب في العصر الجاهلي، ويعتمد هذا النشاط في أساسه على الحركة الدائمة والمستمرة، التي أصبحت سمةً واضحةً من سماتهم لا ينكرها أحد.

فقد تسرّبت الحركة إلى حياة ذلك الإنسان في أحواله كافة، في السّلم والحرب، في الحلّ والترحال وفي جدّه ولهوه، وظهرت في عاداته وتقاليده وغيرها من مناحي حياته المتعددة. وقد عبّر عنها قوله الشعري.

وسنحاول - فيما يأتي - تتبّع مسارب هذه الحركة في حياة الإنسان الجاهلي من خلال فنّه الشعري، وفرز حركته إلى أنواعها المتباينة التي تفرّعت منها.

---

(١) الأعشى، الديوان، شرح د. محمد محمد حسين، القصيدة رقم (٣٤) ص ٢٣١. تكريت: من مدن العراق. الأجد: القوية، المؤصد: المغلق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

أنواع الحركة في الشعر الجاهلي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة وراء الكلأ والماء

يمثل الشعر الجاهلي في غالبيته - حياة مجتمع قبلي بدوي يعيش أهله في بيئة جلّ أراضيها صحراوية تعاني من ظروف مناخيّة قاسية تتمثل بالحرّ الشديد وندرة الأمطار، وتذبذب سقوطها. ولذا اعتمدوا في حياتهم على الرّعي لأنه أكثر ملاءمة للبيئة الصحراوية التي يعيشون فيها. والرّعي يعتمد على الكلأ الذي كانت تبخل به عليهم تلك البيئة الجغرافيّة والطبيعية القاسية، التي كانوا يعيشون في ظلّها. وكان إضافة إلى ندرته يمتاز بالتذبذب الشديد، لاعتماده على مياه الأمطار، فما أن ينبت في مكان حتى يجفّ وينبت في مكان آخر وهكذا دواليك. فهو لا يثبت في مكان، ولهذا كان الإنسان الجاهلي مضطراً إلى أن يبقى في حركة دائمة ومستمرّة للتتبعة، للمحافظة على حياته، وعلى حياة ماشيته التي كانت تشكل الثروة الوحيدة لديه، فكانت حياته موزعة بين الظعن والإقامة تبعاً لوجود الكلأ ونفاذه. «فكانوا إذا حُبس المطر من مكان انتجعوا أمكنة أخرى يلتمسون فيها مواقع الغيث والكلأ، وعرفت لهم في هذه الأوقات تقاليد يمارسونها»[١].

وقد وصف شعراؤهم حياتهم الموزعة بين الحلّ والترحال. فقال سلامة بن جندل[٢]:

كُنَّا نَحُلُّ إذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ ... بِكُلِّ وَادٍ حطِيْبِ البَطْنِ مَجْسُدُوْبِ
شِيْبِ المَبَارِكِ، مَدْرُوْسٍ مَدَافِعُهُ ... هَابي المراغي قَلِيْلِ الوَدْقِ مَوْظُوبِ
كُنَّا إذَا مَا أتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيْبِ

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ح ٤، ص ٤٦٦.

(٢) سلامة بن جندل، الديوان، تحقيق فخر الدين قباوة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١١٧ - ١١٩. هبت شامية: أي ريح الشمال الآتية من الشام وتكون باردة. الخطيب: كثير الحطب، المبارك: أراد بها الوادي كلّه، المدافع: مجاري الماء، موظوب: واظبت عليه سنون الجدب، الكُور: رَحْل الناقة، وَجْناء: العظيمة، السرحوب: الفرس الطويلة، اللُّوب: جمع لابة أو لوبة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَشدٌّ كُـوْر عَلَى وَجْـنَاء نَاجِيَـةٍ   وَشَـدُّ لِبْدٍ عَلَى جَـرْدَاءَ سُرْحُـوبِ
يُقَـالُ مَحْبِـسُهَا أدْنَى لِمَرْتَـعِهَا   وَلَوْ تَعَـادَى بِبَكْءٍ كُـلُّ مَحْـلُوبِ
حَتَّى تُـرِكْنَا، وَمَا تُثْنَى ظَعَائِنُنَا   يَأخُـذْنَ بَيْنَ سَوَادِ الخَـطِّ فاللُّـوبِ

فالشاعر يشير إلى ما كان عليه قومه من عدم استقرار في مكان معين، فعندما يشتد عليهم البرد ينزلون بأرض خصبة، لا ينازعهم عليها أحد، فيرعون نباتها، ويفخر بقومه الذين يقومون بحبس إبلهم بدار الحفاظ على الرغم من جدبها، ورغم ما يُلحقه ذلك من ضرر لها حتى يستعدوا لمحاربة أعدائهم، والدفاع عن حمى القبيلة، حتى تتمكن إبلهم من الرّعي بسلام فتقوى ويكثر عددها.

والحركة وراء الكلأ والماء كان يتخللّها معاناة وألم تلحق بالقبيلة، كما يقول عبيد بن عبد العزى السّلامي(١):

مَنَـــازِلِ قَـــوْمٍ دَمَّـــنُوْا تَلْعَاتِــهِ   وَسَنُّوْا السَّوامَ في الأنيقِ المنوَّرِ
ربيعَهــم والصَّيــفَ ثم تَحمَّـــلُوْا   على جِـلَّةٍ مِثْل الحَنِيَّات ضُمَّــرِ

وقال ربيعة بن مقروم الضبي(٢):

رَعَــاهُـــنَّ بالقُــفِّ حَتَّــى ذَوَتْ   بُقُولُ التَّنَـاهي وهَـرَّ السَّمُـومَا
فَأوْرَدَهـا مَـعَ ضَـــوْءِ الصَّبَــاحِ   شَرَائِـعَ تَطْحَرُ عنــها الجَمِيــمَا

فهم هكذا باستمرار، لا يقرّ لهم قرار ولا يهدأ لهم بال في سفرٍ دائم، وارتحال مستمر. وافتتاحيات قصائدهم توحي بذلك وتؤيده. فالأطلال الخاوية

(١) يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص ١٣. دمّنوا تلعانه: جعلوا فيها الدّمن، سنّوا السوام: أرسلوا إبلهم في المرعى، الأنيق: الروض الخضرّ، الجلّة: المسان من الإبل، الحنيات: الأقواس.
(٢) المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٦٤، المفضلية رقم ٣٨، ص ١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يبكي عندها الشاعر في مقدمة القصيدة هي نتيجة لحركة المحبوبة وأهلها عن تلك الدّيار وراء الكلأ والماء، بعد أن جفت ديارهم: قال المرقش الأصغر[(١)]:

أضْحَت قِفَاراً وقَدْ كانَ بها فِي سَالِف الدَّهْر أرْبابُ الهُجُومْ

وقول لبيد[(٢)]:

عهدي بها الإنْسَ الجميعَ وفيهمُ قبلَ التفرُّقِ مَيْسِرٌ ونِدام

وامرؤ القيس يسأل الرّبع أن يحدّثه حديثاً صادقاً، حديث الركب. قال[(٣)]:

ألا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الرَّبْعُ وانْطِقِ وَحدِّث حديثَ الركبِ إن شئتَ واصْدُقِ

ورحلة الظعائن التي أكثر الشعراء من إيرادها في قصائدهم هي جزء من رحلة القبيلة ككل بحثاً عن مساقط الأمطار ومواطن الكلأ. يقول عبيد بن الأبرص متسائلاً عن أصحاب الجمال المزمومة (الظعائن) استعداداً للرحيل[(٤)]:

لِمَنْ جِمالٌ قُبيْلَ الصُّبحِ مَزْمومة مُيَمِّمَاتٌ بِلاداً غَيرَ مَعْلُومَة

وقوله[(٥)]:

ألا تَقِفَانِ اليومَ قَبْلَ تَفَرُّقٍ وَنَأيٍ بَعِيدٍ وَاختِلافٍ وأشغالِ
إلى ظُعُنٍ يَسْلُكْنَ بَينَ تَبالَةٍ وَبَينَ أعالي الخَلِّ لاحِقَةِ التَّالي

أما زهير فقد رسم صورةً دقيقةً لهذه القبيلة المتحمّلة وقد اشتجر بينها

---

(١) المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، المفضلية رقم ٥٧، ص ٢٤٨، ١٩٦٤م، والهجوم جمع هجمة وهي القطعة من الإبل.

(٢) لبيد بن ربيعة، الديوان، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ص ٢٨٨.

(٣) امرؤ القيس، الديوان، دار صادر ودار ارصاد، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٣٣.

(٤) عبيد بن الأبرص، الديوان، ص ١٣٤.

(٥) المصدر السابق، ص ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاف في أمر الرحيل، فعزم بعضهم وتردد آخرون، قال[١]:

بانَ الخليطُ ولم يأووا لِمَنْ تركوا ... وزوَّدوك اشتياقاً أيّةً سلكوا
ردَّ القيانُ جمالَ الحيِّ فاحتملوا ... إلى الظهيرةِ أمرٌ بينهم لَبِكُ
ما إن يكادُ يُخلِّيهمْ لوجهَتِهم ... تخالُجُ الأمرِ إنَّ الأمرَ مُشْتَرِكُ

وعمرو بن قميئة يدل على حزنه ودهشته عندما علم بأمر الرحيل[٢]:

وقد ريعَ قلبيَ إذ أعلنوا ... وقيلَ: أجدَّ الخليطُ احتمالا
وحثَّ بها الحاديانِ النجاءَ ... مع الصبحِ لمّا استثاروا الجمالا

والمثقّب العبدي يصف حزنه عندما رأى ظعن ليلى قال[٣]:

هل لهذا القلب سمعٌ أو بصر ... أو تَناهٍ عن حبيبٍ يُدَّكَرْ
أو لدمع عن سَفاهٍ نهيةٌ ... تُمترى منه أسابيُّ الدِّرر
إن رأى ظُعناً لليلى غُدوةً ... قد علا الحَزماءَ منهنَّ أُسر

---

(١) زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، ط ٢، ١٩٧٣، ص ٧٨.

(٢) عمرو بن قميئة، الديوان، تحقيق وشرح خليل ابراهيم العطية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢، ص ٥٥.

(٣) المثقب العبدي، الديوان، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، ١٩٧١، ص ٦٢ - ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة القتاليّة

نقصد بالحركة القتاليّة ما كانت تقوم به القبيلة من غارات على القبائل الأخرى أو صدّها لغارات غيرها من القبائل عليها.

ويبدو هذا النوع من الحركة في الشعر الجاهلي بصورة واضحة لدرجة أن الناظر إلى أشعارهم يكاد يجد أن حياتهم كانت سلسلة متواصلة من الغارات والغزوات، تتوزع أيامهم بين سلب ونهب وثأر. قال عروة بن الورد مصوراً ذلك(١):

سَنُفْزِعُ بعدَ اليأسِ مَنْ لا يخافُنا ... كواسِعُ في أُخرى السَّوام المُنَفَّرِ

يُطاعِنُ عنها أوّلَ القوم بالقنا ... وبيضٍ خِفافٍ ذات لونٍ مُشهَرِ

فيوماً على نَجْدٍ وغاراتِ أهلها ... ويوماً بأرضٍ ذاتِ شَثٍّ وعَرْعَرِ

ويؤكد استمرارية الغارة عامر بن الطفيل مادحاً(٢):

له كل يومٍ غارةٌ عُرِفَتْ به ... إذا قادَها للموتِ جرداً سواهما

وقد كان للبيئة الجاهلية الجغرافية والطبيعيّة القاسيَة أثر كبير في التصادم المستمر بين القبائل، فقد أوجدت نمطاً اقتصادياً يعتمد على الحركة المستمرة وراء الكلأ والماء، مما جعل الجاهليين يتسابقون ويتنافسون على الوصول إلى المراعي الخصبة، ومساقط المياه، التي هي العماد الأساسي لحياتهم ووجودهم. وزاد من تأجج صراع البقاء في المجتمع الجاهلي ندرة الماء والكلأ وتقلبهما الشديد، مما أدى إلى التناحر بين القبائل وغزو بعضهم بعضاً(٣).

---

(١) ديوان عروة بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملّوحي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص ٧٤. كواسع: الخيل التي تطرد، شثّ وعرعر: نباتان صحراويان.

(٢) عامر بن الطفيل، الديوان، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣، ص ١٢٤.

(٣) أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمحل والجفاف يحركان القبيلة إلى الغارة والغزو كما قال عامر بن الطفيل[١]:

للّهِ غارَتُنا والمَحْلُ قد شَجِيَتْ مِنْهُ البلادُ فصارَ الأُفقُ عُريانا

والشاعر بشر بن أبي خازم يفخر بكونهم يغزون ويستبيحون الأرض الخصبة، إذا قلّت الأمطار وظهر القحط، قال[٢]:

كَفَيْنا مَنْ تَغَيَّبَ واسْتَبَحْنَا سَنامَ الأرضِ إذْ قحِطَ القِطارُ

أما معاوية بن مالك فيعلن أنّ (البقاء للأقوى)[٣]:

إذَا نَزلَ السَّحَابُ بأرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإنْ كَانُوا غِضَابَا
بِكُلِّ مُقَلِّصٍ عَبْلٍ شَوَاهُ إذَا وُضِعَتْ أعنَّتُهنَّ ثَابَا

ويفخر عامر بن الطفيل بأن قبيلته عندما تغير على قبيلة أخرى تنفيها نفياً كلياً عن موطنها الخصيب، وتَحلّ بذلك الموطن. قال[٤]:

ونَحْنُ نَفَيْنا مَذْحِجاً عن بِلادِها تُقَتَّل حتى عادَ فَلاً شَديدُها
فأمّا فَريقٌ بالمَصامَةِ مِنهُمُ فَفَرّوا وأُخرَى قد أُبيرَتْ جُدودُها

أمّا عمرو بن معد يكرب فيفتخر بقبيلته الذين وردوا مياه بني تميم، بعد أن أعملوا فيهم قتلاً وذبحاً، قال[٥]:

---

(١) عامر بن الطفيل، الديوان، ص ١٣٧.

(٢) فوزي محمد أمين، شعر بشر بن أبي خازم الأسدي، رؤية تاريخية وفنية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص ٢٤٢.

(٣) المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، ١٩٦٤، الطبعة الثالثة، مفضلية رقم ١٠٥، ص ٣٥٩. المقلص: الطويل، شوى الفرس: قوائمه وعبل شواه: ضخامتها في اكتناز.

(٤) عامر بن الطفيل، الديوان، شرح الأنباري، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣، ص ٤٦.

(٥) عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الديوان، جمعه وحققه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٤، ص ٨١، ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هنالك بُهْمَـةُ الفرسـان يُلقى وأصحـابُ الحفـاظِ وكـلّ جـدٍّ
وهـم وردَوا الميـاه على تميمٍ بألفٍ مدجـجٍ شُمـطٍ ومُـرْدِ

ويبدو أن مياه تميم كانت وفيرة بالنسبة لغيرها من القبائل، مما دعا بقية القبائل للإغارة عليهم طمعاً في هذه المياه. فبشر بن أبي خازم يفخر بقبيلته وبقومه بني أسد الكثر الشجعان، إذ يردون المياه على تميم أيضاً يقول[١]:

هُـمَ وَرَدوُا المياهَ عَـلَى تَمِيـمٍ كَورْدِ قـطاً نأت عنـهُ الحِسَاءُ

ويفخر الأفوه الأودي بمرور قومه على ماء دفينة والحجيل، ويبدو أن ذلك كان أمراً صعباً. قال[٢]:

وقد مـرّت كُمَاةُ الحـرب منا على مَـاء الدّفينـة والحَجـيل

ولذا كانت القبائل تفخر بحمايتها لحماها ومراعيها الخصبة. وهذا الفخر فيه تهديد ووعيد لكلّ من تسوّل له نفسه الطمع فيها. قال عامر بن الطفيل[٣]:

ولكنّنـي أحمـي حِمـاها واتّقـي أذاها وأرمي مَنْ رَماها بمنكبِ

وقال سحيم بن وثيل[٤]:

وذادوا يـوم طِخْفَـةَ عـن حِمـاهُمْ ذياد غرائـب الإبـل النّهَـالِ

---

(١) بشر بن أبي خازم، الديوان، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤، ص ٤.
(٢) الأفوه الأودي، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٣.
(٣) عامر بن الطفيل، الديوان، شرح الأنباري، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣، ص ١٣.
(٤) بنو تميم، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق: عبد الحميد المعيني، منشورات نادي القصيم، السعودية، ١٩٨٢، ص ٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال زيد بن عمر التميمي مفتخراً بحماية قومهم لحماهم، واستباحتهم بالقوة حمى غيرهم[١]:

ونرعى حِمَى الأقوام غير مُحرَّم علينا ولا يُرعى حمانا الذي نحمي

وشاطره الرأي أوس بن حجر[٢]:

نُبيحُ حِمَى ذي العزِّ حين نُريده ونحمي حِمانا بالوشيج المُقَوَّمِ

فالبيئة الجاهلية، والعامل الاقتصادي الناتج عنها كانت السبب إذن في الكثير من حروب العرب في الجاهلية، وغزواتهم، فلم تكن الغارات والحروب ضرباً من ضروب اللصوصيّة، أو من ضروب اللهو وتزجية أوقات الفراغ، أو رغبة في سفك الدماء كما يشاع عنهم، بل كانت لازمة من لوازم حياتهم فرضتها عليهم البيئة القاسية التي يعيشون في ظلّها. فالغارات والغزوات كانت من «أهم وسائل الإعاشة عندهم»[٣].

فالغارة حركة قتالية تضطر القبيلة إلى القيام بها لتحل أزمتها المتمثلة بالجفاف الذي يتهدد حياتها، من خلال ما تحصل عليه من غنائم تنهبها من وراء الغارة، تقضي بها على جوع أبنائها.

ومن الدّال على ذلك قول عامر بن الطفيل واصفاً ما غنموه بعد الغارة[٤]:

وَجِئْنَا بالنِّساءِ مُرَدَّفاتٍ وأذْوادٍ فَكُنَّ لنا طَعَاماً

---

(١) بنو تميم، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص ٢٦٦.

(٢) أوس بن حجر، الديوان، تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر: بيروت، ١٩٦٧، ص ١٢٤.

(٣) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات مجمع اللغة العربية العراقي، ١٩٥٢ - ١٩٥٩، ج ٥، ص ٤٣.

(٤) عامر بن الطفيل، الديوان، ص ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتركيز على الطعام يدلنا على أن الجوع وضنك العيش هما الدافع للقيام بالغارة. كما أن حديث الشعراء عن الغنائم التي نهبوها من الغارة يؤكد أيضاً دور العامل الاقتصادي في القيام بالغارة. فقال طفيل[(١)]:

وقَتَّلْـنَا سَرَاتَهُـمُ جِهـاراً وجِئْنا بالسَّبَـايَا والنِّهـاب

وأحياناً لمعاناتهم الشديدة من الجوع نتيجة المحل والجفاف كانوا يضطرون للإغارة على الأقارب. كما قال أحد شعرائهم[(٢)]:

وكُـنَّ إذا أُرْنَ علـى جَنَـاب وأعْوَزَهُـنَّ نَهْبٌ حيثُ كانا
أغَـرْنَ من الضِّباب على حُلولٍ ضـبَّة إنَّـه مـن حان حانـا
وأحيـاناً علـى بكـرٍ أخْينـا إذا لـم نجـد إلاّ أخـانا

ولم تقتصر الغارات على المراعي ومساقط الأمطار بل شملت أيضاً القوافل التجارية والسطو على القوافل التجارية حركة قتالية لجأ إليها إنسان تلك البيئة لحلّ أزمته المتمثلة بضيق موارد العيش التي كانت تبخل بها عليه الطبيعة القاسية. ومن أمثلة هذا النوع من الغارات (يوم القريتين). فقد أغارت فيه بنو عامر بن صعصعة على تجارة للنعمان بن المنذر فجهّز جيشاً من القبائل العربية الموالية فغزاهم[(٣)].

ولو عدنا إلى أيام العرب وحروبهم، وحاولنا استقصاء أسبابها نجد أن أكثرها كانت أسبابه اقتصادية بحتة، كأن تقوم إحدى القبائل إذا ما جفت مراعيها ونضبت مياهها بالإغارة على قبيلة كانت تحوز ماءً ومرعىً خصيب،

(١) طفيل الغنوي، الديوان، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط ١، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨، ص ٩٧.
(٢) ديوان الحماسة وهو مما أضافه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب، شرح العلامّة التبريزي، دار العلم، بيروت، ١/١٢٩، ص ١٣٠.
(٣) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، أيام العرب، تحقيق عادل جاسم، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١٩٨٧، ص ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما جعلها محط أنظار القبائل الأخرى. فكانت القبائل الأخرى تطمع بمشاركتها في ذلك الخير، أو بالاستيلاء عليه، وهذا الأمر يدفع القبيلة التي أعتدي عليها معاودة القتال والإغارة على من اعتدى عليها أخذاً بالثأر، ولهذا نجد أن بعض أيام العرب سُمي باسم موضع الماء الذي كان أصل الصراع عليه.

فسلامة بن جندل يفخر بيوم الكُلاب، وهو يوم لهم على (مذحج)، والكلاب ماء بين الكوفة والبصرة، ويبدو أنهم اقتتلوا وسمّوا ذلك اليوم باسم موضع الماء. يقول[١]:

سائل بنا يوم وِرْدِ الكُلا ... ب تُخبرك دوسٌ وهَمَدَانُها

وقد اقتتلت عبس وكَلْب على ماء يُقال له (عراعر) فقتلت (عبس) من (كلب) جمعاً كثيراً، وفي هذا اليوم أنشد عنترة بن شداد قصيدته التي مطلعها[٢]:

ألا هل أتاها أنّ يوم عراعر ... شفى سَقَماً لو كانت النَّفْسُ تَشْتَفي

والماء كان سبب حرب همدان وقضاعة كما يقول معاوية بن دومان[٣]:

أراد طفيلٌ يَمْنَعَ الماء زَلَّةً ... ولم يك رأياً مَنْعُهُ الماء لو عَقَلْ
ففارقت البيضُ الخِفافُ غُمُودها ... ولاحت بأيديهم مصابيح كالشُّعَلْ
خسِبْتَ رِجالاً أنْ تَجفَّ حُلُوقُها ... وأنت على ريٍّ وفي راحها الأسلْ

---

(١) سلامة بن جندل، الديوان، ط ٢، صنعه محمد بن الحسن الأحول، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٥٨.

(٢) عنترة بن شداد العبسي، الديوان، تحقيق سيف الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٣٠.

(٣) الهمدانيون، شعر همدان وأخبارها، جمع وتحقيق حسن أبو ياسين، طبع دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣، ص ٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة من أجل تأمين السلاح

ظهر في الشعر الجاهلي نوع آخر من أنواع الحركة، كان هدفه الحصول على السلاح وتأمينه. فقد أدرك الإنسان الجاهلي أهمية السلاح، ودوره في المحافظة على وجوده واستمراره في الحياة، في ذلك المجتمع المتصارع على موارد الحياة الشحيحة، التي كانت تجود بها عليهم الطبيعة القاسية. فشحّ الموارد الاقتصادية وتذبذبها كان يضطر الإنسان الجاهلي إلى الحركة الدائمة لملاحقتها، وهذا الأمر كان يخلق منازعات ومشاحنات دائمة بينهم على موارد المياه، ومواطن الكلأ، لهذا أصبح الخوف والفزع يسكن نفوسهم، فالواحد منهم يشعر دوماً بالخطر وبالتهديد على حياته وعلى موارد رزقه، فهو يتوقع في أية لحظة أن يُعتدى عليه أو أن يضطر هو إلى الاعتداء على غيره لحفظ بقائه إذا جارت عليه الطبيعة. الأمر الذي أدى إلى كثرة الحروب والغارات والمنازعات التي سبق لنا الحديث عنها.

ومن هنا كان التسابق على التسلح بين أفراد المجتمع الجاهلي وقبائله ضرورة من ضرورات الحياة، فكان (الفرد/ القبيلة) يبذل كل ما في وسعه من أجل الحصول على أجود أنواع السلاح، وبكميات وافرة، وقد عبّر شعرهم عن شغفهم باقتناء الأسلحة لمواجهة الأخطار التي كانت تتهدد حياتهم كما يقول أمية بن أبي الصلت[١]:

وأرصدْنا لريب الدهر جُرْداً ... تكون متونُها حصناً حصينا
وخطّيا كأشطان الركايا ... وأسيافاً يُقَمْنَ وينحنينا

والأسلحة هي التي تحميه وتعينه على اقتحام الثغور المخوفة كما يقول ربيعة بن مقروم الضبي[٢]:

---

(١) الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، الطبعة الثالثة، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٢٣٣.

(٢) المفضليات، الطبعة الثالثة، مفضلية رقم ٣٩، ص ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثغـــرٍ مخـــوفٍ أقمـــنا بـــه ... يهـابُ به غَيرُنـا أن يُقيـما
جعـلنا السيوفَ بـه والرمـاح ... معُاقـلَنا والحـديدَ النَّظيـماً
وجـرداً يُقَـرِّبْن دون العيـال ... خلالَ البيوتِ يَلُـكْنَ الشكيـما

والسـلاح خيـر زاد يتـزود بـه المحارب في المعـركـة، ويرفـع بـه الظلم عن نفسه، ويتصدى بـه لأعدائه، قال صخر العي بعد أن وصف معداته الحربية(١):

ذلـك بَـــزِّي ولـــن أفـرِّطـــه ... أخاف أن يُنجِزوا الذي وعـدوا
فلســتُ عبـداً لموعِـديَّ ولا ... أقبــل ضيماً يأتي بـــه أحــد

وجودة السلاح وكثرته عامل أساسي في حَسم نتيجة المعركة كما يقول سعد بن مالك البكري(٢):

والحـــربُ لا يَبقَـى لجـــا ... حِمـها التخيُّـــل والمـــرَاح
إلا الفتى الصبَّار فـــي النَّـــ ... ـجَـدَات والفـرسُ الوَقَـــاح
والنثـــرة الحصـــداء والـــ ... ـبيض المُكـــلَّل والرِّمـــاح

فما كان العربي يتمنى شيئاً ليوم الشدة سوى رمح قوي جاد وسيف حسام صقيل، وفرس جرداء سلهبة، ودرع سابغة متينة. ذلك كل ما يتمناه من مال(٣)، استمع إلى عامر بن الطفيل إذ يقول(٤):

يــوم لا مال للمحارب في الحر ... ب سِوَى نَصْـلِ أسمر عَسّـال
ولجـامٍ فـي رأس أجـرد كالجذ ... ع طُـوالٍ وأبيـــض قَصَّـــال
ودِلاصٍ كالنِّهْــي ذات فُضُــول ... ذاك فــي حلبة الحوادث مالي

---

(١) شعر الهذليين، ج ٢، ص ٦١.
(٢) لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ٢٦٤.
(٣) علي الجندي، شعر الحرب، ص ١٣٢.
(٤) عامر بن الطفيل، الديوان، ص ١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان العربي يفتخر ويباهي بسلاحه، ويقدّره أعظم تقدير. ويعتبر سلاحه أفضل ثروة يمتلكها، وأحسن ميراث يورّثه لورثته، ونجد هذا المعنى في قول حاتم الطائي[١]:

سَأذخرُ مِنْ مالي دِلاصاً، وسَابْحاً وَأسْمَرَ خَطِّيّاً، وعَضْباً مُهَنَّدا
وذلك يكفيني مِنَ المالِ كُلِّه مَصُوناً، إذا ما كانَ عِنْديَ مُتْلدا

وقول عروة بن الورد[٢]:

وَذي أملٍ يرجو تُراثي وإنّ ما يَصيرُ لَهُ منه غداً لَقليلُ
ومالِيَ مالٌ غيرُ درعٍ ومغفرٌ وَأبيضُ مِنْ ماءِ الحَديدِ صَقيلُ
وأسْمَرُ خَطِّيُّ القَناةِ مُثَقَّفٌ وَأجْرَدُ عريانُ السَّراةِ طويلُ

والسلاح يجعل صاحبه مرهوب الجانب كما يقول النابغة[٣]:

تَعدو الذّئابُ عَلى مَنْ لا كلابَ لَهُ وتتقي مَرْبِضَ المُستَنْفِرِ الحَامي

وقد وصفوا أدوات الحرب وسجّلوها في شعرهم، وقد كان السيف أفضل تلك الأدوات وأكثرها استخداماً، وروداً في الشعر، وقد أطلقوا عليه أسماء كثيرة، فهو الهنديّ، والروميّ والمشرفيّ نسبة إلى بلاده، وقد وصف أوس بن حجر سيفه الهندي الذي يتلألأ حدّه كتلألؤ البرق في سحاب كثيف، وإذا سلّ من الغمد خُيّل للرائي إن مسحاة الفضة تتساقط على المبرد. قال[٤]:

---

(١) حاتم الطائي، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت، دار صادر، ١٩٥٣، ص ٥٧. الدلاص: هي الدروع اللينة والملساء، السابح: الفرس، الأسمر: الرمح، العضب: السيف، المتلد: المال القديم.

(٢) عروة بن الورد، الديوان، تحقيق: محمد بن أبي شنب، الجزائر، مطبعة جول كريونل، ١٩٢٦، ص ٢٠٧. مثقف: مقوم، السّراة: الظهر.

(٣) النابغة الذبياني، الديوان، ص ٢٢٢. المستنفر: هو الذي يستنفر بإزاره عن الصراع، أي يلويه على فخذيه ثم يخرج من بينهما ويشد طرفيه في حجزته.

(٤) أوس بن حجر، الديوان، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبيض هندياً كأن غِرارَه تَلألُؤ برق في حَبِيٍّ تهلَّلاَ
إذا سُلَّ من غمدٍ تأكّلَ أثْرُه علىٰ مثل مِسْحاة اللجين تأكُّلا

وأكثروا من وصف الرّماح، وكانوا يستوردونها من الهند إلى الخطّ على ساحل البحرين، لذا قيل للرماح خطيّة. ونسبوها إلى ردينة التي اشتهرت بتقويم الرماح وإصلاحها، وإلى سمهر زوج ردينة، فكانوا يقولون رماح سمهريّة. ومنها اليزنيّة نسبة إلى (ذي يزن)، والقضعبيّة نسبة إلى قضعب. ومن أسمائها الأخرى الشرعبيّة. قال عنترة[1]:

وأطعن في الهيجا إذا الخيل صدها غداة الصباح السمهريُّ المُقَصَّدُ

كما وصفوا القسيّ، وأجود أنواعها العصفوريّة نسبة إلى عصفور، وهو رجل، قال الشنفري[2]:

وإني كفاني فقدَ من ليس جازياً بحُسنى ولا في قربه متعلَّلُ
ثلاثة أصحاب: فؤادٌ مشيَّعٌ وأبيضُ إصليتٌ، وصفراء عَيْطل

ووصفوا الدروع، وهي أردية من الحديد المنسوج حلقات متصلة، تلبس لتغطي الظهر والصدر ونصف الذراعين تقريباً، فتردّ الطعنات وتقي لابسها السهام[3].

قال امرؤ القيس في قصيدة يهدد بني أسد بقوته وعِدده الحربية[4]:

ومسدودةِ السَّك موضونة تضاءل في الطي كالمبرد
تفيض على المرء أردانها كفيض الأتِيّ على الْجَدجَدِ

(١) عنترة، الديوان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٨م، ص ٤١.
(٢) الشنفري، لامية العرب، شرحها وحققها محمد بديع شريف، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤، ص ٣٢.
(٣) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ١٨٣.
(٤) لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ٤١. الأتي: السَّيل. الجدجد: الأرض الصلبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نسبوها إلى فرعون وداود وسليمان وتبع وإلى سلوق وهي قرية باليمن. قال النابغة[١]:

تقدّ السلوقيّ المضاعف نسجه وتُوقد بالصُّفَّاح نارَ الحُباحب

وتحدثوا عن البيضة أو القونس أو المغفر وهو غطاء الرأس في الحرب. قال الأخنس بن شريق[٢]:

هموٌ يضربون الكبش يبرق بيضُه على وجهه من الدماء سبائب

فهم كما يقول يضربون رئيس القوم وحاميهم وهو يلبس البيضة ضرباً تسيل منه الدماء طرائق على وجهه.

وقال المهلهل[٣]:

والمشرفية لا تُعرّج عنهمو ضرباً يَقُدّ مغافراً ودروعا

ووصفوا الترس أو المجن، أو الدرقة، وهو ما يعمل من بعض الجلود لوقاية الأبدان من وقعات السيوف، قال المزرد بن ضرار واصفاً إنه كالشمس في طبقات الغمام[٤]:

وجَوْب يُرى كالشمس في طخية الدجى وأبيض ماض في الضريبة قاصل

أما الخيل فقد أولعوا بها وكرّموها وأعزّوها فكانوا يمتطونها في كرّهم وفرّهم وأكثروا من تصويرها في أشعارهم.

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج ١، ص ٢١٥، الصفاح: حجارة رقاق عراض، نار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار من اصطكاك الحجارة أو نار ذباب له شرر كالسراج يطير بالليل.

(٢) المفضليات (٤١)، ص ٧. السبائب: طرائق.

(٣) لويس شيخو، شعراء النصرانية، ج ٢، ص ١٧٢.

(٤) المفضليات ٩٧/١. جوب: قوس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالحاجب بن حبيب الأسدي يرفض طلب زوجته التي ألحّت عليه أن يبيع فرسه ليفرّج كربتهم، ويبرّر رفضه بأهمية الخيل في الحرب والسّلم[1]:

باتت تلوم على ثادِقٍ ليُشْرَى فقد جَدَّ عصيانُها
ألا إن نجواك في ثادق سواءٌ علَّى وإعلانُها
وقالت: أغثنا به إنني أرى الخيل قد ثاب أثمانها
فقلت: ألم تعلمي أنه كريم المَكَبَّة مبْدانُها
كميتٌ أُمِرَّ على زَفْرةٍ طويلُ القوائم عريانها
تراه على الخيل ذا جرأة إذا ما تقطع أقرانها
وهن يَردن ورود القطَا عُمَّانَ وقد سَدَّ مُرَّانها
طويل العنان قليل العثا ر خاظي الطريقة رَيَّانها
وقلت: ألم تعلمي أنه جميل الطَّلالة حُسَّانها
يَجُمُّ على الساق بعد المِتَان جموماً ويُبْلَغ إمكانها

وهذا الاهتمام الذي نلمسه لدى الشعراء الجاهليين في الحديث عن الأسلحة وصفاتها وأسمائها يدل على مدى الدور الذي تلعبه تلك الأسلحة في حياتهم وحفظ وجودهم، ويدل على مكانة السلاح في نفوسهم وتقديرهم واعتزازهم بالسلاح.

وخير ما يمثل الحركة من أجل تأمين السلاح لامية أوس بن حجر المشهورة، التي تضجّ بالحركة من أجل تأمين السلاح وخاصة القوس، وسنأتي على تحليلها وتلمّس هذا النوع من الحركة فيها في الفصل الثاني من هذا البحث.

(١) المفضليات ٢/١٦٨. ثادق: اسم فرسه. ثاب أثمانها: زادت، كريم المكبة: نافع في كب الأعداء والحمل عليهم، المران: الرماح، يجم: يكثر جريه، المتان: البعد في الغاية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة للأخذ بالثأر

ليس من العدل ما يطلق من أحكام على العرب أنّهم أمة تهوى سفك الدماء والقتل لأتفه الأسباب، لدرجةٍ اعتبر فيها القتل والثأر وإراقة الدماء سجيّة وراثيّة يتناقلها الأبناء. فهذه الأحكام لا تخلو من التعسف والجور، وتكتنفها مغالطة التعميم.

من هذه الأحكام ما أصدره حسين الحاج في تفسيره للأخلاق العربية بقوله: «والمسيحية قد عجزت كاليهودية أن تصرع الوثنية الجاهلية، فهي تلائم طبائع العرب الميالين إلى الثأر وحب الانتقام لأتفه الأسباب، فلا يرضى العربي أن يدير لضاربه خدّه الأيسر»[١].

وقد ذهب شوقي ضيف المذهب نفسه في تفسير عادة الثأر، إذ يقول: «فهم لا يرضون بالدّية، ويرونها ذلاً ما بعده ذلّ، أن يستبدلوا بالدّم الإبل وألبانها، فالدم لا يشفيهم منه إلاّ الدم، وكأنما أصبح سفكه غريزة من غرائزهم[٢]».

ومن هذه الآراء رأي المستشرق (دي لاسي أوليري) واصفاً العربي: «مستعد للتمرد على كل من يحدّ من حريته الفرديّة بصرف النظر عن مصلحته الذاتية، وعلى الرغم من أنه يزن الأمور بكل منطق بارد، إلاّ أنه يثور إذا انتقصت حريته كالوحش الهائج في المصيدة، ويتصرف كالمجنون ليكسر القيود التي تقف في سبيل تلك الحرية»[٣].

---

(١) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١٩٨٤، ص ١٨٤.

(٢) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط ١١، ص ٦٣.

(٣) أوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى علي الغول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط ١، ١٩٩٠. وانظر: غدير الشمايلة، الثأر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، كلية الآداب، ١٩٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتناسى أصحاب النظرة السابقة أثر السّياق الثقافي والبيئي والاجتماعي والاقتصادي الذي عاش العربُ في ظلّه، ودوره في تشكيل عادة الثأر لديهم، فالبيئة القاسية التي عاش فيها الإنسان الجاهلي وما فيها من معاناة، وشظف في العيش، وصدامات مع الآخرين الذين ينافسونه على خيرات الطبيعة الشحيحة - كل ذلك - جعل القوة والتفوق المثل الأعلى للإنسان الجاهلي ومطلبه الدائم[١].

لقد نشأت عادة الثأر لدى الإنسان الجاهلي نتيجة للظروف البيئية التي كان يعيش فيها، والتي جعلت حياته قائمة على الحركة المستمرة وراء مواطن الكلأ والماء اللذين يتسمان بالندرة والتذبذب، مما جعل التنافس عليهما عظيم وكبير. والغلبة في هذا الصراع للأقوى عدةً وعدداً. وهذا التنافس والصراع لا يستطيع الفرد أن يتصدى له بمفرده، فهو يحتاج إلى جماعة تناصره وتؤازره، وتشاركه في المنفعة والمصالح يستطيع من خلالها تأمين موارد رزقه، وحماية نفسه، وسط صراع البقاء المرير الذي كان دائراً في مجتمعه، والذي لا يحسمه إلاّ القوة. وهذه الجماعة هي القبيلة التي كان يرتبط أفرادها ببعضهم البعض برابطة الدم. ومن هنا كان الفرد مضطراً للالتصاق بالقبيلة، لأنه لا يستطيع أن يستمرّ في حياته، ويحفظ موارد رزقه بمفرده، فالقبيلة تحميه وتسانده، كما أن القبيلة بحاجة لهذا الفرد، فهو عنصر مدافع عنها وعن مصالحها، إذن، الفرد عامل أساسي في حياة القبيلة، كما أن القبيلة تحفظ حياة الفرد، فالعلاقة قائمة على المنفعة المتبادلة، والدم والنسب هما الضامن الوحيد للقبيلة بتفاني الفرد في حفظ مصالحها والمدافعة عن وجودها، وهما الضامن للفرد - في الوقت ذاته - بحماية القبيلة له، وانتصارها له حيّاً وميتاً، فالانتماء القبلي كان ضرورة حياتية واجتماعيّة[٢] كما قال أوس بن

(١) صالح درادكة، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار شيرين للنشر، عمان، ١٩٨٨م، ص ١٢٢.

(٢) مصعب حسون الراوي، الشعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٩م، ص ١١ - ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حجر(١):

وقــومُكَ لا تَجهلْ عليْهِم ولا تـــكُنْ   لهمْ هرِشاً تغتابُهــمْ وتُقاتــلُ

فمــا ينهضُ الــبازي بغيْرِ جَناحِهِ   ولا يَحمِلُ الماشينَ إلاّ الحــوامِلُ

أما عمرو بن القميئة فيصوّر قوم المرء أظافر ودعائم، فيقول(٢):

على أن قومــي أسْلمُوني وعُــرّتي   وقومُ الفَتــى أظفارُهُ ودعائِمُــهْ

والانتـمـاء يكون للأسرة وللأقـارب ثم يمتد ليـشـمل مـضـارب القـبـيلة وحماها كما يصوّرّ الأعشى(٣):

متى يغترب عنْ قومِهِ لا يجِــد لــهُ   على مــنْ لهُ رُهطٌ حواليهِ مُغضبا
ويُحطمْ بظُلْــمٍ لا يزالُ يــرى لــهُ   مصــارعَ مظـلومٍ مجــراً ومسحَبا
وتُدفنُ مِنـهُ الصّالحاتُ وإن يُسـيءْ   يكُن ما أساءَ النارَ في رأسِ كَبكبا
وليْس مُجيراً إن أتى الحيَّ خائـفٌ   ولا قائِــلاً إلاّ هُـــو المتَعيَّـــبا

وهذا هو دريد بن الصـمـة يبقى مع قومهِ وينزل عند رغبـة الجماعة، رغم إدراكه للخطر المحدق بهم قال(٤):

أمَرْتُهــمْ أمـري بِمُنــعرجِ اللِّـــوى   فَلمْ يستبينُوا النُّصحَ إلاّ ضُحى الغدِ
فلمّا عَصوني كُنتُ مِنهم وقدْ أرى   غوايتَـهم وإنَّنــي غيــرُ مُهتـــدي
وَهلْ أنا إلاّ من غَــزيَّةَ إن غَـــوتْ   غَــويتُ، وإنْ تــرشدُ غزيَّةُ أرشدِ

---

(١) أوس بن حجر، الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧، ص ٩٥.

(٢) عمرو بن القميئة، الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١م، ص ٤٩.

(٣) الأعشى، الديوان، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١١٨.

(٤) دريد بن الصمة، الديوان، تحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة، ١٩٨٥م، ص ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فدريد كان ناصحاً لقومه كي يتركوا منعرج اللّوى، غير أنهم عصوه، وأصروا على البقاء، فما كان منه إلاّ أن يبقَى معهم، ويذبّ عنهم، فجاء شعره معبراً عن هذه المعاناة الصادقة في الانتماء.

إنّ الصلة بين الفرد وقومه حين تكون بهذا المستوى من التلاحم، فإنه من الطبيعي، وفي ظلّ هذه الحالة التي أصبحت فيها القبيلة دولة العربي، أن يحمل الشعراء على عواتقهم مهمات القبيلة لأنها جزء لا يتجزأ منهم فجعلوا شعرهم في خدمتها وقفا على مشاكلها وقضاياها[١].

وهذا طرفة بن العبد يضع نفسه على أهبة الاستعداد إلى نداء القبيلة، فيقول[٢]:

إذا القومُ قالوا من فتىً خِلْتُ أنّني ... عُنيتُ فَلَمْ أكسلْ ولم أتبلَّدِ

ونجد آثار الانتماء القبلي حتى في شعر الصعاليك الذين تمردوا على القبيلة، وآثروا الانفكاك من قيودها، إذ نجد حنيناً إلى القبيلة في قلوبهم.

فالسّليك بن السّلكة تناسى حقده الطبقي والاجتماعي على قبيلته، عندما سمع بأمر الغارة على قومه، فبعث إليهم منبّهاً ومحذّراً[٣]، قال[٤]:

يُكذِّبُني العمرانِ عمرو بن جندبٍ ... وعمرو بن سعدٍ والمكذِّبُ أكذبُ
سعيتُ لعمري سعيَ غير مُعجِّزٍ ... ولا نأنأٍ لو أنني لا أكذّبُ
ثكلتكُما إن لمْ أكُنْ قد رأيتُها ... كراديسَ يُهديها إلى الحيِّ موكِبُ

---

(١) مصعب حسون الراوي، الشعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، ص ١٧.
(٢) طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق دريّة ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م، ص ٤٥.
(٣) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩، ص ٢٤٧.
(٤) السليك بن السلكة، الديوان، قدم له وشرحه سعيد الضناوي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٩٤، ص ٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كراديسُ فيها الحوفزانُ وحولَهُ فوارسُ همّامٍ متى يدعُ يركبُوا
تفاقدتُمْ هلْ أُنكِرنَّ مغيرة مَعَ الصُّبحِ يهديهُنَّ أشقرُ مُغرِبُ

ومن مظاهر التلاحم بين الفرد والقبيلة، أنه إذا تعرّض أحد أفراد القبيلة للأذى والقتل، كان لا يهدأ لبقية أفرادها بال، ولا تسكن نفوسهم حتى يقتصوا من المعتدي، وقد بلغ من كلفهم بالثأر، أنهم كانوا يتجافون النساء والخمر والطيب، لأنها ضرب من التنعمّ لا يليق بحزين موتور ولأنها تلهي وتشغل عن الجِدّ في الثأر(١).

قال المهلهل(٢):

خذ العد الأكيد عليّ عمري بتركي كلّ ما حوت الديارُ
وهجري الغانيات وشربَ كأس ولبسي جبة لا تستعارُ
ولستُ بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليلَ النهارُ
وإلا أن تَبيد سَراةُ بكر فلا يَبْقى لها أبداً أثارُ

والثأر يجعل صاحبه مهموماً حزيناً متألماً، لا يشعر بلذة في الحياة، حتى يأخذ بثأره، كما غبّر المثلّم بن عمرو التنوخي فقال(٣):

إني أبى الله أن أموت وفي صدري همٌّ كأنه جبل
يمنعني لذةَ الشراب وإن كان قِطابا كأنه العسل
حتى أرى فارس الصَّوت على أكسَاءِ خيل كأنها الإبل
لا تحسبني مُحَجلا سَبط السا قين أبكي أن يَظلَعَ الجمل
إني امرؤ من تنوخَ ناصرُهُ محتمِلٌ في الحروب ما احتملوا

(١) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ٢٠٦.
(٢) لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ١٦٤.
(٣) المرزوقي، أبو علي أحمد محمد ابن الحسن، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط ١، دار الجليل، بيروت، ج ٢، ص ١٨، ١٩٩١م. فارس الصموت: يريد به نفسه، والصموت اسم فرسه، محجل: مقيد أو ذو حجلة كالنساء، سبط: رخو.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما إذا كان ثأر الرجل من أحد أبناء قومه إذا اعتدى على أقاربه المقرّبين، فغالباً ما يطوي جراحه ويعفو عنه، وهذا مُظهر من مظاهر الانتماء القبلي عندهم، ونجده على سبيل المثال لدى الحارث بن رعلة الجرميّ عندما قتل أحد أفراد قومه أخاه، حيث يرى أن الثأر منهم يزيد من ألمه، لذلك آثر العفو عنهم. قال[١]:

قومي هم قتلوا أُمَيمَ أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لأعفونْ جللا ... ولئن سطوت لأوهنَنْ عظمي

والعربي كان يرفض أن يترك ثأره لقاء المال فهذا السلوك يلحق به الخزي والعار[٢]، فهذه المرأة من ضبّة تحرّض قومها على الثأر ورفض النوق دية قائلة[٣]:

ألا لا تأخذوا لبُنا ولكن ... أذيقوا قومكم حدّ السلاح
فإن لم تثأروا عمراً بزيد ... فلا دَرّت لبون بني رباح

والنساء كانت تحرّض الرجال على الأخذ بالثأر، ومنهم كبشة أخت عمرو ابن معد يكرب التي قالت[٤]:

فإنْ أنتُمُ لمْ تثأرُوا واتُّديتُمُ ... فمِشّوا بآذانِ النعامِ المصلَّمِ
ولا تردُوا إلاّ فُضول نِسائِكُم ... إذا ارتملتْ أعقابُهُنَّ مِن الدَّمِ

---

(١) الحماسة، ج ١، ص ٧٢.

(٢) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ٢١٢.

(٣) البحتري، حماسة البحتري، ضبطه وعلّق عليه كمال مصطفى، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٢٩، ص ٧٣.

(٤) شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ١١٨. المصلم: صفة لآذان النعام وهي التي لا تسمع. أرادت أن تقول لهم إمشوا أذلاء بآذان مجدعة لا تسمع. إن لم تأخذوا بثأركم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة وراء السّلم

في خضم الصراعات التي كان يشهدها المجتمع الجاهلي ووسط ما كان ينجم عن هذه الصراعات من قتل وسفك دماء وإزهاق أرواح، وترمّل نساء وتثكّل أمهات، وما يصاحبها من خوف وقلق وانعدام الإحساس بالأمن والاستقرار النفسي، تنبّه بعض العقلاء والحكماء إلى الأثر المدمّر للحروب، وما تخلّفه من ويلات وشرور لا يكاد يسلم منها الغالب والمغلوب، فسعوا إلى إقامة الصلح بين المتحاربين، وحقن الدماء.

فهذا عمرو بن معد يكرب يصف بشاعة الحروب[١]:

الحرب أولَ ما تكون فتيةٌ	تسعى بزينتها لكل جَهُول
حتى إذا حَميتْ وشب ضرامها	عادت عجوزاً غيرَ ذات خليل
شمطاء جزَّت رأسها وتنكرت	مكروهةً للشّم والتّقبيل

أمّا النابغة الجعدي فيصف ما تؤدي إليه الحروب من قتل السادة وسلب الأموال والخيول[٢]:

ألم تعلموا ما ترزأ الحرب أهلها	وعند ذوي الأحلام منها التجاربُ
لها السادة الأشراف تأتي عليهم	فتهلكهم والسابحات النجائبُ
وتستلب المالَ الذي كان ربه	ضنيناً به والحرب فيها الحرايبُ

ولقد ارتبطت الدعوة إلى السلم وترك القتال، بدواعي تأكيد صلات الرحم بين المتحاربين. فها هو الربيع بن ضبيع الفزاري يُحذر من قتال ذوي القربى وما تؤدي إليه من تفرّق الأخوة[٣]:

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة، ج ١، ص ١٠٩.
(٢) النابغة الجعدي، شعره، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٩٦٤م، ص ١٨٣ + ١٨٤.
(٣) الربيع بن ضبيع، حياته وشعره، ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حَرَجٍ يا عَبسُ أضحى أخوكُمُ ... وبتُّ على أمرٍ بغيرِ جناحِ

حذارِ حروبَ الأقربينَ وإنَّهُ ... ليأتي افتلاتاً وجهُ كُلِّ صباحِ

أخاكَ أخاكَ إنَّ من لا أخا لهُ ... كساعٍ إلى الهيجا بغيرِ سلاحِ

وإنَّ ابنَ عمِّ المرءِ فاعلم جناحُهُ ... وهَلْ ينهضُ البازي بغيرِ جناحِ

لنا عِظةٌ في الذّاهبين وعِبرةٌ ... تُفيدُ ذوي الألبابِ أمرَ صلاحِ

أمّا أبو قيس بن الأسلت فيشعر بمرارة الحرب بين الأوس والخزرج، وما أصابه فيها من شحوب ونحول أفزع زوجته إلى حدّ الإنكار. فقال[1]:

قالت ولم تَقْصد لقيل الخنا ... مَهلاً فقد أبلغتَ أسماعِي

أنكرتِهِ حين توسَّمتِهِ ... والحرب غُولٌ ذاتُ أوجاعِ

من يذُقِ الحربَ يجد طعمها ... مُراً وتحبِسُهُ بجعجاعِ

ودعا قيس بن زهير قومه إلى السّلم قائلاً[2]:

فيا ابنيَّ بغيضٍ راجعا السِّلم تسلما ... ولا تَشْمِتَا الأعداء يفترق الشَّملِ

وفي أثناء وجود حالة حرب بين فئتين كان الشاعر يوجّه أنظارهما إلى الأضرار التي خلفتها الحرب فيهم، ومعاناتهم من شدائدها، ويحثهم على تركها وإنهائها، والاتفاق على الصلح، حرصاً على مصالحهم، وحفظاً لأرواحهم، ومنعاً

---

(١) المفضليات، الطبعة الثالثة، مفضلية رقم ٧٥، ص ٢٨٤. الخنا من الكلام: أفحشه. الجعجاع: الموضع الضيق الخشن.

(٢) قيس بن زهير، شعره، تحقيق عادل جاسم البياتي، مطبعة الآداب في النجف الشرقي، ١٩٧٢، ص ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لازدياد الخسائر، ونشراً للأمن والطمأنينة، وعوداً إلى الأخوة والصفاء[١].

وقد جاء في كتاب الأغاني: أنه لما نشب النزاع بين سليم بسبب ما وقع بين خفاف بن عمير والعباس بن مرداس. قال مالك بن عوف النضري[٢]:

سُلَيمَ بْنَ منصورٍ دَعُوا الحربَ إنما ... هِيَ الهلْكُ للأقصَيْنَ أوْ للأقارب
ألم تعلَموا مَا كانَ في حَرْبِ وائِلٍ ... وحربِ مرادٍ أوْ لويّ بْنِ غَالِب
تفرَّقَتِ الأحْيَاءُ مِنهُمْ لَجاجةً ... وهمْ بينَ مغلوبٍ ذَليلٍ وَغَالب

وروي في ديوان الحماسة لأبي تمام أن فريقين من بني أسد تنازعا على بئر، ادعاها كل منهما، فقال بعض بني أسد[٣]:

كِلا أخَوَيْنا إنْ يُرَعْ يَدْعُ قَوْمَه ... ذَوِي جَامِلٍ دثرٍ وجَمْعٍ عَرَمْرَم
كِلا أخَوَيْنا ذُو رِجَالٍ كأنهُمْ ... أُسُودُ الشَّرَى مِن كلِّ أغلَبَ ضَيْغَم
فما الرشدُ في أنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمكُمْ ... بَئِيساً ولا أن تَشْرَبُوا الماءَ بالدمِ

وقد كان للأشراف والسادة دور في الوساطة من أجل إقامة الصلح بين المتحاربين، فكانوا يقدّرون ديات القتلى من الفريقين. ومثالها وساطة هرم بن سنان المرّي والحارث بن عوف بين عبس وذبيان، واحتمالهما ديات القتلى، وقد أشاد زهير بهذه الحركة في معلقته. ومن أمثلته ما حدث (يوم سمير): «فقد أرسل إلى ثابت بن المنذر بن حزم، فقالوا له: إنّا حكّمناك. فقال: أخاف أن تنقضوا حكمي كما رددتم حكم عمرو بن قيس. فقالوا: إنّا لا نردّ لك حكماً، فاحكم بيننا. قال: لا أحكم حتى تعطوني موثقاً وعهداً أن ترضوا بحكمي وما قضيت، فأعطوه عهودهم ومواثيقهم، فحكم بأن يؤدي حليف مالك ديّة

---

(١) انظر: علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص ٣٤٩.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، القاهرة ١٣١٣هـ ج ١٦، ص ١٣٦.
(٣) أبو تمام، ديوان الحماسة، القاهرة، ١٩١٣م، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصريح، ثم تكون السّنة بينهم على ما كانت عليه: «الصريح على ديّته، والحليف على ديّته، وأن تعد القتلى الذين أصاب بعضهم ببعض، ثم يعطوا الدّيّة لمن كان له فضل في القتل من الفريقين»[1].

(١) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ٢٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة السّياسيّة

نعني بالحركة السّياسية ذلك النشاط السياسي الذي نهض بأعبائه الشعراء، والمرتبط بمصالح القبيلة وعلاقاتها السياسية مع الممالك والدول والقبائل الأخرى. فقد صوّر الشعر الجاهلي ما كان يقوم به الشعراء من سفارات بين الملوك ورؤساء القبائل تمثيلاً لمصالح قبائلهم ودفاعاً عنها أو التوسط لإطلاق أسرى قبائلهم أحسن تصوير.

وقد كان يتخلل هذه المهمة قيام الشعراء بمدح الملوك، إلاّ أن غرض هذا المدح لم يكن التكسّب الذاتي والشخصي، بل كان لأهداف أخرى أساسيّة وهي الحديث عن قبائلهم وطلباتها، ورأيها في بعض الأمور العامة والخاصة، والمدح كان لاستمالة هؤلاء الملوك إلى جانبهم، وشعر النابغة الذبياني خير مثال على هذا، ويضاف إلى هذا الجانب (تمثيل القبائل أمام الملوك) ما جاء في بعض القصائد من طروحات سياسية واضحة تعبّر تعبيراً واضح الملامح والدلالات عن نشاط الشعراء السياسي[١].

فقد كان الشاعر يتولى المهمات الإعلاميّة في قبيلته «فقد كان صحيفتها السائرة، ولسانها الذي ينشر مفاخرها، ويهجو أعداءها، ويرثي موتاها، ويشيد بمكانتها بين القبائل الأخرى[٢]».

ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت مفتخراً بقومه، فهم زعماء مقدّمون في الشدائد، سديدو الرأي، أمجاد، عدول، تحترمهم الملوك[٣]:

---

(١) انظر: مصعب حسون الراوي، الشعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحسّ القوي، ص ٢٥-٣١.

(٢) أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، الطبعة الثانية، ١٩٦٢، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣٤.

(٣) حسان بن ثابت، الديوان، شرحه عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٨٥. الجحاجح: السادة، سواء المفصل: وسط الصواب أي الحق والسداد، خطابة: خطبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقــد تُقلِّــدنا العشيرةُ أمْــرَهَا ونسودُ يوم النائباتِ ونعتــلي
ويســـود سيدُنَا جحاجــحَ ســادةً ويُصِيبُ قائلُنَا سـواء المفصِلِ
ونُحـاول الأمــرَ المهـم خَطابُــه فيهم ونفصل كل أمــرٍ مُعْضِـل
وتـزور أبــوابَ الملوك ركابُــنا ومتى نُحكِّم في البـرية نَعــدل

ويفخر ربيعة بن مقروم الضّبي، ويذكر أيامهم، وما أظهروا فيها من ضروب الشجاعة، فيقول(١):

بنو الحرب يوماً إذا استـلأمُوا حسبتَـهُمُ فـي الحـديدِ القُرُوما
فِــدىً ببُـــزاخةَ أهـلي لهُـــمْ إذا مـلأوا بـالجُمــوعِ الحــزيما

ومنها ما قاله بعض بني قيس بن ثعلبة(٢):

إنَّا محيـوكِ يا سلمـــى فحيِّينا وإن سقيتِ كرام الناس فاسقينا

وكان الشعراء يتولون مهمة هجاء أعداء القبيلة – كما سبق وأشرنا – فمالك بن نويرة يهجو بني سليط بن يربوع، وهم من تميم لأنهم لم ينصروا قومه يوم (نعف قشاوة) على بكر فيقول(٣):

لحـا الله الفــوارِس من سليـطٍ خُصـوصاً إنَّهمْ سلِمـوا وآبــوا
أجِئتُــم تطلبونَ العُذر عنــدي ولــم يُخـرقْ لكـمْ فيها إهـابُ
دَعتــكُمْ خَلفــكُمْ فأجبتُمُـــوها مجـازِمُ فــي أعاليـها الحُبـابُ

صوّر الشعراء علاقة القبائل بعضها ببعض، والذي يصحّ أن يدعى شعر السياسة الخارجية للقبيلة وهذا الشعر يتناول الأمور المتعلقة بالحرب والسلم والتحكيم والعهود وغيرها بين القبائل.

---

(١) المفضليات، ط ٣٨/٣، ص ١٨٣ + ١٨٤.
(٢) شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ٩٨.
(٣) ابتسام مرهون الصفار، ومالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٨م، ص ٥٥، الإهاب: الجلد ما لم يدبغ. مجازم: الاسقية المملوءة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن جوانب الحياة السياسيّة التي عبّر عنها الشعراء الأيام التي كانت بين القبائل، ومثل هذا ما قاله عبد يغوث الحارثي في يوم الكلاب الثاني لتميم على (مذحج) وهوأسير قوم من تيم، وفيها يُلقي باللائمة على قومه، أن فرّوا عنه، حتى أُسِرَ وهو يدافع عنهم. قال[١]:

ألاَ لا تلومانـــي كفى اللومَ مابـيا ... فما لكمـا في اللوم خيرٌ ولاليـا
جـــزى اللّه قومي بالكُـلاَب ملامـة ... صريحهمُ والآخـرين المواليـــا
ولو شئتُ نجتني من الخيل نهدة ... ترى خلفَها الحُـوَّ الجيـاد توالـيا
ولكنني أحمـــي ذمـار أبيـكُم ... وكان الرماحُ يختطفن المحاميا
أقول وقـد شدوا لسانـي بِنسعَةٍ ... أمعشر تيم أطلقوا لـي لسانيـا

وصوّر الشعراء الأحلاف التي كانت تتم بين القبائل وأشادوا بها أملاً في دوام الصلة وتوثيق عرى التحالف، خصوصاً إذا كان هؤلاء الحلفاء أقوياء. كما كان من النابغة في بني أسد حلفاء قومه بني ذبيان[٢]:

فَهُمْ دِرْعي الّتي اسْتَلأمْتُ فِيهَا ... إلـــى يَومِ النِّسَارِ، وهُمْ مِجَنّي
وهُمْ وَرَدُوا الجِفَـارَ عَلَى تَميم ... وَهُـم أصْحابُ يومِ عُكَاظَ، إنـي
شَهدتُ لَهُمْ مَـوَاطِنَ صَـادقات ... أتيتـهُمُ بِـوُدِّ الصَّـــدْرِ مِنـــي
وهُـمْ سَارُوا لحُجْرٍ في خَميسٍ ... وكَانُوا يـومَ ذلكَ عِنـدَ ظَنّـــي
وهُـمْ زَحَـفُوا لغَسَّـانٍ بِـزَحْفٍ ... رَحِيبِ السَّرْبِ أرعَنَ مُـرجَحِـنّ

أو الإشادة بمن أقاموا الصلح بين المتحاربين، ومثاله ما مدح به زهير بن أبي سلمى هرم بن سنان والحارث بن عوف حين سعيا بالصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء.

---

(١) العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٥٤.

(٢) النابغة الذبياني، الديوان، دار صادر ودار بيروت، تحقيق وشرح كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٢٣ + ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الجوانب الأخرى لنهوض الشعراء بمهام السياسة الخارجية لقبائلهم، ما كان يقوم به الشعراء من تحذير أو نصح أو تنبيه لقبائلهم من العدو سواء كان عدواً خارجياً أو من القبائل العربية المجاورة لهم. يُضاف إلى ذلك، قيام الشعراء بتهديد أعدائهم وتوعدهم إذا أغاروا على قبائلهم، أو قيامهم بتحريض قومهم للغزو والحروب في بعض الأحيان. فقد حمل الشعراء لواء المقاومة الخارجية في قبائلهم، وبقيت قصائدهم صورةً مشرقةً من صور الشعر السّياسي.

وخير ما يُستشهد به في هذا المجال قصيدة لقيط التي قالها لتنبيه قومه وتحذيرهم مما يعدّه لهم كسرى، داعياً إيّاهم إلى التأهب الكامل لذلك. قال[١]:

مالِي أراكُم نياماً في بُلهنِيةٍ ... وقد ترون شِهابَ الحربِ قدْ سطعا
فاشفُوا غليلي برأيٍ منكُمُ حسنٍ ... يضحي فُؤادي لهُ ريّان قدْ نقعا
ولا تكُونوا كمن قد باتَ مُكتنِعاً ... إذا يُقال لهُ: أفرِج غمّةً كنعا
صُونوا جيادكُمُ وأجلو سيوفكُمُ ... وجدِّدُوا للقِسيِّ النبلَ والشَّرَعا

وها هو الأعشى يردّ باسم قومه مهدّداً، ومتوعداً كسرى، عندما طلب من بني شيبان والقبائل المتحالفة معهم تسليمه بعض رجالهم رهائن، يضمن بهم طاعة القبائل وولاءها[٢]:

من مُبلِغٌ كِسرى إذا ما جاءهُ ... عنِّي مآلِكَ مُخمشاتٍ شُرّدُا
آليتُ لا نُعطيهِ مِن أبنائِنا ... رُهناً فيُفسِدُهُم كمن قد أفسدا

---

(١) لقيط بن يعمر الأيادي، الديوان، رواية أبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، تحقيق وتعليق وتقديم خليل ابراهيم العطية، ١٩٧٠، ص ٤١. بلهنية: رخاء ورفاهية، نقعاً: روي، مكتنع: مختشع، ذليل. كنع: خشع وانقبض، الشرعا: الأوتار والدقاق.

(٢) ديوان الأعشى، ص ٢٢٩. مخمشات: مغضبات، شردا: تأتي في كلّ مكان لشهرتها، حش أنار: أطعمها الحطب. الوشيج: شجر الرّماح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلاّ يمـينُ اللّهِ حتّـى تُنزلُـوا … مِن رأسِ شاهقةٍ إلينا الأسـودا
لنُقاتِلنَّـكُمُ علـى ما خيَّلتْ … ولنجعلـنَّ لِمنْ بغى وتمـرَّدا
ما بين عـانةَ والفراتِ كأنّما … حشَّ الغُواةُ بها حريقاً مُوقـدا
فاقعُد عليكَ التّاجُ مُعتصِباً بهِ … لاتطـلبنَّ سوامَنا فتُـعبَّـدا
لاتحسبنّا غافلينَ عـن التّـي … تغشي وجوه القومِ لوناً أسـودا
فلعمرُ جدِّكَ لو رأيتَ مقامنـا … لرأيـت مِـنّا منظراً ومؤيّـدا

أمّا زهير بن أبي سلمى فقد قال مهدداً لبني سليم عندما بلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان(١):

رأيْتُ بَني آلِ امْرِيءِ القَيسِ أصْفَقُوا … عَلَيْنا، وقالوا إنّـنَا نَحْنُ أكثَـر
سُلَيم بْن مَنْصُـورٍ وَأفنَاءُ عامـرٍ … وَسعد بْن بكرٍ والنّصُورُ وَأعْصُرُ
خُذوا حَظّكُمْ يا آلَ عِكْـرِمَ واذكُـرُوا … أواصِرَنَا والرَّحْمُ بالغَيْـب تُذْكَر
وَإنـا وَإيـاكُمْ إلـى ما نَسُومُكُـمْ … لِمَثْلانِ، أوْ أنتُمْ إلى الصُّلْح أفقَر
إذا مَا سَمِعـنَا صَارِخاً مَعَجَتْ بِـنَا … إلى صَـوْتهِ وُرْقُ المَرَاكِلِ ضُمَّـر
وإنْ شُلَّ رَيْـعَانُ الجميع مَخافـةً … نَقـولُ جِهاراً وَيْلكُمْ لا تُنَـفِروُا
عَلَى رِسْلكُـمْ إنّا سَنُعْدِي وراءكُـمْ … فَتَمْـنَعَكُمْ أرْماحُـنَا، أو سَنُـعْذر

فكما رأينا – فإن الشعر الجاهلي غطّى جوانب الحياة السياسية آنذاك، المتمثلة بعلاقات القبائل مع بعضها البعض أو علاقاتها مع الدول الأجنبيّة المحيطة.

وصوّر الشعر ما كان يقوم به الشعراء من حركة للوساطة لفك أسرى قومهم.

---

(١) أبي العباس ثعلب، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الشواهد على ذلك حركة حاتم الطائي إلى عمرو بن هند للتوسط لفك أسرّ قيس بن جحدر ابن خالته ومَن كُان معه من أسرى قومه. فوهبهم عمرو له إلاّ قيس بن جحدر. فقال حاتم له[١]:

فَكَكْتَ عديًا كلها من إسَارها   فأنْعِمْ وشفُعْني بقيس بن جحدر
أبوه أبي والأمهات امّهَاتُنا   فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

ومن الشعراء الذين توسطوا لفك الأسرى، عمرو بن الصعق العدواني، الذي قدم لفك أسر أخته، التي وقعت في أسر عمرو بن الحارث الذي كان يغتصب السبايا، فوقف عمرو بن الصعق في مكان قريب إلى مسامع الملك وأنشد هذه الأبيات علّه يفكّ أسرها مبتدئاً بأبيات في الحكمة يدعو فيها الملك ليتبصر بآيات الله بالكون، ليصل به إلى أن المُلك لا يدوم لأحد، وما يقدّمه الإنسان في دنياه من معاملة لا بد وأن يلقى مثلها. وهو هنا يعرّض بالعادة القبيحة التي كان يمارسها مع السبايا، وقد نجح الشاعر بإقناع الملك بترك هذه العادة، وإخلاء سبيل كل السّبايا، فقال[٢]:

يأيها الملك المهيب أما ترى   صبحاً وليلاً كيف يختلفان
هل تستطيع الشمس أن تؤتى بها   مسياً وهل لك بالصباح يدان
إعلم وأيقن أن ملكك زائل   واعلم بأن كما تدين تدان
أتيت ابن هند طارقاً بعدرقبه   مخافة ما تصطك منه المسامع
قرعت برمحي لهجة فوعظته   وضاقت بأحشائي وقلبي الأضائع

ولقد يطلق الآسر أسيره جزاء مدحة يسمعها ويؤثرها على الفداء[٣]، فقد أسر صعصعة بن محمود أحمد بن جندل، فبعث إليه سلامة بن جندل أبياتاً

(١) الأغاني ١٢٨/١٩ ساس، والديوان، ص ٥٥.
(٢) الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٠٤.
(٣) أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص ١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منها(١):

فإن شئتَ أهدينا ثناء ومِدْحةً وإن شئـت عَدَّيْنَا لكم مائة معاً

فأطلقه وقال: المدحة والثناء أحب إلينا. ومما نجده من مشاركة الشعراء في القضايا السياسية في القبيلة، محاولة الشعراء رسم الصورة المثالية لشخصية رئيس القبيلة أو سيدها.

فقد تحدّث عبيد الأبرص عن الصفات المثالية لسيد القوم، في قوله(٢):

إذا كُنت لمْ تعبأْ بِرأْيٍ ولَمْ تُطِعْ إلى اللُّبِّ، أوْ تُرعي إلى قولِ مُرشِدِ
ولا تتَّقي ذَمَّ العشِيرةِ كُلِّها وَتدفعُ عنها باللّسانِ وباليدِ
وتصفحُ عن ذِي جهلِها وتحوُطُها وتقمعُ عنها نَخْوةَ المتهدِّدِ
وتنزِلُ مِنها بالمكانِ الذي بِهِ يُرى الفضلُ في الدُّنيا على المتحمِّدِ
فَلستَ وإن عللّتَ نفسكَ بالمُنى بذي سؤددٍ بادٍ ولا كَرْبِ سيِّدِ

---

(١) سلامة بن جندل، الديوان، صنعه محمد بن الحسن الأحول، قدم له ووضع هوامشه راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص ٥٢.

(٢) عبيد الأبرص، الديوان، ص ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة وراء الحرية والخلاص من الرّق

نلمس هذا النوع من الحركة في أشعار الرقيق، فقد انتشرت ظاهرة الرّق بكثرة في الجزيرة العربيّة وكان لها أثر في الحياة الشعريّة، وتضمّ طائفة الرقيق الإماء والعبيد الذين كان يتم شراؤهم من أسواق النخاسة، أو إحضارهم من الأمم الأخرى المجاورة، كالحبشة وما جاورها. وقد شكّل هؤلاء ونسلهم أهم مصادر الرقيق لديهم، وقد كان الأسر والسّبيّ في الحروب والغارات من روافد الرقيق الأخرى عندهم. وأحياناً كان يؤدي الفقر إلى الاسترقاق، إلاّ أن هذه الظاهرة كانت ضيقة، فلم يكن الفقر مصدراً من مصادر الرقيق المهمّة.

وقد كان الرقيق في العصر الجاهلي - يقومون بمعظم الأعمال التي كانت معروفة آنذاك، خاصة تلك الأعمال التي يأنف من القيام بها الصرحاء، مثل الرعيّ والحلب.

أمّا الإماء فقد كانت تُستغل للمتعة واللهو من قبل السادة، وقد شكلت طائفة الرقيق واحدة من الفئات المحرومة من معظم حقوقها الإنسانية، فقد كان الرقيق يتعرضون لإذلالٍ ولاحتقارٍ، ولاستهانةٍ بعواطفهم ومشاعرهم الإنسانيّة. إضافة لمشاعر الألم لعدم مساواتهم في المعاملة مع الصرحاء من أبناء القبيلة.

وهذه الضغوطات والفوارق الطبقيّة حريّة بأن تخلق فيهم إحساساً تاماً بالنقص، أدى ببعضهم إلى الاستسلام والقبول بالأمر الواقع، وأدى بالبعض الآخر إلى التمرّد والرفض، والخروج عن طاعة السادة.

وهذا ما كان يعرف بظاهرة (ابق الرقيق). وقد انتشرت هذه الظاهرة عندهم على الرغم من أنها كانت محفوفةً بالمخاطر، وشكّل الأرقاء الأبقون رافداً من روافد الصعلكة في العصر الجاهلي، فالتصعلك يهيء لهم الفرصة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للتنفيس عن غضبهم ونقمتهم على قبيلتهم من خلال ما كانوا يقومون به من غارات عليها، وعلى غيرها من القبائل، ونذكر في هذا المجال السليك بن السلكة الذي رفض العبودية مؤثراً حياة التصعلك.

وأمّا الفئة الثالثة فكان ما تتعرض له من ذلّ واحتقار، دافعاً للتسامي والاستعلاء في السلوك والتصرفات. فحرصوا على إظهار ضروب الفروسية والشجاعة، أملاً في أن يجعلهم ذلك أهلاً في عيون سادتهم فيحررونهم. وخير مثال على هذا النوع عنترة الذي أكثر من الفخار بشجاعته بدلاً من فخاره بأمه. قال(١):

يُنَادُوني وَخَيْلُ المَوْتِ تجْرِي: مَحَلُّكَ لا يُعَادِلُهُ مَحَلّ
وَقَدْ أمْسَوْا يَعيبُوني بأمّي وَلَوْني كُلّمَا عَقَدُوا وَحَلّوا
لقد هانَتْ صُرُوفُ الدّهْرِ عندي، وَهانَتْ أهْلُهُ عِنْدي وَقَلّوا
وَلي في كُلّ مَعْرَكَةٍ حَديثٌ، إذا سَمِعَتْ بِهِ الأبْطَالُ ذَلّوا
قَطَعْتُ رِقابَهُمْ وَأسَرْتُ مِنْهُمْ وَهُمْ في عُظْمِ جَمْعِهِمِ استَقَلّوا

وقال(٢):

وإن كنتُ في عدد العبيد فهمتي فوق الثريا والسّماك الأعزل
أو أنكرتْ فرسان عبس نسْبَتي فسنان رُمحي والحسامُ يقرُّ لي
وبذابلي ومهندي نلتُ العلا لا بالقرابة والعديد الأجزل

وهذا هو خفاف بن ندبة يؤكد ما أكده عنترة من قبله، أنه رغم سواد لونه فهو سيد قومه. فقال عن نفسه وعن العباس بن مرداس وهو ابن أمة مثله(٣):

كلانا يسوده قومه على ذلك النسب المظلم

وقد كان خفاف يحاول تأكيد صفات الفروسية والقوة والشجاعة، من

---

(١) عنترة، الديوان، دار صادر، بيروت، ص ١٨٩.
(٢) عنترة، الديوان، ص ٩٧، السّماك الأعزل: نجم نير.
(٣) الشعر والشعراء، ص ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلال فخره بنفسه، كنوع من التعويض عن أحساسه بالنقص الناجم عن سواده، كوسيلة أو شهادة تؤهله إلى أن يعترف به قومه ويتحرّر.

وهذا الدفاع عن النفس، وهذا التأكيد على البطولة والفروسية والشجاعة التي نلمسها في أشعار الرقيق، ومن أصبح منهم صعلوك، يدلّ على ألم دفين من التفاوت الطبقي في مجتمعهم، وإحساس كبير بالنقص، ويعبّر عن سخط وحقد على المجتمع الذي عاملهم هذه المعاملة.

ولم يصل إلينا من شعر الأرقاء في العصر الجاهلي إلاّ القليل، ولعلّ أهم شاعرين ينتميان لطبقة الرقيق ممن وصل إلينا بعض شعرهم هما عنترة وسحيم بن عبد الحسحاس[١]. فعنترة لم يستطع الخلاص من العبودية حتى بعد أن تحرّر ويظهر في شعره شعوراً حاداً بالنقص، وتوضح معلقته بصورة خاصة محاولته الدائمة للبحث عن التوازن النفسي، ويحاول الوصول إلى ذلك بالإلحاح على الحديث عن فعل القوة والبطولة لديه. أما سحيم فقد استخدم قدرته الشعرية المتفوقة وسيلة يحلم بها في الوصول إلى المرأة التي لم يستطع - فيما يبدو - الوصول إليها في الواقع، وكان شعره في الوقت نفسه سلاحه الأساسي في مهاجمة قومه وأغاظتهم، وذلك بالنيل من أعراضهم، يحاول بذلك الانتقام لحياة العبودية البائسة المحرومة التي عاشها بينهم[٢].

---

(١) انظر: أيمن الأحمد، الرّق في العصر الجاهلي، رسالة الماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٨م.
(٢) المصدر السابق، ص ١٥٠ - ١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حركة الزمن وأثرها في الشعر الجاهلي

نظر الإنسان الجاهلي إلى حركة الزمان نظرة سلبيّة، فرآها تجلب الدمار والفناء والزوال في كل شيءٍ حوله، وفي كلّ أمور حياته. ولهذا نجده خائفاً وجلاً متردداً قلقاً من المستقبل، يترقب بخوف وقلق ما تحمله له الأيام القادمة من معاناة وقسوة. ولهذا نجده - في الغالب - يحنّ إلى الماضي، وكثيراً ما عبّر الشعراء عن نظرتهم السابقة لحركة الزمان من خلال المقارنة بين الماضي السعيد والحاضر أو المستقبل المؤلم الحافل بالمعاناة والقسوة. ولكن، ما سبب هذه النظرة لديه إلى حركة الزمن؟!

إن سبب نظرة الإنسان الجاهلي السلبية لحركة الزمان نابع من ظروف حياته، فهو يعيش حياةً قاسية لا تعرف الأمن والاستقرار، نظراً لاعتماده بصورة أساسية على نظام اقتصادي رعوي فرضته عليه البيئة الجغرافية والطبيعية التي يعيش فيها، والتي تمتاز بأراضيها الجافة القاحلة، ومناخها الصحراوي، الذي يتميّز بالحرّ الشديد، وقلّة الأمطار وتذبذب سقوطها. مما جعله مضطراً إلى الحركة الدائبة والمستمرة وراء مساقط الأمطار والكلأ. وهذه الحركة لا تخلو من معاناة وألم وهوان لأفراد القبيلة. وتواجه خطر التوهان والضياع في الصحراء القاحلة.

فمن الطبيعي أن يسكن القلق والخوف قلب الإنسان الجاهلي من حركة الزمان، فهو لا يضمن موارد رزقه (الكلأ والماء) لفترة طويلة يترقب زوالها في كل لحظة لأنه لا يسيطر عليها ولا يتحكم بها، فهي مرهونة بالطبيعة التي لا سطوة له عليها. ولذا فهو يشعر بالتهديد الدائم على حياته وعلى موارد رزقه. فهو إن سلم من الطبيعة وشرورها لا يأمن شرّ الإنسان الآخر الذي يعيش معه في تلك البيئة الجغرافية والمناخيّة، والذي ينافسه على خيراتها الشحيحة. وهذا جعله يضطر للحروب والغارات والغزو. وفي ظل هذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصراع على البقاء كان يشعر بالتهديد المستمر على حياته وعلى ماله وحماه ومراعيه الخصبة. فلا أمان ولا طمأنينة مع ذلك فحياته كانت كما وصفها دريد ابن الصمة في قوله(١):

يُغارُ عَلينا واترينَ فيُشتفَى بنا إنْ أُصِبْنا أو نُغيرُ على وِتْرِ

قَسمنا بذاكَ الدهرَ شَطْرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على شَطْرِ

ولذا كان العربي يتشائم من الصباح، لأنه يترقب فيه بكل قلق الغزو والغارة على حماه.

فالعامل الاقتصادي - كما نرى - وطبيعة حياتهم القائمة على الحركة كانا السبب في هذا الخوف والقلق من حركة الزمان التقدمية (المستقبل). فهذه الحركة تحمل له المعاناة والمتاعب، فتؤدي إلى الرحيل، وإلى جدب المكان وجفاف الكلأ، وتؤدي إلى جفاف عيون الماء، وتقود إلى الحروب والغزوات وتقلب أمنه واستقراره إلى فوضى واحزان. وحركة الزمن قد تؤدي تبعاً لذلك إلى الجوع والفقر وهي عامل في انقضاء العمر والموت وهي السبب في المشيب وما يرافقه من ضعف وعجز.

كل ذلك جعله يحنّ إلى الماضي (حركة عكسية للزمان) ولهذا نجد الشعراء في حديثهم عن المستقبل وما يحمله من شرور، يقارنون ذلك بالماضي وما فيه من ذكريات سعيدة.

وسنحاول الآن بيان كيف نظر الشاعر إلى حركة الزمان وما تحدثه من تغيرات في كلّ ما حوله من خلال ما ظهر في أشعارهم.

يرى طرفة بن العبد أن حركة الزمان سبب في انقضاء أيام العمر. قال(٢):

---

(١) ديوان دريد بن الصمّة، تحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة، ١٩٥١، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) طرفة بن العبد، الديوان، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرى العيْشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ وما تَنْقَصُ الأيامُ والدهرُ يَنْفَد

وحركة الزمن سبب في موت الأهل والأحبة برأي عمرو بن قميئة[١]:

كبرت وفارقني الأقربون وأيْقَنَت النفس ألاّ خلودا
وبان الأحبّة حتى فنوا ولم يترك الدّهرُ منهم عميدا

والخنساء تعزي نفسها بموت أخيها بحتمية الموت التي يجلبها الدهر[٢]:

إنْ يَسكُ هذا الدّهْرُ أوْدَى بِهِ وصارَ مَسْحاً لَجاري القِطَارْ
فكلُّ حيٍّ صائرٌ للبلى وكلُّ حَبْلٍ مَرّةٍ لانْدِثار

ويؤكد المعنى السابق ربيعة بن غزالة في قوله[٣]:

لا يُوْئل الدهرُ من صَرْف الرَّدى أحداً والموت إن أكُ مِنْه هارِبا لَحِقا

وحركة الزمان سبب في تغيّر ملامح الدّيار ورحيل الأهل عنها، بعد أن آنسوا فيها شيئاً من الاستقرار فحلّت فيها الحيوانات. كما قال المرقش الأكبر[٤]:

هل تعرف الدّار عفا رسمُها إلاّ الأثافي ومَبْنَى الخِيَمْ
أعرِفها داراً لأسماء فالدمع على الخدّين سَحٌّ سَجِمْ
إلاّ من العِين، تَرعى بها كالفارسيِّين مَشوا في الكُمْ

فالدّيار - في تصوّر زهير بن أبي سلمى - ألعوبة بين يدي الزمن،

---

(١) عمرو بن القميئة، الديوان، ص ١٨٨.
(٢) الخنساء، الديوان، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠، ص ٧٠.
(٣) حماسة البحتري، ص ١٣٦.
(٤) الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١٠١٩ - ١٠٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتلهى بها ويتخذها مادةً لعبثه(١):

لمــن الدّيــارُ بقُــنّة الحِجْــر   أقويــن من حججٍ ومــن شهــر
لعــب الزّمــان بها وغيّــرها   بعدي سَــوافي المُــورِ والقَطْــرِ

وسيرورة الزمن سبب في تفرّق الأحبة ورحيلهم. قال زهير(٢):

عفــا من آل فاطمــة الجــواء   فيمــن فالقــوادم فالحــساء

وقال الأعشى(٣):

بانت سعاد وأمس حبلها انقطعا   واحتلت الغمر فالجُدَّيْن فالفرعا

وحركة الزمان سبب في ذهاب الأمن والاستقرار والغنى، وسعة العيش والخصب – التي كانت تعيشها القبيلة، قبل أن ترحل، قال طرفة(٤):

بما قد أرى الحيَّ الجميعَ بغِبْطَةٍ   إذ الحــيُّ حــيٌّ والحُــلول حــلولُ

وقال المرقش الأصغر(٥):

أضحــتْ قِفاراً وقــد كان بــها   في سالف الدّهْرِ أرْبابُ الهُجومْ

ويشاطرهم الرأي حسان بن ثابت في قوله(٦):

وإذ نحــنُ جيرانُ كثــيرُ بِغِبْــطَةٍ   وإذ ما مضى من عَيْشنا لم يُصَرَّمِ
وكــلُّ حثيثِ الوَدْقِ مُنْبَعِقِ العُــرى   متى تُزْجِه الرّيحُ اللواقِحُ يَسْـجُمِ
ضعيفِ العُرى دانٍ من الأرضِ بَرْكُهُ   مُسِفٌ كمِثْل الطَّــوْد أكظَمَ أسْحَـمِ

---

(١) أبو العباس ثعلب، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ط ١، ص ٧٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.
(٣) الأعشى، الديوان، دار صادر، بيروت، ص ١٠٥.
(٤) طرفة، الديوان، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، ١٩٧٥، ص ٨٢.
(٥) المفضليات/ ٥٨، ص ٢٤٨، والهجوم: جمع هجمة، وهي القطعة من الإبل.
(٦) حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٦٢. الودق: المطر، المنبعق: الكثير الصب، بركة: صدره، الأكظم: الممتلىء، الأسحم: الأسود.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحركة الزمان سبب في الشيخوخة وكبر السنّ، ورحيل حياة الشباب، حياةَ القوة والعطاء والتجدد.

والأعشى يرى أنّ حركة الزمان سبب في المشيب الذي يحرم الإنسان من لذة الحياة، وهو سبب في انصراف الغواني عنه. قال(١):

أثْوى وقَصَّرَ لَيلةً ليُزوِّدا ... فمضَتْ وأخلفَ من قُتَيْلَةَ مَوْعِدا
ومضى لحاجَتِه وأصبح حَبْلُها ... خَلَقا وكان يَظُنُّ أنْ لن يُنْكَدا
وأرى الغوانيَ حين شِبْتُ هَجَرْنَني ... أن لا أكونَ لهنَّ مِثْلِي أمْرَدا
إنَّ الغوانيَ لا يُواصِلنَ امرَءاً ... فقد الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأمْرَدا

أمّا سلامة بن جندل فيرثي الشباب رثاءً حارّاً(٢):

أوْدى الشبابُ حَميدا ذو التّعاجيبِ ... أودى وذلك شَأْوٌ غيرُ مَطلوبِ
وَلّى حَثيثا وهذا الشَّيْبُ يَطْلُبُه ... لو كان يُدْرِكُهُ رَكْضُ اليَعاقيبِ
أودى الشباب الذي مَجْدٌ عواقِبُهُ ... فيه نَلَذّ ولا لَذّاتِ للشّيبِ
وللشّباب إذا دامَت بشاشَتُهُ ... وُدُّ القُلوب من البيض الرَّعابيبِ

وحركة الزمان سبب في رحيل القبيلة بحثاً عن مواطن الكلأ والماء وما يرافق ذلك من آلام ومعاناة فهذا الرحيل كان يُبكي المثقب العبدي ويكاد يفقده السمع والبصر(٣):

هل لهذا القلب سمْعٌ أو بَصَرْ ... أو تَناهٍ عن حَبيبٍ يُدَّكَرْ
أو لدَمْعٍ عن سَفاهٍ نِهيَةٌ ... تُمْتَري منه أسابِيُّ الدِّرَرْ

---

(١) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، الديوان، ط ٧، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٧٧. ينكد: يمنع.

(٢) المفضليات، ٢٢، ص ١١٩ - ١٢٠، انظر أيضاً: ديوان سلامة بن جندل، ص ٨٨، الشأو: السبق، اليعاقيب: جمع يعقوب وهو ذكر الحجل، خصه لسرعته، الرعبوبة: الجارية البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة.

(٣) المثقب العبدي، الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١م، ص ٦٢. تمتري: تستخرج، الأسابي: طرائق الدمع، الدرة: صب السحاب الماء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن رأى ظُعناً لليلى غُدْوَةً   قد علا الحَزْماء منهنَّ أسَرْ

وهذا الرحيل كان سريعاً مفاجئاً للقوم كما قال بشر[١]:

ألا ظَعنَ الخَليطُ غَداةَ رِيعُوا   بشَبْوَةَ فالمَطيُّ بنا خُضوعُ
أجَدَّ البَيْنُ فاحتَملوا سِراعا   فما بالدّارِ إذ ظَعنوا كَتيعُ

وحركة الزمان تأتي بالمصائب والويلات والنكبات كالحروب التي تودي بالعيش الهنيء. وعبّر عن ذلك بشر بن أبي خازم، فقال[٢]:

فقدْ كانتْ لنا ولهنّ حتى   زَوَتْنا الحربُ أيّامٌ قِصارُ

ويظهر ذلك الأثر المدمر لحركة الزمان في قصص الحيوان التي يوردها الشاعر، والتي يرمز بها لمعاناته وطبيعة حياته. إذ يعرض علينا صورةً لهذه الحيوانات وهي تعيش حياةً هانئة، وترتع في مكان خصيب، لكن هذا النعيم لا يلبث أن يزول، وينقلب إلى شقاء، ومعاناة مصدرها الطبيعة القاسية، أو الصياد وكلابه أو كلاهما معاً. فلو أخذنا الثور الوحشي نجد أن الشعراء كانوا يصورونه يتنعّم ويرتع في مكان خصيب فيأتي الليل حاملاً معه الريح والبرد والمطر، فيحتمي بشجرة الأرطى، قال الأعشى[٣]:

فباتَ عَذوبا للسّماءِ كأنّما   يُوائِمُ رَهْطا للعَزوبَةِ صُيَّما
يلوذُ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ تَلُفُّه   خريقُ شِمالٍ تترك الوجهَ أقْتَما
مُكبّا على رَوْقَيْهِ يَحْفِرُ عِرْقَها   على ظَهْرِ عُرْيانِ الطَّريقَةِ أهْيَما

وما أن ينقشع الليل، ويأتي الصباح حتى تبدأ معاناة الثور من جديد مع

(١) بشر بن أبي خازم، الديوان، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤م، ص ١٢٩. الكتيع: المنفرد من الناس.
(٢) بشر بن أبي خازم، الديوان، ص ٦٦.
(٣) الأعشى، الديوان، ص ٣٤٥، عذب الرجل: ترك الأكل من شدة العطش. العزوبة: الأرض البعيدة المضرب إلى الكلأ، أهيَم: منهار.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصائد والكلاب، فيهرب وتلاحقه الكلاب، فيجد الثور نفسه مضطراً للقتال. ونتيجة هذا الصراع تكون لصالح الثور، قالَ أوس بن حجر[١]:

ولّى مُجداً وأزْمَعْنَ اللّحاقَ به ... كأنّهنّ بجَنْبَيْه الزّنابيرُ
حتى إذا قلتَ نالتْهُ أوائلُها ... ولو يَشاءُ لنجّتْهُ المَثابيرُ
كرّ عليها ولم يفْشَل يُهارِشُها ... كأنه بتواليهنّ مَسْرورُ
فشكّها بذَليقٍ حَدُّهُ سَلِبٌ ... كأنّه حين يَعْلوهُنّ مَوْتورُ

وانتصار الثور يظهر نوعاً من التفاؤل بحركة الزمان. وهذا يعبرّ عن أمل وحلم داخل نفس الشاعر بأن ينتصر بمرور الأيام على التحديات التي تواجهه سواء أكانت الإنسان الآخر أو الطبيعة القاسية.

أما البقرة الوحشية فتتلخص قصتها بأنها تغفل عن ولدها بذهابها مع بعض الثيران، وتدفع ثمن متعتها غالياً، حيث تأكل السّباع ولدها. فحركة الزمان جلبت الحزن والألم إليها.

والتفاؤل بحركة الزمان الذي لمسناه في قصة ثور الوحش[٢]، نجده أيضاً في قصة حمار الوحش وقصة الظليم، حيث تبدأ كل منهما بالسعادة والنعيم في العيش الذي ما يلبث أن ينقلب، ويتغيّر إلى شنقاء، سرعان ما ينقشع.

---

(١) أوس بن حجر، الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٤٣. المثابير: من المثابرة، يفشل: يفتر، يهارشها: يناوشها، ذليق: حادّ ويعني قرنه.

(٢) أحياناً قد يجعل الشاعر الثور يموت وكأنه يبيّن وراء ذلك أن حركة الزمان قد تؤدي إلى الحياة أو إلى الموت بالوقت ذاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة وراء المتعة واللهو

ظهرت هذه الحركة في الشعر الجاهلي في ثلاثة أنواع رئيسية هي:

١ - الحركة نحو المرأة، وتظهر في قول عبيد رداً على المرأة التي هجرته[١]:

إن رأتْني تغيَّرَ اللونُ مني ... وعلا الشَّيْبُ مَفْرِقي وقَذالي
فبما أدْخُلُ الخِباءَ على مَهْـ ... ـضومَةِ الكَشْحِ طَفْلَةٍ كالغَزالِ

٢ - الحركة لشرب الخمر، وقد عبّر حاتم الطائي عن ولعهم بها واستعدادهم للمخاطرة من أجل الوصول إليها. قال[٢]:

أماويَّ إما مِتُّ فاسْعَيْ بنُطْفَةٍ ... من الخمر ريّا فانْضَحِنَّ بها قَبري
فلو أن عَيْنَ الخمرِ في رأسِ شارفٍ ... من الأُسْدِ وَرْدٍ لاعْتَلَجْنَا على الخَمر

٣ - والحركة من أجل الصيد، ونجدها عند الأسود بن يعفر في قوله[٣]:

ولقد غَدوْتُ لعازبٍ مُتَناذَرٍ ... أحْوى المَذانِبِ مُؤْنِقِ الرُّوّادِ
جادَتْ سواريه وأزرَ نَبْتَه ... نُفَأٌ من الصَّفْراءِ والزُّبّادِ
بالجَوِّ فالأمَرات حَوْلَ مُغامرٍ ... فبِضارِجٍ فقَصيمَةِ الطُّرّادِ

والحركة نحو اللّهو بأنواعها جاءت ضمن اتجاهين: اتجاه يصدر عن نعيم وترف، وفراغ لا يقتله إلاّ الإغراق في الملذات واللّهو، وخير من يمثل هذا الاتجاه امرؤ القيس وحركته نحو الملذات.

واتجاه آخر يصدر عن فلسفة عميقة ترى الحياة قصيرة وترى الموت،

---

(١) عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق حسين نصار، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٥م، دار صادر، بيروت، ص ١١٤.

(٢) حاتم الطائي، الديوان، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت. شارف: كبير. اعتلجنا: اصطرعنا.

(٣) المفضليات، ط ١، مفضلية رقم ٤٤، ص ٢١٩. المذنب: المسيل من الحرّة إلى الوادي، الأحوى الذي اشتدت خضرته حتى ضرب إلى السواد، الصفراء والزبّاد: نوعان من الخشب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والفناء يتربص بالحياة ويلازمها، فتؤثر الإقبال على المتع والملذات، لتشغل بها عن ترقب الموت وانتظاره، فبما أن الحياة فانية فلماذا لا نستمتع بها؟! كان هذا شعارهم.

وممن يمثلون هذا الاتجاه، طرفة بن العبد في معلقته التي سنأتي على تحليلها في الصفحات القادمة.

وقد ذكر الجاحظ أبياتاً لشاعر قديم تمثل الاتجاه السابق، الاتجاه الدّاعي إلى التشبع من ملذات الحياة وشرب الخمر قبل أن يدركه الموت قال[١]:

قومي اصبَحيني فما صنيع الفتى حجرا
لكن رهينة أحجار وأرْماس
قومي اصبحيني فإن الدهر ذو غِيَرٍ
أفنى لُقيماً وأفنى ال هِرْماس
اليوم خمر، ويبدو في غد خبرٌ
والدهر من بين إنعام وإيآس
فاشرب على حدثان الدهر مرتفعاً
لا يصحب الهَمُّ قرع السن بالكاس

ويأتي تصوير الشاعر لقدرته على اللّهو بأنواعه في إطار تعبيره عن امتلاك عناصر القوة والحيوية في محاولة لتجاوز إحساسه بمأساوية واقعه الذي تجلّى في مقدمة القصيدة، ويأتي هذا التصوير في كثير من الأحيان رداً مباشراً على المرأة التي رحلت عنه، وهجرته بسبب تقدمه بالسن[٢]، والمرأة رمز لحياة الخصب الراحلة عن المكان، مخلفةً وراءها القفر والقحط ومسببةً

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح أحمد العوامري وعلي الجارم، مطبعة دار الكتب، ١٩٤٠، الجزء الأول، ص ١٦٤. هرماس: نهر نصيبين، أرماس: قبور.

(٢) أيمن الأحمد، مجاز القرآن وسنن العرب في كلامها، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٦م، ص ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لرحيل القوم، وما يكتنف ذلك من معاناة. فكأن الشاعر من خلال حديثه عن لهوه يتحدى الطبيعة وقساوتها، وما تحدثُه من دمارٍ في دياره، فهو لا يخضع لهذه الطبيعة ولا يتأثر بتغيّراتها وقسوتها، فهو يقابل كل ذلك باللّهو.

فامرؤ القيس يردّ رداً قاسياً على بسباسة التي تسخر منه، وتعيّره بكبره وعدم قدرته على اللهو[١]:

ألا زعمَتْ بَسْباسةُ اليوم أنني ... كَبِرتُ وألاّ يُحسن اللّهوَ أمثالي
كذبتِ لقد أُصبي على المرءِ عرسَهُ ... وأمنعُ عِرْسي أن يُزَنّ بها الخالي

والردّ ذاته يقدمه الأسود بن يعفر على المرأة الراحلة، مؤكداً قدرته على اللّهو وعلى شرب الخمر رغم تقادم العمر، قال[٢]:

إما تَريني قد بَليتُ وغاضَني ... ما نِيلَ من بَصَري ومن أجَلادي
وعَصَيْتُ أصحابَ الصَّبابَةِ والصِّبا ... وأطَعْتُ عاذِلتي ولانَ قِيادي
فلقد أروحُ على التّجارِ مُرَجّلا ... مُذِلا بمالي لَيّنا أجْيادي
ولقد لَهَوتُ وللشّباب لَذاذة ... بسُلافَةٍ مُزِجَتْ بماءِ غَوادي

وتجدر الإشارة - أخيراً - إلى أن حديث الصيد ينسحب عليه ما جاء مقدماً، فقد جاء الحديث عن الصيد في إطار اللّهو والمتعة - في جلّه - ولم يأتِ في إطار كسب الطعام والرزق، لأن العرب كانت تحتقر مهنة الصيد وتزدري من يقوم بها، بدليل أن صورة الصائد الذي هدفه الكسب والبحث عن الطعام لأولاده كانت صورة بائسة. فالصيد يعبر عن مرحلة إنتاجيّة سابقة تجاوزها العربي لهذا كان العرب يعيّرون بالصيد. قال عمرو بن معد يكرب[٣]:

---

(١) امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢٨.
(٢) المفضليات، ط ٦، ص ٢١٨.
(١) عمرو بن معد يكرب، شعره، جمعه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص ٦٥ - ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابنـــي زيـــادٍ أنتـمُ في قومِـكمْ ذَنَـبٌ ونحن فـروعُ أصْلٍ طَيِّبِ
نصـلُ الخميسَ إلى الخميس وأنتمُ بالقَهْـرِ بين مُـرَبِّـقٍ ومُكَـلَّبِ

وقد كان الشعراء يفتخرون بالصيد من أجل المتعة ويعتبرونه مظهراً من مظاهر القوة والرجولة والحيوية، قال عبد المسيح بن عسلة[1]:

باكَـرْتُهُ قبل أن تَلْغـي عصـافِرُهُ مُسْتَخْفيا صاحبي وغَيرُهُ الخافي

(١) المفضليات، ط ٦، المفضلية رقم ٧٣، ص ٢٨٠. تلغي: تصيح، صاحبه هنا: فرسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية على الحركة في الشعر الجاهلي
في مجموعة من القصائد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة امرىء القيس

بعد النظر في معلقة الشاعر امرىء القيس لاحظتُ أنَّ الحركة عنده هدفها الأساسيّ طلب اللّهو والمتعة والصيد، ولا عجب في ذلك فهو ابن ملك منعّمٍ مترفٍ لا يكاد يحمل همّاً.

والمعلقة تضجّ بالحركة، فكل ما جاء فيها كان متحركاً، وقد ظهرت هذه الحركة في عناصر القصيدة كافة؛ في حديث الطلل والمرأة وفي حديث الصيد والفرس وفي وصف اللّيل، وفي وصف المطر، والسّيل الناتج عنه. وسنقوم الآن برصد ظواهر الحركة التي برزت في هذه العناصر.

ابتدأ الشاعر القصيدة بالطلب من أصحابه الوقوف على أطلال الحبيبة الراحلة عن المكان، فهذا يعني أنه كان هو وأصحابه متحركين مرتحلين، وفي أثناء رحيلهم مرّوا بديار الحبيبة الظاعنة، فاستوقفهم الشاعر ليشاركوه البكاء. وهذا يعني – إضافة إلى ذلك – أن المرأة التي يبكيها الشاعر هي امرأة بدوية مرتحلة متحركة لا تثبت ولا تستقر في مكان؛ فهي تتنقل باستمرار، من سقط اللّوى فالدخول فحومل فالمقراة... الخ. وما ذكره لهذه الأماكن بشكل متتابع إلاّ ليعبّر عن استمراريّة حركة تلك المرأة واستحالة استقرارها وثباتها في مكان. وحتى عندما وصف الشاعر قومها لم يصفهم وهم مستقرون، بل وصفهم وقد تأهبوا للرحيل، فقال[1]:

كأنّي غَداةَ البَين يومَ تَحَمّلوا لدى سمُرات الحيِّ ناقفُ حنظلِ

وقد أعلن الشاعر أن الحركة ناموس تسير عليه حياتهم عندما كان يواسي نفسه بعد رحيل صاحبته عنه، فهي كغيرها من النساء (أم الحويرث

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجارتها أمّ الرّباب) اللواتي أحبّهن الشاعر ثم ارتحلن. فهو قد اعتاد على رحيل الأحبة، فما نفع البكاء إذن؟!، قال[١]:

كدأبِكَ من أمِّ الحُوَيرثِ قبلها وجارتِها أمِّ الرَّبابِ بِمأسَلِ

فلا بدّ من التسليم والخضوع لناموس الحياة القاضي بحتمية الرحيل والحركة على الإنسان الجاهلي الذي كان يعيش في تلك البيئة القاسية.

وأمّا مغامراته النسائية التي أوردها في المعلقة فنجد بعضها قد قام به مع نساء ارتحلن، وبعضها الآخر قام به أثناء رحيل القبيلة، ومثال ذلك قصة لهوه يوم دارة جُلجل، فقد حدثت أثناء الرحيل بدليل قيامه بعقر مطيته للعذارى. والمطيّة هي الرّكوبة التي كان يستخدمها للرحيل، وهي أعزّ شيءٍ عليه في ذلك الوقت كما أن «دارة جلجل» عبارة عن غدير ماء استراحوا عنده بعض الوقت أثناء رحيلهم قال[٢]:

ألاَ رُبَّ يَومٍ لكَ منهنَّ صالحٍ ولا سيّما يومٍ بدارَة جُلجُلِ
ويوم عَقرْتُ للعذارى مطيّتِي فيا عجباً من كُورها المتحمَّل
فظَلَّ العذارى يرتمين بلحمها وشَحمٍ كهدّاب الدمقسِ المُفتَّل

ومثلها قصة لهوه مع (عنيزة)، فقد حصلت أثناء رحيلهم فقد كان يداعبها وهي مرتحلة على الهودج[٣]:

تقولُ وقد مال الغبيطُ بنا معاً عقرْتَ بعيري، يا امْرأ القَيس، فانْزلِ
فقلتُ لها سِيري وأرخي زمامَهُ ولا تُبعدينِي من جَنَاكَ المُعلَّل

كما أنّ المكان والزّمان الذي كان يلتقي فيهما امرؤ القيس بصاحباته

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٣٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٤ - ٣٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشي بطبيعة الحياة البدوية القبليّة التي كان يعيشها شاعرنا وقومه والتي عمادها الأساسي الحركة. فلم يكن شاعرنا يُلتقي بصاحباته في نادٍ أو مقهى إنما على ظهر كثيب من الرمل كما يقول[١]:

ويوماً على ظهر الكثيب تعذَّرَت   عليَّ، وآلت حلْفَةً لم تُحلَّلَ

أو في بطن خبت ذي حقاف عقنقل[٢]:

فلمَّا أجزْنا ساحةَ الحيِّ وانتحى   بنا بَطنُ خَبتٍ ذي حقافَ عقنقل

فاللقاء كان يتم وسط التلال على رمال الصحراء التي هي البيئة الواقعية التي كان يعيش فيها. وأمّا زمان اللقاء فقد كان يقدّره بناءً على حركات النجوم والكواكب. ولم يكن يعتمد على أداة متطورة في قياس الزمن. مما يدلنا على أنه شاعر قبلي مغرقٌ في البداوة. ومثل ذلك أنه قد أتى إحدى صاحباته ليلاً عند رؤية نواحي الثريا. قال[٣]:

إذا ما الثُّرَيّا في السماء تَعرَّضتْ   تَعرُّضَ أثناء الوشاح المُفصَّل

فكما لاحظنا فإن قصص لهوه تدل على طبيعة الحياة البدويّة القبلية التي كان يعيشها والقائمة على الحركة المستمرة.

وقد صوّر امرؤ القيس جمال المرأة التي كان يلهو معها. ونلاحظ أنه كان يختار لقطات ومشاهد حيّة متحركة لا ساكنة لجسد المرأة. فهي عندما تلتفت إليه يتضوع منها نسيم الصّبا الممتزج برائحة القرنفل، وهذا الوصف فيه حركة. أمّا نظرتها فهي كنظرة وحشٍ مطفل وهي نظرةٌ فيها خوفٌ وترقبٌ والتفات، وكلُّ ذلك فيه حركة. وأمّا جيدها فهو كجيد الرّئم ليس هو ساكن

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثابت إنما إذا هي نضّته أي رفعته فهو يشبه جيد الرئم في حركته لا في سكونه، وشعرها جميل وهو نازل على المتن وهذه الصورة فيها حركة أيضاً.

وقد كان شاعرنا يستمدّ صوره تلك من عناصر البيئة الصحراوية التي يعيش فيها. مثل الرئم، والوحش المطفل، والنخل المتداخل أغصانه بعضها ببعض والتي شبّه فيها شعرها لغزارته، وأنبوب السقي الذي شبّه به ساقها.

وأمّا الليل، فقد ضجر منه الشاعر لأنه ساكنٌ لا يتحرك فهو يكره السكون، لأن السكون والثبات يساويان الموت عنده. فالحركة هي عصب حياته إذن. ولهذا نجده يتوسل إلى الليل ويرجوه أن يتحرك ليحل محله الصباح وإزاء هذا الألم واليأس الذي يشعر فيه والذي عبّر عنه بطول الليل، نجده لا يرى حلاً له إلاّ بالحركة. والحركة هنا هدفها الصيد، ورحلة الصيد لم تأتِ هنا في إطار الحصول على الطعام بل جاءت في إطار المتعة واللّهو. ووسيلة الشاعر للقيام بهذه الحركة هي الفرس، وقد أضفى شاعرنا على الفرس صفات القوة والسرعة والحيوية والضخامة، التي تؤهله للقيام بوظيفة الحركة على خير وجه.

ونجد أن الصور التي أوردها للحصان لم تكن ثابتة ساكنة إنما صوّره وهو متحرك، يكرّ ويفرّ على الأعداء وشبّهه بقوة اندفاعه بالصخرة التي حطّها السّيل من علِ. كما قال(١):

مِكَــرٍّ مفـرٍّ مُقبــل مُدبــرٍ معاً   كجلمود صخر حطّه السيلُ من عَلِ

وهو قيد الأوابد هيكل.. وهذه الصورة زاخرة بالحركة(٢):

وقَدْ أغتدي والطيـر في وُكُناتها   بمنجـرد قيـد الأوابد هَيكل

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو كميت يزل اللّبد عن متنه كما تنزلق الصخرة الملساء على الوضع المنحدر وهذه الصورة فيها عنصر الحركة(١):

كُمَيْتٍ يزلُّ اللبدَ عن حال متنه   كما زَلّت الصفواءُ بالمُتنزِّل

وشبّه صوته عند الجري بصوت الماء المغلي في المرجل وهذه الصورة فيها عنصر الحركة أيضاً(٢):

على الذّبل جيّاش كأنَّ اهتزامَهُ   إذا جاشَ فيه حَميُهُ غَليُ مُرجل

فنجده إذن قد ركّز في وصفه للفرس على صفات الحيوية والحركة والقوة. لأن الحركة هي مصدر الحياة بالنسبة له وللإنسان الجاهلي بصورة عامة، فهي وسيلته التي يتجاوز بها أزمته المتمثلة بجدب المكان. ولذا جعل الفرس لا تتوقف عن الحركة، وإذا توقفت تبقى متأهبة، مستعدة للحركة في أيّ وقت، كما قال(٣):

فبات عليه سَرجهُ ولجامُهُ   وبات بعيني قائماً غير مُرسَلِ

فعالم امرىء القيس كلّه متحركٌ، فحتى الفرائس من الحيوانات التي كان يسعى لاصطيادها صوّرها متحركة غير ثابتة(٤):

فعنَّ لنا سربٌ كأنَّ نعاجه   عذارى دوار في ملاء مُذيّل
فأدبرنَ كالجزع المفصّل بينه   بجيدٍ مُعمٍّ في العشيرة مُخول

وأمّا ما كان ينجح باصطياده من الحيوانات، فقد كان يقوم بشوائه مجموعة من الطهاة الذين كانوا يرافقون الشاعر في رحلته، وهؤلاء الطهاة

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٤.
(٤) المصدر السابق، ص ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكن لديهم وقت كافٍ للاهتمام بطهيه بصورة جيدة، فبعضه كان (ضعيف الشواء) وبعضه (قدير معجل). ومن هنا يظهر لنا أن الصيد كان يتم أثناء رحلة أو حركة أو رحيل، فالإنسان المرتحل غير المستقر لا يجد وقتاً للتفنن في طهي الطعام خلاف المتحضر المستقرّ.

ورد في المعلقة ذكر البرق والمطر وقد صوّرها الشاعر تصويراً فيه حركة، فشبه انتشار البرق وتشعبه بحركة اليدين وتقليبهما. وشبه نزول المطر من الغيمة بعملية حلب ضرع الناقة التي يتعاقب فيها السكون والحركة. فحتى الظواهر الطبيعية صوّرها متحركة.

وصوّر امرؤ القيس السّيل الناتج عن المطر. وقد صوّره متحركاً، وهو في حركته تلك يجلب الدّمار لأماكن والخصب لأماكن أخرى، فحركة السّيل لها وجهان: وجه سلبي وآخر إيجابي، فكأنه يعبر عن حركة الإنسان الجاهلي فقد تكون إيجابية فتقود إلى مواطن الماء والخصب وقد تكون سلبية تجلب الدمار لهم، أو لغيرهم، كالغزو والغارات والحروب. فحركة السيل ترمز إلى جدلية الصراع ما بين الخير والشرّ، أو ما بين عناصر الهدم والبناء، أو عناصر البقاء والفناء، في المجتمع الجاهلي ككل، والذي يقتضيه صراع البقاء المرير في تلك البيئة القاسية.

وهكذا فقد وجدنا المعلقة تزخر بالحركة، فكلّ ما فيها جاء متحركاً، ولا عجب في ذلك فهي نتاج لمجتمع تشكل الحركة فيه عصب حياته بل مصدر حياته وسبب بقائها واستمراريتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة طرفة بن العبد

الحركة الرئيسة في هذه القصيدة هي حركة نحو الحياة، وما فيها من ملذات، تشغل الإنسان عن التفكير بالموت، وتخلصه وتريحه من القلق الوجودي المصاحب له. إنها حركة جنونية ماجنة نحو الحياة يحرضها دوماً الهروب من الموت والفناء المحتم. فنلحظ في حركاته شهوةً بالحياة يصحبها قلق على وجوده المهدّد بالزوال، ففلسفة الشاعر في حركته المستمرة الباحثة عن إشباع الرغبات تنبع من اضطراب أن الموت نهاية كل الأشياء. فالديار التي نعمت بالحياة بأهلها وصخبهم ما لبثت أن الت إلى أطلالٍ بالية تذروها الرياح والطبيعة التي تجود عليهم بالخصب وتبعث فيهم الحياة ما لبثت أن أدبرت مخلفة وراءها القحط والجدب. فكل شيء يصير إلى الفناء ولا يثبت ولا يدوم حال على ما هو عليه، فالحل والاستقرار سرعان ما ينقلب إلى ظعن ورحيل، والأمن والسلام سرعان ما يصير إلى حروب وصدامات وثارات وغارات. والإنسان بشبابه وآماله، وصولاته في الحياة ولهاثه المستمر نحو تفاصيلها، ودقائق أمورها ناسياً ذاك الذي يتربص به في كل لحظة فيخطفه على حين غرّة ليأوي ويوارى تحت التراب مخلفاً آماله وطموحاته وأحلامه، أدراج الرياح.

لنرى كيف عبّر طرفة عن هذه الحركة في معلقته ابتدأت القصيدة بذكر الأطلال، وهي الآثار الباقية من ديار المحبوبة، بعد أن رحلت عنها هي وقبيلتها بحثاً عن مكان أكثر خصباً وأوفر ماءً بعد أن جفت ديارهم. وقد شبه طرفة هذه الأطلال بالوشم في اليد. والوشم رمز على الثبات، فالشاعر أراد لهذه الديار ولهذا الطلل أن يتحدى فعل الطبيعة وما تحدثه من تغييرات في الطلل. فكأنه أحس بالقهر من هذه الطبيعة القاسية، التي لا تبقي شيئاً على حاله، فأراد أن تبقى هذه الدّيار وأطلالها ثابتة لا تتغير كالوشم في اليد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال[١]:

لخَولة أطلالٌ ببُرقةِ ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

والشاعر عندما مرّ بالطلل كان أيضاً متحركاً مرتحلاً لذلك استوقف أصحابه للبكاء على هذه الأطلال ومن كان يحلّ بها[٢]:

وقوفاً بها صَحبي عليّ مطيّهم يقولون: لا تَهلِك أسىً وتجلّد

ظهر في القصيدة حركة الظعائن. والظعائن جزء من حركة القبيلة ككل وراء مواطن الكلأ والماء بعد أن جفت وأقفرت ديارهم. وقد شبّه الشاعر رحلة الظعائن في الصحراء برحلة السفينة في الماء التي يميل بها الملاّح فيجور بها عن طرق السفن المسلوكة طوراً ويهتدي طوراً حسب تصاريف الرّياح، وهذا التشبيه يعكس إحساس الخوف والقلق على مصير الظعائن والقوم الراحلين، ويعكس القلق على مصير ونتيجة هذه الرحلة فهل ستوفق في إيصال الراحلين إلى مكان خصيب؟!، وتمايل السفينة وضلالها للطريق أو اهتداؤها حسب تصاريف الرياح يعبّر عن التخبط والمعاناة التي كانوا يعانونها في الطريق، فتارةً يضلّون الطريق وتارةً يهتدون. فرحلة الظعائن – لذلك – فيها عنصر المغامرة والمخاطرة[٣].

كأنّ حُدوجَ المالكية غُدْوةً خلايا سفينٍ بالنواصف من دَدِ
عدَوليَّةٌ أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاّح طوراً ويهتدي
يشقُّ عبابَ الماء حيزومُها بها كما قسم التُّرب المُفايلُ باليد

صوّر الشاعر مظاهر الترف والنعيم التي كانت على النساء الظاعنات في الهوادج، فقد كنّ يضعن الجواهر الغالية كاللؤلؤ والزبرجد. ومظاهر

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٩١.
(٢) المصدر السابق، ص ٩١.
(٣) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٩١، ٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الترف هذه مرتبطة بحياة الاستقرار والأمن والخصب، فقد عبّر الشاعر من وراء هذا الوصف عن حلمه بالاستقرار والأمن والخصب الذي يفتقده بالوضع الحالي ويرحل طلباً له[١].

وفي الحيِّ أحوى ينفض المَرْد شادن مُظاهِرُ سِمطَيْ لؤلؤ وزبرجد

اهتمّ الشاعر بتصوير جمال النساء الظاعنات فشبّههن بالظبية الصغيرة (الشّادن)، وبالمها التي ترعى ولدها، وتعطف عليه، وترقبه خشية أن يبتعد عنها. وهذه الصورة مرتبطة بخصب المكان. فهو يعبّر من خلالها عن خصب المكان الذي يأمل أن تقود إليه رحلة الظعائن[٢]:

خذولٌ تراعي ربرباً بخميلةٍ تناوَل أطرافَ البريرِ وترتدي

وتبرز صورة الخصب في وصف الشاعر لجمال ثغر المرأة الراحلة، فثغرها ألمى أي أسمر اللّثة، وهم يمدحون سمرتها لدلالتها على اكتناز الدّم وهي إمارة الصحة والصحة تأتي مع حياة الخصب والاستقرار. وهي تبسم عن ثغرٍ كأن فيه أقحوان منوراً تخلل دعصاً نديّاً. والدعص رمل خالص لا يخالطه تراب وإنما جعله نديّاً ليكون الأقحوان غضّاً ناضراً، وهذه الصورة تدلّ على خصب المكان ووفرة مائه. وتكشف هذه الصورة عن مدى انشغال الشاعر بقضية الخصب والماء الذي يشكّل عصب حياته والذي يحلم ويأمل أن تقود إليه رحلة الظعائن[٣].

وتبسمُ عن ألمَى كأنّ مُنوّراً تخلّل حُرّ الرملِ دعص له ندِ

إلاّ أن شاعرنا إيجابي، لا يتوقف عند حدّ الآمال والأحلام بأن تقوده حركة الظعائن إلى مواطن الخصب، حيث الأمن والاستقرار، فالهمّ المحيط به

(١) المصدر السابق، ص ٩٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٩٤.
(٣) الزوزني، المعلقات العشر، ص ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمتمثل بفقدان حياة الأمن والاستقرار نتيجة لرحيل حياة الخصب عن الدّيار، والذي عبّر عنه برحيل المرأة، هو الأهم ولا تنفع معه الآمال والأحلام، فلا بدّ من حركة أخرى جديدة للخروج من هذا الهمّ. وهذه الحركة هي حركة الشاعر على ظهر ناقته[١]:

وإني لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاءَ مرقالٍ تروحُ وتغتدي

ويبدو أن شاعرنا لا يرى أن رحلة الظعائن ستنجح في تقديم حلٍّ كافٍ لمشكلته ومشكلة قبيلته المتمثلة بجدب الديار واقفارها، لأن هذه الرحلة محفوفة بالمخاطر والصّعاب وبالمعاناة للقبيلة ككل. وقد عبّر عن قلقه إزاء رحلة الظعائن وهل ستنجح في إيجاد حلّ لأزمة قبيلته من خلال تشبيهها بالسفينة التي تتمايل في يد الملاح، تضلُّ الطريق تارةً وتهتدي تارةً أخرى. فالحل إذن، بحركته على ظهر ناقته، فكأن الشاعر ينصّب نفسه منقذاً ومخلّصاً للقبيلة من أزمتها، ويجعل نفسه باحثاً عن حلولٍ لأزمتها وهمومها؛ فهو ليس ناطقاً إعلامياً باسمها فحسب، بل مقدّماً لحلولٍ لأزمتها ومشاكلها. وهذا هو الدّور الحقيقي الذي كان يضطلع به الشاعر آنذاك. ولهذا كانوا يهنئون بالشاعر عندما يظهر في قبيلة ما.

وبما أن الناقة هي وسيلة النجاة، فقد اهتمّ الشاعر بوصفها وأسهب في الحديث عنها، فقد أعطاها من الصفات ما يجعلها تقوم بوظيفة الحركة خير قيام. فهي جماليّة مكتنزة اللّحم، عظيمة الوجنات، وهذه الضخامة تساعدها على تحمّل قساوة الطريق وطولها وصعوباتها. وهي قوية ليست هزيلة، أو ضعيفة، تستطيع أن توصل الشاعر إلى حلّ أزمته وأزمة قومه. قال[٢]:

جُماليّةٍ وجناءَ تَردي كأنها سفنَّجَةٌ تبري لأزعرَ أربَد

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٥.

(٢) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٩٦، ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهـا مِـرفقـان أفتــلان كأنــها ... تمـرُّ بـسلمَـيْ دالــج متــشدِّد

وشبّه مرفقيها بقنطرة الرومي، وشبّه فخذيها بالقصر، والقنطرة والقصر يدلاّن على الاستقرار والثبات فكأن الشاعر يأمل أن توصله الناقة إلى حياةٍ أكثر استقراراً وثباتاً من حياته، فهو يعاني من حياته المتحرّكة المتغيّرة غير المستقرّة، فكلّ ما حوله يتغيّر، فالطبيعة تتغيّر والخصب لا يدوم، وحياته متحركة متغيّرة غير مستقرة تبعاً لذلك. فهذا التشبيه الذي أورده للناقة يعبّر عن أمله بحياة أكثر ثباتاً واستقراراً وأمناً من حياته الحالية، قال[(١)]:

لها فخــذان أكمل النحضُ فيهمـا ... كأنهمــا بابــا منـيف مُمــرَّد

لهـا مِرفقـــان أفتــلان كأنـــها ... تمــرُّ بسلمَيْ دالـــج متـــشدِّد

كقنطــرة الرُّومــيِّ أقســمَ ربـها ... لتُكْتنفــنْ حتــى تُشادَ بقرمــد

وصف سرعة الناقة وحيويتها ونشاطها فهي لا تعرف التعب. وتركيزه على سرعة الناقة يدل على مدى حاجته لحلّ سريع لأزمته وأزمة قومه، فهو يستعجل الوصول إلى أماكن الخصب لإنقاذ قبيلته من الهلاك بسبب الجفاف، قال[(٢)]:

جَنوحٌ دِقاقٌ عندلٌ ثم أفــرِعَتْ ... لها كَتِفاها فـــي مُعــالىً مُصعَّدِ

وهي في سرعتها تجاري الخيول وتنافسها. قال[(٣)]:

تُباري عتاقاً ناجيات وأتبـعَتْ ... وظيفاً وظيــفاً فوق مَـوْر مُعبَّدِ

وجعل الشاعر ذنب الناقة كجناحي مَضرحيّ. والنسر يرمز إلى القوة

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ٩٩، ١٠٠، ١٠١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي يكون معها الأمن والاستقرار الذي يأمل الشاعر أن يصل إليه من خلال حركته على الناقة. قال(١):

كأنّ جناحي مضرحيٍّ تكنّفا حِفا فيه شكا في العسيب بمسرد

أورد الشاعر في حديث الناقة بعض عناصر الخصب في صوره وتشبيهاته والصفات التي أوردها للناقة فعيناها كالماء. قال(٢):

وعينان كالماويَّتين أستْكنَّتا بكهْفَي حجاجَي صخرة قَلْتِ موردِ

والناقة ترعى الربيع. قال(٣):

تربَّعت القُفَّين في الشول ترتعي حدائق مَوليٍّ الأسِرّة أغيَد

وهذا الأمر يعبّر عن إلحاح قضية الخصب على ذهنه والتي يرجو من الناقة أن توصله إليها.

شبّه عنق الناقة بسكان السفينة. والسفينة ترمز في سيرها في عُرض البحر إلى المخاطرة والمغامرة، والمصير المجهول. فكأنه يعبّر من خلال ذلك عن قلقه وخوفه على نتيجة الرحلة التي يقوم بها.

وأتلعُ نهَّاض إذا صعدتْ به كسُكان بُوصِيٍّ بدَجلَةَ مُصعِدِ

مما يؤكد قلق الشاعر وخوفه حول مصير هذه الرحلة، أنه جعل في عينيّ الناقة القلق والخوف كبقرة وحشيّة منفردة، قال(٤):

طحوران عُوّار القذى فتراهما كمكحولَيْ مذعورة أمِّ فَرقد

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٨.

(٢) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعل أذنيها تتوجسان خيفة من الجرس الخفي والصوت المرتفع. قال[١]:

وصادقتا سَمْعِ التوجُّس للسُّرى لهجس خَفيٍّ أو لصوت مندَّدِ

وأمّا قلبها فهو أروع نبّاض[٢]:

وأرْوَعُ نبَّاضٌ أحذُّ مُلَملَمٌ كمِرداة صخر في صَفيح مُصمَّدِ

فالناقة كانت وسيلة الشاعر لقطع الصحراء المخيفة التي يتجنبها غيره. كما قال[٣]:

على مثلِها أمضي إذا قال صاحبي ألاَ لَيتَني أُفديكَ منها وأفتدي

وجاشت إليه النفسُ خوفاً وخالَهُ مُصاباً ولوْ أمسى على غيرَ مَرصد

ترى ماذا قصد شاعرنا بالصحراء التي يخاف أن يقطعها أصحابه وهو يقطعها على ظهر ناقته غير مكترث بما فيها من مخاطر وأهوال؟! إنّ هذه الصحراء هي الحياة في نظر شاعرنا فطرفة لا يقيم وزناً لهذه الحياة ولا يخاف على شيءٍ فيها. ومردُّ هذه اللامبالاة والجرأة على الحياة وما فيها من مخاطر ومعاناة وآلام، إلى فلسفة طرفة القائلة بأن الحياة فانية لا محالة فالموت بالمرصاد للإنسان، وإذا جاء أجل أحدكم لا يتقدم ولا يتأخر عنه. فلا أحد ينجو من الموت، فمهما طال العمر بالإنسان لا بدّ أن يأتيه أجله، فلا أحد مخلّد. فكل يوم ينقضي من عمر الإنسان هو خطوة تقدمه من اموت كما قال[٤]:

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلةٍ وما تنقُصِ الأيامُ والدهرُ ينفَد

لعمرُكَ إنَّ الموت ما أخطأ الفتى لكالطَول المُرخي، وثِنياهُ باليد

(١) المصدر السابق، ص ١٠٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١٠٥.
(٣) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٠٦ - ١٠٧.
(٤) المصدر السابق، ص ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبما أن الحياة قصيرة وفانية فلا بدّ من استغلالها استغلالاً كاملاً عن طريق الإغراق في الملذات كشرب الخمر ومُصاحبة النساء أوالاستماتة في القتال. فنظرته إلى الحياة كانت دافعاً له للشجاعة في المعركة، فلِمَ الجبن والموت آتٍ في موعده؟ قال(١):

ولولا ثلاثٌ هنّ من لذّة الفتى | وجدِّكَ لم أحفِل متى قام عُوّدي
فمنهن سبقي العاذلات بشَرْبةٍ | كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزبِد
وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحَنّباً | كسِيد الغَضا، نَبّهتَهُ، المتورِّد
وتقصيرُ يوم الدَّجنِ، والدَّجنُ مُعجِبٌ | ببهْكنةٍ تحت الخِباءِ المعمَّد

فنظرته في الحياة كانت سبباً في حركته اللاهثة وراء الملذات كشرب الخمر، وما يصاحب مجلسه من غناء وقيان، قال(٢):

فإن تبْغِني في حلقة القوم تلقَنَي | وإن تلْتمِسني في الحوانيت تصطَدِ
متى تأْتني أصبحك كأساً رويّةً | وإن كنتَ عنها ذا غنىً فاغْنَ وازدَد
وإنْ يلتقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقني | إلى ذِروْة البيت الشريف المصمد
ندامايَ بيضٌ كالنجوم وقيْنةٌ | تروحُ إلينا بين بردٍ ومُجْسَد
رحيبٌ قطابُ الجيب منها، رفيقةٌ | بجسِّ الندامى بَضةُ المتجرَّد
إذا نحنُ قُلنا أسْمعينا، انبرَتْ لنا | على رِسْلِها مطروفة لمْ تَشدَّد
إذا رجَّعتْ في صوتها خلْتَ صوتها | تجاوُبَ أظْآرٍ على رُبعٍ ردِي

وهو يفتخر في انفاقه المال في شرب الخمور، قال(٣):

وما زال تشرابي الخمورَ، ولذّتي | وبَيعي وإنفاقي طريفي ومُتلَدي

فهو يريد أن يتشبع من الحياة وما فيها من ملذات خوفاً من أن يباغته

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٢ – ١١٣.

(٢) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٠٨، ١٠٩، ١١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموت ولمّ يشبع منها، لذا فهو يعلي من شأن تبديد المال في الخمر ويزدري البخيل الذي يقضي حياته بجمع المال ثم يموت دون أن يستمتع بحياته. فيموت عطش من الحياة. فالمال لا ينفع البخيل بعد موته، فسوف يأوي في نفس القبر الذي يدفن فيه الماجن المستهتر بالمال[١]:

أرى قبرَ نحامٍ بخيلٍ بمالِه كقبر غويٍّ في البطالة مفسِد
ترى جُثوتَين من تراب عليهما صفائحُ صُمٌّ من صفيحٍ مُنضدَّ
أرى الموتَ يعتام الكرام ويصطفي عقيلةَ مال الفاحش المتشدِّد

وهو يردّ على أبناء قبيلته الذين كانوا يلومونه لإغراقه في شرب الخمر، وإنفاقه المال في سبيله، بل أدى بهم ذلك إلى أن يتجنبوه ويعزلوه عنهم، فهو يردّ عليهم بأن الحياة فانية فلِمَ لا أفنيها في الملذات أو في القتال، قال[٢]:

إلى أن تحامتني العشيرةُ كلها وأفردْت إفراد البعير المعبَّد
رأيتُ بني غبراءَ لا يُنكرونني ولا أهلُ هذاك الطِّراف المُمَدَّد
ألا أيُّهذا الزاجري أحضُرَ الوغى وأن أشهدَ اللذّات هل أنت مُخلدي

ولكن هذا لا يعني أنه انفلت من الرابطة القبلية التي كانت تربطه بهم. فقد بقي مشدوداً إليهم يحاول أن يبين أنه لم يقصد في نهجه ذلك الخروج عن رسوم القبيلة ونظمها، فهو واحد منهم مستعد لحمايتهم والذود عنهم[٣] لدفع أذى العدو:

وقرَّبتُ بالقُربى وجدَّكَ إنه متى يكُ أمرٍ للنكيثة أشهد
وإن أدْعَ للجُلّى أكُن من حُماتها وأن يأتِكَ الأعداءُ بالجَهد، أجهدَ
وأن يقذِفوا بالقَذعِ عرضَك أسقِهم بشُرْبِ حياض الموت قبل التهدُّد
إذا ابتدر القومُ السِّلاح وجدْتَني منيعاً إذا بلّتْ بقائمِة يدي

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١١١.
(٣) المصدر السابق، ص ١١٦، ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا نرى أن الحركة نحو الملذات والحركة نحو القتال والحروب عند طرفة مردّها فلسفته في الحياة والموت. ويظهر في القصيدة نوع آخر من الحركة كان يقوم بها طرفة بتحريض من فلسفته في الحياة وهي حركة لفعل الكرم. ومبعث هذه الحركة أنه لا يقيم وزناً للمال لأنه لا يدفع عنه الموت، ولا ينفعه بعد مماته. لذا فهو يتصدق به على الفقراء الذين أبقوا على علاقتهم ومودتهم به بعد أن قطعها أبناء قبيلته وأهله[١]:

رأيتُ بني غبراءَ لا يُنكرونني ولا أهلُ هذاك الطِّراف المُمَدَّد

وظهر في القصيدة حركة أخرى هي حركة طرفة للمياسرة ونجد في هذه الحركة عدم اكتراث من قبل طرفة لكسب الميسر، لأن الحياة فانية فما فائدة كسب المال والموت لنا بالمرصاد.

إن سبب نظرة طرفة للحياة - التي عرضناها سابقاً - هو طبيعة الحياة الجاهلية وما فيها من شظف ومعاناة وآلام سببتها الظروف الطبيعية والبيئية المحيطة والتي فرضت عليهم الحركة الدائمة التي أدت إلى تأجج صراع البقاء الذي يبقى فيه الإنسان عرضة دائمة للقتل والموت.

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة زهير بن أبي سلمى

نلمس في هذه القصيدة نوعاً آخر من أنواع الحركة وهو الحركة وراء السّلم، فقد قالها زهير للإشادة بما قام به هرم بن سنان والحارث بن عوف من إيقاف شلال الدماء المنسكب بغزارة بين قبيلتي عبس وذبيان في داحس والغبراء. وقد وظّف الشاعر عناصر القصيدة كافة من المقدمة الغزلية، ورحلة الظعائن، وخاتمة القصيدة وما جاء فيها من حكم لخدمة هذا الغرض، وللتعبير عن الحركة الرئيسة في القصيدة.

ابتدأ زهير قصيدته بمقدمة حزينة بكى فيها رحيل صاحبته (أم أوفى) عن الدّيار. والمرأة التي بدأت بالحديث عنها المقدمة هي كما تبدو لنا امرأة بدوية ظاعنة متحركة لا تستقر في مكان هي وقبيلتها[1]:

أمِنْ أُمِّ أوفى دِمنةٌ لَم تكلَّمِ   بحومانةِ الدَّرّاج فالمُتثلَّم

والاثار التي بقيت في الدّيار كالدّمن والأثافي والنؤى والبعر، ما هي إلاّ دليل على حركة القبيلة، وعدم ثباتها واستقرارها في مكان، فهي تدل على قوم كانوا يعيشون في المكان ثم ارتحلوا. قال[2]:

ودارٌ لها بالرّقمتين كأنّها   مراجيعُ وشم في نواشر مِعصم

ذكر الشاعر الأماكن التي تنقّلت بينها المرأة وهي: حومانة الدّرّاج، المتثلم، الرقمتين.. وكأنه يريد أن يعبّر عن استمرارية الحركة والرحيل المفروضة على تلك المرأة وقبيلتها - التي هي جزء من المجتمع الجاهلي - وعدم الاستقرار والثبات النهائي في مكان بعينه.

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف زهير الدّيار التي رحلت عنها صاحبته، فهي ديار خاوية تعاورتها الرّياح وعوامل التعرية فجعلت صورتها كألوشم في المعصم. وعبّر من خلال هذا عن قسوة العوامل الطبيعية والجويّة في البيئة الجاهلية، فقد أدّت إلى تغيير ملامح الديار لدرجة صعُب عليه التعرف عليها، قال[١]:

وقفتُ بها من بَعد عشرينَ حجّةً فلأياً عرَفتُ الدّارَ بعدَ تَوَهُّم

بث الشاعر في الطلل حيوانات كالعين والآرام وأطلاءها وجعل هذه الحيوانات في حالة حركة فلم تكن ساكنة، وكأنه يقصد من خلال ذلك أن يبيّن احتمالية عودة الحياة إلى الطلل من جديد وتجددها، فقد يخصب المكان من جديد فيكون ذلك دافعاً للقبائل أن تتحرك باتجاهه وتعود إليه، وكأنه يعبر بذلك عن جدلية الهدم والبناء في البيئة الجاهلية والمصاحبة لجدلية الحلّ والترحال فيها. قال[٢]:

بها العِينُ والآرامُ يمشينَ خِلْفةً وأطلاؤها ينهضْنَ من كلِّ مجثم

أما رحلة الظعائن التي صوّرها زهير في قصيدته التي بين أيدينا فهي شاهد من شواهد حركة القبائل في الجاهلية بحثاً عن مواطن الكلأ والماء. كما أن حمل النساء على الهوادج ومظاهر الترف الظاهرة على لباسهن تدل على مكانة المرأة منزلتها في ذلك المجتمع، والتي هي إحدى أنواع الحركة التي اتسمت بها حياتهم، فقد كانوا يخافون على نسائهم من آلام ومتاعب الرحيل، فكانوا يخصصون لهن الهوادج التي كانت تتقدم قافلة الراحلين، وكيف لا يخافون عليها ولا يحمونها وهي التي تمدُّ القبيلة بالرجال الحامين لحماها والمدافعين عنها. قال[٣]:

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٣) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٣٦، ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبصّر خليلي هَلْ تـرى من ظعائن   تَحمَّلْنَ بالعليـاء مـن فَوق جُرثـمُ
جَعَلـنَ القنـانَ عن يَمينٍ، وحَزنـهُ   وكم بالقنـان مـن مُحلٍّ ومُحـرِمِ
علـونَ بأنطـاكيَّةٍ فـوقَ عِقمـة   ورادٍ حـواشيـها مُشاكهة الدّم
وورَّكْنَ في السوبان يعلُون مَتـنهُ   عليهـنّ دَلُّ النـاعـم المُتنـعِّم

وقد نجحت رحلة الظعائن في الوصول إلى موارد الماء والخصب رغم المشقة والمعاناة التي واجهتها. فالقبيلة نجحت إذن في الوصول إلى مناطق خصيبة. لذلك فقد وضعت عصا الترحال واستقرت في تلك المناطق، فمع الخصب يكون الاستقرار. قال(١):

فلما وَرَدْنَ المـاءَ زُرقاً جمـامُهُ   وَضَعَنَ عصـيَّ الحاضر المُتخيِّم

وظّف زهير المقدمة الطلليّة، وحركة الظعائن للتعبير عن جوهر الموضوع الذي نظم لأجله القصيدة، وهو الإشادة بالصلح بين عبس وذبيان على يد هرم بن سنان والحارث بن عوف. فرحيل المرأة عن الديار رمز لمغادرة حياة الأمن السلم التي كانت بين قبيلتي عبس وذبيان، واندلاع الحرب بينهما، التي أدت إلى استنفاد قواهما وتدميرهما، وقد عبّر عن ذلك شاعرنا من خلال حديثه عن تدمير الديار، وخلوّها وتغيّر ملامحها، بعد رحيل المرأة لدرجة، يصعب التعرف عليها. وأما حزن الشاعر لرحيل المرأة عن المكان فما هو إلاّ تعبير عن استيائه من هذه الحرب الضروس. وقد ألمح شاعرنا إلى عودة السلام بين القبيلتين من خلال تشبيه الأطلال بالوشم المتجدد في ظاهر اليد، وتجدد الوشم يدل على أمل وحلم الشاعر بتجدد حياة الإخاء والمودة والسلم التي كانت سابقاً بين قبيلتي عبس وذبيان قبل اشتعال الخصومة بينهما. ومن خلال بثه لمظاهر الحياة في الطلل بعد تدميره كوجود العين والآرام وأطلالها. ودلّل على ذلك من خلال قدرته على التعرّف على المكان بعد أن دُمرت وتغيرت

(١) المرجع السابق، ص ١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملامحه. وأما رحلة الظعائن للبحث عن مواطن الخصب والماء فهي ترمز إلى رحلة الممدوحيْن لتدارك الحرب بين القبيلتين وإقامة الصلح بينهما. ونجاح رحلة الظعائن في الوصول إلى الماء والخصب، تعبير عن نجاح الممدوحيّن في إقامة الصلح والسلام بين المتحاربين. ووضع عصا الترحال يرمز إلى نهاية الحروب وإلى حياة الأمن والاستقرار التي أصبح ينعم بها الطرفين تبعاً لذلك.

أشاد الشاعر بالحركة لإقامة السلام بين القبيلتين المتحاربتين وبمن قام بها. فقال[١]:

سعى ساعياً غيظ بن مُرّةَ بعدما ... تبزّل ما بينَ العشيرة بالدّمِ
يميناً لَنِعمَ السيّدان وُجدتُما ... على كلِّ حالٍ من سَحيل ومُبرم
تداركْتُما عبساً وذُبيانَ بعدما ... تفانَوْا، ودَقُّوا بينهم عِطرَ مَنشم
وقد قُلتما أنْ نُدْرِك السِّلمَ واسعاً ... بمالٍ ومعروف من القول نسْلَم
فأصبحتُما منها على خير موطِنٍ ... بعيدَين فيها من عُقوقٍ ومأثَم
عظيمين في عُليا مَعَدٍّ هُديتُما ... وَمَنْ يستبح كُنْزاً من المجدِ يعظمُ

وحذّر بنفس الوقت من الحركة المعاكسة للسّلام، وأعني بها حركة الأخذ بالثأر، ومعاودة القتال، التي قام بها الحصين بن ضمضم، وكادت تودي بالصلح. قال[٢]:

لَعمري لنِعمَ الحي جرَّ عليهم ... بما لا يواتيهمُ حُصينَ بن ضمضم
وكان طوَى كشحاً على مُستكنَّةٍ ... فَلا هو أبداها ولم يتقدّم
وقال سأقضي حاجتي ثُم أتّقي ... عَدوِّيَ بألف من ورائي مُلجم
فشدَّ ولم يُفزِع بُيوتاً كثيرةً ... لدى حيثُ ألقَتْ رحلَها أُم قشعم

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٤٠ و ١٤١.
(٢) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٤٦ و ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحذّر من الحرب، ونفرّ منها، فرسم لها صورة دميمة، فهي كالنار سريعة الاشتعال، وهي كالرحى الدائرة تطحن كل ما يوضع فيها، فويلاتها لا تطالهم هم وحدهم بل تمتد لتشمل أبناءهم. قال(١):

وما الحربُ إلاّ ما علمتم وذُقتم ... وما هو عنها بالحديث المُرجَم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتَضرَ إذا ضَرَّيتموها فتضرَم
فتعرُكُكُمْ عركَ الرَّحى بثِفالها؟ ... وتَلْقحْ كِشافاً ثمَّ تُنتجْ فتُتئم
فتُنتِجْ لكمُ غِلمان أشأمَ كلُّهم ... كأحمرِ عادٍ ثُم تُرضِعْ فتَفْطِمِ

واختتم شاعرنا قصيدته بمجموعة من الحكم هيَ خلاصة تجربته الطويلة في الحياة. وهذه الحكم أملتها عليه طبيعة الحياة الجاهلية، وظروفها القائمة على الحركة، وعدم الاستقرار فهي حكم نابعة عن مجتمع جاهلي قبلي، مغرق في البداوة متحرك لا يعرف الاستقرار.

فلو أخذنا حكمته التالية(٢):

رأيتُ المنايا خَبطَ عشواءَ، مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْهُ، ومَنْ تُخطىء يُعَمَّرْ فَيهرَم

فهذا القول يظهر فيه القلق الذي اتسمت به حياة الجاهلي وهذا القلق كان ناتجاً عن طبيعة حياتهم المتحركة التي قام عليها مجتمعهم. فهو أولاً قلق على حياته لأنه عرضة دائمة للموت، في تلك البيئة المتصارعة، التي يبقى فيها الفرد مستعداً للموت من أجل الحياة للقبيلة ككل، أو من خلال الدفاع عن حمى القبيلة، أو السعي لتوسيع هذا الحمى، أو نتيجة لطلب الثأر، فالموت رفيق ملازم لهذه الحركة التي كانوا مضطرين إليها.

وللسبب نفسه، هو قلق على غده ومستقبله، وما يحمله له من رحيل

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٤٤ و ١٤٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشتات، ومفارقة للمكان بعد أن ألفه، ومن حروب يمارسها قسراً. لهذا قال[١]:

وأعلمُ عِلم اليومِ والأمس قبلَه ولكنّني عنِ عِلم ما في غَدٍ عم

وأمّا قوله[٢]:

ومَنْ يكُ ذا فَضلٍ فيبخلْ بفضله على قومِه يُستَغنَ عنه ويُذمم
ومَن يغتربْ يحسب عدواً صديقه ومن لا يُكرِّمْ نفسَهُ لا يكرَّم

فالبيتان السابقان يؤكدان ضرورة اللُحمة بين أفراد القبيلة الواحدة، لأن الفرد لا يستغني عن قبيلته، فهي تحمي ماله وتدافع عنه حيّاً وتطالب بدمه ميتاً، والقبيلة لا تستغني عن الفرد، فهو المدافع عنها، والمشارك في حروبها، والحامي لحماها. ولذلك ذمّ حركة الفرد خارج القبيلة، وهي الإغتراب عن القبيلة، لأن ذلك يؤدي إلى انسحاق الفرد المغترب، فالفرد لا وجود له بمعزلٍ عن قبيلته. وكأنه بذلك يندّد بالحصين بن ضمضم وما قام به من خرق لعهد قامت به القبيلة، وهو الصلح وبنفس الوقت أشاد بمن يصنع المعروف مع قومه وأهله، وكأنه قصد بذلك من قاما بالصلح، وتكفلا ديات القتلى.

وهو أيضاً يقرّ دور القوة في حفظ وجود القبيلة، وضمان سلامتها وعدم الاعتداء عليها. فقال[٣]:

ومن لم يذُد عن حوضه بسلاحه يُهدَّمْ ومَن لا يَظلِم الناسَ يُظلمِ

وهذا القول يشفّ عن الصراع الدائر في المجتمع الجاهلي والذي سببه الرئيس الحركة.

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٥٠.
(٢) المصدر السابق، ص ١٥٠.
(٣) المصدر السابق، ص ١٥٢ و ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة لبيد بن أبي ربيعة

يشكّل الفخر القبلي الغرض الرئيس في القصيدة، وقد وظف الشاعر عناصر عدة للتعبير عن هذا الغرض، وقد برزت الحركة بصورة جليّة وواضحة في هذه العناصر.

بدأ الشاعر قصيدته بمقدمة طلليّة عرض لنا فيها بعضاً من صور الفناء الذي حلّ بالدّيار، ورصد لنا فيها أسماء بعض الأماكن التي كانت تنزل فيها القبيلة، ثم ما لبثت أن رحلت عنها بعد أن ألمّ بها الجدب، وانعدمت فيها أسباب الحياة. فالأطلال التي بكاها الشاعر ما هي إلاّ نتيجة من نواتج حركة القبيلة طلباً للكلأ والماء. قال:

عَفَت الدّيارُ محلُّها فمُقامُها ... بمِنىً تأبَّد غولُها فرجامُها
فمدافعُ الريّان عُرّيَ رسمُها ... خَلَقاً كما ضمِن الوُحِيَّ سِلامُها

وقد وقف الشاعر يسأل هذه الطلول الخاوية عن سكانها فلم تجبه حجارتها الصلبة، وهل تجدي مساءلة الحجارة؟ فقد غادرها أهلها مخلفين وراءهم الآثار الدالة عليهم وعلى وجودهم كالنؤى والثّمام. قال(١):

فوقفتُ أسألها وكيف سؤالنا ... صُمّاً خوالدَ ما يبين كلامها
عريَتْ وكان بها الجميعُ فأبكروا ... منها، وغودرَ نُؤْيها وثمامها

ووقوف الشاعر بالدّيار دليل على أنه كان أيضاً - متحركاً راحلاً مع قبيلته سعياً وراء الكلأ والماء، وأثناء رحيله مرّ بالدّيار الخاوية.والزمان أيضاً كان متحركاً لا ساكناً عند لبيد، وحركته تلك تؤدي إلى تعاقب عوامل الهدم والدمار، وعوامل الخصب والبناء على المكان، فتارةً يكون تقادم الزمان

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحركته سبباً في جدب الديار، ورحيل أهلها عنها، وتارةً أخرى يكون سبباً في عودة مظاهر الحياة والخصب لهذه الدّيَار، فبعد أن كانت قفراء خاوية عادت إليها الحياة من جديد، فقد انهمر المطر في أرجائها بعد انحباس، فأعشبت الدّيار وولدت الظّباء وباضت النعام، وركنت بقر الوحش إلى أولادها، فلولا أن هجرها أهلها ما وجد الوحش فيها مأمناً: قال[١]:

دِمَنٌ تجرَّم بعد عهد أنيسها ... حِججٌ خَلَونَ حَلاَلُها وحرامها
رزِقتْ مرابيعَ النجوم، وصابها ... ودْقُ الرَّواعِدِ جودُها فَرِهامها
مِن كلِّ سارية وغاد مدجنٍ ... وعشيّةٍ مُتجاوب إرزامها
فعلا فروعَ الأيهقَان وأطفلت ... بالجهلتين ظِباؤها ونعامها
والعينُ عاكفةٌ على أطلائها ... عُوذاً تأجَّل بالفضاءِ بِهامُها

وكأن الشاعر يعبّر من خلال ذلك عن جدلية الهدم والبناء، والصراع بين عوامل الموت والحياة الذي تسببه حركة الزمان، فالأطلال الدارسة ترمز إلى الموت، والحياة الوحشية التي انبعثت فيها ترمز للميلاد، فكما أن الموت يأخذ من جهة، فإن الحياة تفرز أحياءً آخرين من جهة أخرى. فبعد أن كانت الطلول خاوية عادت إليها الحياة من جديد.

وقد جاء تصوير الشاعر للمطر وانهماره في أرجاء الدّيار، من رعود وخصب، تصويراً مليئاً بعناصر الصوت، واللّون والحركة، مما جعل الصورة أقرب إلى الواقع والحياة.

ظهر في القصيدة حركة أخرى، وهي حركة الظعائن، ورحلة الظعائن هي جزء من حركة القبيلة كلها بحثاً عن مواطن الكلأ والماء. قال[٢]:

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٥٨، ١٥٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٣، ١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شاقتك ظُعنُ الحيِّ حين تحمَّلوا　　فتكنَّسوا قُطناً تَصِرُّ خيامها.
من كلِّ محفوف يُظِلُّ عِصِيَّهُ　　زَوجٌ عليه كِلَّةٌ وقرامُها
زجلاً كأنّ نِعاجَ تُوضحَ فوقها　　وظباءَ وجرةَ عُطّفاً آرامها

ونلحظ مظاهر الترف والنعيم في وصفه للظعائن، فالهوادج محفوفة بالديباج، فكأنه يعبر من خلال ذلك عن أمله بالحياة المترفة المنعمّة المستقرة، من وراء رحلة الظعائن تلك. والظعائن وتقدمها للركب في الرحيل يدل على مكانة المرأة العظيمة عندهم وحرصهم وخوفهم عليها.

صوّر شاعرنا جمال المرأة التي في الهودج، وقد اتكأ في ذلك على عناصر مستمدة من البيئة المحيطة فشبّهها ببقر توضح وظباء وجرة في كحل أعينها. وهذا يدل على حياة البداوة التي كان يحياها، ويدلّ على البيئة التي كان يعيش فيها، وطبيعتها. ونجد في حديثه عن جمال المرأة بعض مظاهر الخصب، مما يدل على اقتران صورة المرأة بحياة الخصب، والاستقرار والأمن. فرحيل المرأة عن المكان يجعله مجدباً، مقفراً، لأنها ترمز إلى الخصب. ووجود عناصر الخصب في وصف نساء الظعائن يدل على حلم الشاعر وأمله بأن تؤدي رحلة الظعائن إلى مكان خصيب.

أما نوار محبوبة الشاعر التي فجع برحيلها فترمز إلى قبيلته بترحلها سعياً وراء الكلأ والماء. وقد رسم لنا خطّ سيرها في حركتها تلك، فقال[1]:

بل ما تذكّرُ من نَوار وقد نأتْ　　وتقطعتْ أسبابها ورمامها
مَرِّيّة حلّت بفَيدَ، وجاورت　　أهل الحجاز، فأين منك مرامها
بمشارق الجبلين أو بمحجَّر　　فتضمنتها فردةٌ فرُخامها
فصوائقٌ إن أيمنتْ فمظنّةٌ　　منها وحافُ القهر أو طِلخامُها

---

(١) الزوزني، المعلقات العشر، ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبما أن الشاعر وظّف الأطلال وحديث المرأة للتعبير عن أزمة قبيلته المتمثلة بجدب الدّيار واقفارها ورحيل حياة الخصب عنها، فقد جاء حديثه عن الأطلال والمحبوبة الراحلة، مليئاً بمشاعر الحزن، والأسى والألم.لكن شاعرنا يأبى أن يبقى رهناً لهذه الأحزان، فسرعان ما تعاوده الروح الإيجابية، فيأخذ بالبحث عن حلّ لأزمته تلك. وهذا الحل يتلخص بالحركة ووسيلته في هذه الحركة هي الناقة. فالناقة ستنقله من ذلك الماضي الأليم إلى المستقبل الواعد الذي يريد. قال(١):

فاقطعْ لُبانَةَ مَن تعرَّض وَصَلُه | ولَشرُّ واصِلِ خُلة صَرّامها
واحْبُ المجاملَ بالجزيل، وصرمُهُ | باقٍ إذا ظلعَتْ وزاغ قِوامها
بطليح أسفار تركْنَ بقيَّةً | منها، فأحنق صلبُها وسنامها

ولما كان مستقبل الشاعر وقومه لا يدرك بسهولة ولا يتأتى إلاّ بعد جهدٍ جهيد، ولما كان الإنسان في مواجهة مستمرة وصراع دائم من أجل الحياة، فقد خلع الشاعر على تلك الناقة صفات القوة والصلابة والضخامة، فالناقة قوية سريعة تجابه الأخطار، وتخرج منها منتصرة، إنها رمز لقوته وقوة قومه، في مجابهة الخطر المحدّق بهم، وفي شقّ طريقهم في هذه الحياة الصعبة.

ونرى «لبيد» يشبّهها في نشاطها بالسحابة الخفيفة، وقد ربط بهذا التشبيه بين الناقة وعناصر الخصب (المطر)، وهذا يعبّر عن أمل الشاعر في أن تنجح ناقته في إيصاله إلى أماكن خصيبة. قال(٢):

فلها هبابٌ في الزِّمام كأنها | صهباء خفٌ مع الجنوب جهامها

وشبّهها بأتان يسوقها الفحل سوقاً عنيفاً ليدخلا وسط غابة قال(٣):

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٦٤، ١٦٥.
(٢) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٦٦ و ١٦٧.
(٣) المصدر السابق، ص ١٦٨، ١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو ملمعٌ وسقَتْ لأحقبَ لاحَه   طرد الفحول وضربها وكِدامها
يعلو بها حَدَبَ الإكام مسحَّجٌ   قدْ رابه عصيانها ووحامها
بأحزَّة الثلبوت يربأُ فوقها   قفرُ المراقب خوفها أرْآمها

وحركة الأتان والفحل هذه ما هي إلاّ رمز لحركة القبيلة نحو مواطن الخصب. وكما أن الظعائن وهوادج النساء كانت تتقدم أثناء الرحيل خوفاً عليها وحمايةً لها كانت الأتان تتقدم حمار الوحش. قال(1):

فمضى وقدَّمها وكانت عادةً   منه إذا هي عرَّدت إقدامها

وقد استطرد لبيد في وصف الناقة فشبهَها ببقرة وحشية غفلت عن ولدها فافترسته السّباع، فتأخرت عن القطيع وأسرعت في السير طالبةً ولدها(2):

أفَتلكَ أمْ وحشيةٌ مسبوعةٌ   خذلتْ، وهاديةُ الصّوارِ قِوامها
خنساءُ ضيَّعت الفَرير فلم يَرِمْ   عُرضَ الشقائق طَوفُها وبُغامها
لِمُعفَّرٍ قهدٍ تنازع شِلْوَهُ   غُبسٌ كواسبُ لا يُمَنُّ طعامها
صادفْنَ مِنها غِرَّةً فأصبنْها   إنّ المنايا لا تطيش سهامها

وقصة بقرة الوحش ترمز إلى صراع البقاء في المجتمع الجاهلي والذي فرضته ظروف الحياة فيه القائمة على الحركة. فهو يؤكد ضرورة اليقظة التامة والتأهب التام للقتال، حتى لا يؤخذ هو وقومه على حين غرّة كما حصل مع البقرة.

ويمضي لبيد في سرد قصة هذه البقرة بعد مصرع ولدها، وما آلت إليه من تشرّد وضياع وهي تبحث عن ولدها أياماً مستمرة، حتى أوشكت أن تقع

(1) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٦٩.
(2) المصدر السابق، ص ١٧٠، ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فريسةً لكلاب الصيد. وقدم لنا لوحةً مليئةً بالحركة والحيوية لمعركة هذه البقرة مع كلاب الصيد. فقال[١]:

حتى إذا يئس الرُّماةُ وأرسلوا ... غُضفاً دواجِنَ قافلاً أعصامها
فلحِقْنَ واعتكرت لها مدريَّة ... كالسمهريَّة حدُّها وتمامها
لِتذودهنَّ وأيقنتْ إن لم تذُد ... أن قد أحمَّ من الحتوف حمامها
فتقصَّدت منها كساب، فضُرِّجتْ ... بدم، وغودر في المكَرِّ سُخامها

نلمس في الأبيات السابقة نوعاً آخر من الحركة، وهو الحركة طلباً للثأر، التي قامت بها البقرة للأخذ بثأر ولدها من الكلاب، وقد رمز الشاعر بذلك إلى حركة الثأر التي كانت تقوم بها قبيلته بعد مقتل أحد أبنائها. وهو بذلك يفتخر بقبيلته، لأن الإنسان العربي كان يفخر بأخذه بثأره.

إما معاناة البقرة الوحشية التي صورها لنا الشاعر، وما كانت فيه من تعرّض للرياح والأمطار والطبيعة القاسية، فهي رمز لمعاناة قبيلة الشاعر من الظروف البيئية والطبيعية التي يعيشون في ظلّها. وأما انتصار البقرة على ظروفها ونجاحها بالأخذ بثأر ولدها، فهو فخر منه بقومه، وقدرتهم على التغلب عما يحيط بهم من أزمات. قال[٢]:

باتت، وأسبل واكفٌ من ديمةٍ ... يُروي الخمائل دائماً تَسجامُها
تجتاف أصلاً قالصاً متنبِّذاً ... بعُجوبِ أنقاء يميلُ هُيامها

بيّن الشاعر أن البقرة كانت مضطرة إلى خوض هذا الصراع مع الكلاب، فهي إذا لم تقتل الكلاب قتلتها، فهي إذن تقاتل دفاعاً عن النفس، وكأن الشاعر يبرّر بذلك ما كانت تقوم به قبيلته من حروب، بأنها كانت مضطرة لمثل ذلك

---

(١) المصدر السابق، ص ١٧٣.
(٢) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٧٤، ١٧٥ و ١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حفاظاً على وجودها، وبقائها. قال[١]:

لِتذودهنّ وأيقنتْ إن لم تذُد   أن قد أحمّ من الحتوف حمامها

وقد رسم الشاعر للبقرة صورة تدل على قوتها وشدتها وعزمها وإرادتها، وكأنه أراد أن يقول: إن القوة والبسالة وسيلته لتخطي وتجاوز مشكلته، والبحث لها عن حلول، فقال[٢]:

فبتلكَ إذ رقص اللوامعُ بالضّحى   واجتاب أردية السراب إكامها
أقضي اللُّبانَةَ لا أفرِّطُ ريبة   أو أن يلومَ بحاجةٍ لَوّامها

وبعد هذه المقدمة الطويلة يلج شاعرنا بالموضوع الرئيس وهو الفخر بنفسه وبقبيلته.

فافتخر بقدرته على الحركة، فهو لا يستقرّ في مكان لا يناسبه:

تَرّاكُ أمكنة إذا لم أرضها   أو يعتلق بعض النفوسِ حمامها

وهو يتحرك على فرسه بحثاً عن مواطن الكلأ والماء لقبيلته، فيصعد الجبال، وينزل السهول، ويتحمل من أجل ذلك الصعاب، والمشاق، فقال[٣]:

حتى إذا ألقت يداً في كافر   وأجَنّ عوراتِ الثُّغورِ ظلامها
أسهلتُ وانتصبتْ كجذع منيفةٍ   جرداءَ يحصَرُ دونها جُرّامُها

وشبّه فرسه بالنعام في سرعتها، وكأنه يفخر بقدرته على الحركة السريعة للوصول إلى حلول سريعة لمشاكل قومه، وأزماتهم، وعلى رأسها البحث عن مواطن الكلأ والماء[٤]:

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٨٠ - ١٨١.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧٦، ١٧٧.
(٣) المصدر السابق، ص ١٨١.
(٤) المصدر السابق، ص ١٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفَّعتُها طرد النعام وشَلّه حتى إذا سخنت، وخف عظامها

ظهر في القصيدة نوع آخر من أنواع الحركة، كان يفتخر الشاعر بالقيام به، وهو الحركة من أجل اللّهو بشرب الخمر وبمصاحبة النساء. وهو بذلك يعبّر عن مدى استعلائه على أزمته وعدم خضوعه وانكساره لها. قال[١]:

بل أنتِ لا تدرين كم من ليلة طَلْقٍ لذيذٍ لهوُها وندامها
قَد بِتُّ سامرها، وغايةِ تاجر وافيتُ إذ رُفعتْ وعزّ مُدامها
أُغلي السباءَ بكلِّ أدكنَ عاتقٍ أو جونةٍ قُدحتْ وفُضّ ختامها
بصبوح صافيةٍ وجذب كرينةٍ بمُوَتَّرٍ تأتالُهُ إبهامها
بادرتُ حاجتها الدجاج بسُحرة لأعَلَّ منها حين هبَّ نيامها

افتخر بقيامه بحركة أخرى وهي الحركة من أجل الميسارة (الميسر) ويرافق هذه الحركة حركة الكرم وتمثلت بتوزيع لحوم حزوز المياسرة للفئات الضعيفة في القبيلة وغيرها. قال[٢]:

وجَزُور أيسارٍ دعوت لحتفها بمغالقٍ مُتشابهٍ أجسامها
أدعو بهنَّ لعاقرٍ أو مطفل بذلت لجيران الجميع لِحامُها
فالضيف والجار الجنيبُ كأنما هَبَطا تبالَةَ مخصباً أهضامها

فهو بذلك يستعلي على الطبيعة القاسية ويتغلب عليها ولا يخضع لها. فاللّهو مع النساء، وشرب الخمر، ولعب الميسر، والكرم أدلةٌ على تفوّقه على واقعه المأزوم، وما فيه من تهديد يطال موارد العيش، والرزق. وهذه الأنواع من الحركة هي أسلوب يحاول من خلاله مقاومة مشاعر الحزن، والألم القابعة في صدره بسبب إقفار دياره وجدبها.

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٨٥، ١٨٦.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة النابغة الذبياني

الحركة الرئيسة في القصيدة هي حركة سياسية، قصد منها النابغة الاعتذار والدفاع عن النفس أمام الملك النعمان بن المنذر وتبرير اتصاله بملوك الغساسنة الذين كانوا أعداء النعمان ومنافسيه، والنابغة حقيقة لم يكن يتحدث إلى النعمان بصفة شخصيّة بل كممثل لقومه وقبيلته، واتصال النابغة بكل من المناذرة والغساسنة المتخاصمين، ممثلٌ لسياسة قبيلته التي كانت مضطرة إلى المحافظة على علاقات وديّة مع كل من الدولتين وعدم الانحياز لأيّ منها، تجنباً لما سيجره هذا الانحياز من ويلات عليها[١].

وقد ظهر في القصيدة أنواع أخرى من الحركة وظّفها الشاعر لخدمة الحركة الرئيسة والتعبير عنها. وسنحاول بيان ذلك.

ابتدأ الشاعر قصيدته هذه - كالمعتاد - بالوقوف على أطلال الحبيبة الراحلة التي هي رمز لحياة الخصب التي غادرت المكان. والطلل نتيجة حركة القوم ورحيلهم بعد أن جفت ديارهم بحثاً عن مواطن الكلأ والماء. قال[٢]:

يَا دَارَ مَيَّـةَ بالعلياء فالسَّنَدِ أقوَتْ وطالَ عليـها سالفُ الأبدِ

وليست المرأة وحدها هي المتحركة، فالشاعر راحل متحرك هو الآخر. وأثناء رحيله مرّ بديار صاحبته الخاوية فوقف يسألها عمن ذهب، وعما أصابها من تغيير. قال[٣]:

وقَفتُ فيها أصيلاً كيْ أُسائلَها عيَّتْ جواباً وما بالرَّبعِ مِنْ أحَدِ

والدّيار لم تجبه على سؤاله، لأنه ليس فيها أحد، فقد غادرها أهلها

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٨، ١٨٩.

(٣) انظر: الشعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، ص ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخلفين وراءهم الآثار الدالة على وجودهم من مثل الأواري التي كانت تشدّ فيها الدّواب، والنؤى وهي حفير يُجعل حوْل الخيمة لئلا يصل إليها المطر. وهذه الآثار دليل على حركة القوم، ورحيلهم عن الديار. كما أنها دليل على نمط حياتهم ومعيشتهم القبليّة البدويّة، فبيوتهم كانت خيام يسهل بناؤها واجتثاثها وحملها إذا ما اضطرت القبيلة للحركة.

وشاعرنا إيجابي لا يعرف الاستسلام والسكون، فهو لا يرى أي فائدة من الوقوف عند هذه الديار، فالوقوف سكون، والسكون موت، فلا بد من الحركة. قال[١]:

فَعَدِّ عمّا تَرَى إذْ لا ارتجاعَ لَهُ وانمِ القُتُود على عيرانةٍ أجُدِ

لكن ما هي هذه الحركة التي يطالب الشاعر نفسه بها؟ إن الحركة التي يجد نفسه مضطراً للقيام بها هي حركة الاعتذار من الملك النعمان نيابةً عن قبيلته، بسبب الخلاف الذي دبّ بينهما - للسبب الذي ذكرناه سابقاً - بعد علاقة المودة والمحبة التي كانت تجمعهما. وظهرت هذه الحركة في قوله[٢]:

فتلكَ تُبلِغُني النُّعمانَ إنَّ لَهُ فَضلاً على النّاس في الأدْنى وفي البعُد

فالشاعر قصد بالدّيار الخاوية التي رحلت عنها المرأة علاقة الودّ والصفاء الماضية التي كانت بينه وبين النعمان، والتي أضحت مدمرة، بعد الخلاف الذي نشب بينهما، فالشاعر عندما كان يبكي الدّيار الخاوية، كان يبكي ما حلّ بينه وبين النعمان من خلاف وقطيعة، والوسيلة التي ارتأها لتجاوز هذه الأزمة وحلّها هي الحركة للاعتذار من النعمان.وتبرير موقف قومه والدّفاع عنهم بعد أن غضب عليهم النعمان لاتصالهم بملوك الغساسنة. فالنابغة مؤمن

---

(١) النابغة الذبياني، الديوان، ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعدم جدوى البكاء على الماضي ذلك الزمن الذي كان إطاراً حوى سعادته، والذي كان ينعم فيه بقرب الملك النعمان بن المنذر، إن هذا الزمن ولّى وانقرض بكل ما فيه، ولا يسع النابغة إلاّ أن ينفض يده من رجعته مرةً ثانية، ويمثل هذا الموقف قوله(١):

فَعدِّ عَمّا تَرَى إذْ لا ارتجاعَ لَهُ　　　وانمِ القُتود على عيرانةٍ أجُدِ

لعلّ النابغة كان مؤمناً بقيمة الحاضر وقوته من غير أن يأسف على الماضي. ومن هنا كان تمجيده للقوة والغلبة، والانتصار في معترك الحياة، والذي عبّر عنه بقصص ثور الوحش والبقرة التي شبه ناقته بها، والتي رمز بها لنفسه كما سنرى بعد قليل.

ووسيلة النابغة للقيام بحركته تلك نحو الملك النعمان، هي الناقة وقد جعل هذه الناقة قوية ضخمة، نشيطة، وحيوية فشبهها بالبعير لصلابة جسمها، وسرعتها، وهي سمينة ممتلئة البدن، لأسنانها صريف يشبه صريف الحبل في البكرة. قال(٢):

مَقذوفَةٍ بِدَخيسِ النّحض بازِلُها　　　لَهُ صريفٌ صريفَ القعوِ بالمَسَدِ

وشبّه ناقته بثور الوحش الذي توجس من الإنس، فازداد نشاطاً، ثم استطرد إلى وصف هذا الثور، فهو من وحوش وجرة، وهي فلاة اتساعها ستون ميلاً، وماؤها قليل، لذلك فبطنه طاوٍ، ثم وصف لنا شكله وجعله أبيض كالسيف الصقيل المسلول وفي قوائمه نقط سوداء. قال(٣):

مِنْ وَحشِ وَجْرَةَ مَوْشيٍّ أكارِعُهُ　　　طَاوي المصيرَ كَسيفِ الصيِّقلِ الفردِ

---

(١) النابغة الذبياني، الديوان، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٣) النابغة الذبياني، الديوان، ص ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستطرد بعدها في وصف معاناة ثور الوحش وصراعه مع الطبيعة القاسية، فقد أمطرت عليه السماء ليلاً في الفصل الذي فيه الجوزاء، أي في فصل الحرّ، وكان مع المطر برد فاحتدت نفسه، وتضاعف حذره، قال[(١)]:

فارتاعَ مِنْ صَوْتِ كلاَّبٍ فباتَ لَهُ   طَوْعَ الشَّوامتِ مِنْ خَوفٍ ومِنْ صَرَدَ

وهذا الثور يرمز للشاعر ومعاناته، بعد أن اضطر للرحيل خوفاً من النعمان، بعد الخلاف الذي دبّ بينهما.

وصوّر معاناة ثور الوحش مع الصائد والكلاب، وصوّر حالة الخوف التي أحس بها عند رؤيته للكلاب، وصور المعركة التي نشبت بين الثور والكلاب، بصورٍ حيّة مليئة بالحركة، والحيوية، وصور قتال الثور المستميت للكلاب، وقتال الكلاب للثور، وما كان فيه من شجاعة وقوة لكلا الطرفين، ولأن الثور كان أقوى فكانت له الغلبة. وهو بهذه اللوحة يقدم لنا صورة عن صراع البقاء المرير، الذي كان يضطر إليه الإنسان الجاهلي، في تلك البيئة ذات الموارد القليلة. فالكلاب تقاتل حفاظاً على وجودها، والثور يدافع مضطراً حفاظاً على وجوده أيضاً، فكلاهما على حقّ في هذا الصراع، إلاّ أن القوة هي المسؤولة عن حسم نتيجة هذا الصراع فقال مصوّراً تلك المعركة[(٢)]:

فارتاعَ مِنْ صَوْتِ كلاَّبٍ فباتَ لَهُ   طَوْعَ الشَّوامتِ مِنْ خَوفٍ ومِنْ صَرَدِ
فَبَثَّهنَّ عليه واستمرَّ بِهِ   صُمعُ الكُعوبِ بَرِيَّاتُ مِنَ الحَرَدِ
وكانَ ضُمرَانُ مِنْهُ حيثُ يُوزِعُهُ   طَعنَ المعارِكِ عِندَ المَحجَرِ النَّجُدِ
شكَّ الفريصةَ بالمِدْرَى فأنفذَها   طَعنَ المُبيطِرِ إذْ يشفي منَ العضدِ
كأنَّهُ خارجاً مِنْ جَنبِ صَفْحتِه   سَفُّودُ شَرْبٍ نَسوهُ عندَ مُفتأدِ
فَظلَّ يَعجمُ أعلىَ الرَّوْقِ مُنقبضاً   في حالِكِ اللَّوْنَ صَدْقٍ غيرِ ذِي أوَدِ

(١) المصدر السابق، ص ٣١.
(٢) النابغة الذبياني، الديوان، ص ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لَمّا رأى واشقٌ إقعاصَ صاحبِه ... وَلاَ سَبيلَ إلى عقلٍ وَلاَ قَوَدَ
قَالتْ لَهُ النَّفسُ إنّي لا أرى طَمَعاً ... وإنَّ مَولاكَ لَمْ يَسلمْ ولم يَصدِ

وقد قصد الشاعر من وراء إيراد قصة الثور الحديث عن معاناته، الخاصة وما يختلج صدره من خوف، وقلق واضطراب نتيجة للخلاف الذي حصل بين قبيلته التي يمثلها، والنعمان بن المنذر. وأما تجاه الثور من الكلاب والصياد فهي تدل على تفاؤل الشاعر بنجاته، من غضب الملك، وقبوله لاعتذاره عن موقف قومه من الغساسنة.

وقد اختتم شاعرنا قصيدته بأبيات، مدح فيها النعمان وأشاد بكرمه، وعطائه الجزيل. وقد جاء تصويره لكرم النعمان مليئاً بالحركة والصخب. فقد قال[1]:

يمُدُّهُ كلُّ وادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ ... فيه رُكامٌ مِنَ اليَنبوتِ والخَضَدِ
يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الملاّحُ مُعتصِماً ... بِالخَيزُرانةِ بَعدَ الزينِ والنَّجدِ
يَوماً بأجوَدَ منهُ سَيبَ نافلةٍ ... ولا يَحولُ عَطاءُ اليومِ دُونَ غَدِ
هذا الثّناءُ فَإنْ تَسمعْ لقائلهِ ... فَلَمْ أُعَرِّضْ أَبَيتَ اللَّعنَ بالصَّفدِ

فالفرات إذا ثارت به العواصف، وماجت وألقت الزبد على ضفتيه، وجرت إليه المياه من الأنهر الصغيرة، والغدران التي تصبّ فيه حاملةً ركاماً من نبات الخشاش ونحوه، حتى اضطر الملاح أن يتمسك بدفة السفينة بعد أن أعياه العرق، والكرب من شدة جريان الماء، فلا يكون هذا الفرات أجود من النعمان، فجوده اليوم لا يمنع جوده غداً لغزارته كونه سجيّةً فيه. وهذه الصورة يظهر فيها عنصر الحركة بشكل واضح.

وقد استطرد النابغة في مدح النعمان ليتوسل بذلك إلى طلب العفو منه

---

(١) النابغة الذبياني، الديوان، ص ٣٥، ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نافياً له أن يكون قد قال عنه ما ادعاه أعداؤه وحسّاده فكلّ ذلك كذب كما قال[١]:

والمُؤْمنِ العائذَاتِ الطَّيرِ تَمسحُها   رُكبانُ مَكَّةَ بينَ الغِيلِ والسَّعَد
مَا إنْ أتيتُ بشيءٍ أنتَ تَكرَهُهُ   إذاً فَلاَ رَفَعَتْ سوطي إلَيَّ يَدِي

فهذا هو اعتذاره فإن لم ينفع عند النعمان فصاحبه حليف الهمّ، قليل الخير، كما قال[٢]:

هَا أنَّ ذي عِذرَةٌ إلاَّ تَكُنْ نَفَعَتْ   فإنَّ صاحِبها مُشارِكُ النَّكد

(١) النابغة الذبياني، الديوان، ص ٣٥، ٣٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة عمرو بن كلثوم

تعددت الآراء حول المناسبة التي نظم فيها عمرو بن كلثوم قصيدته هذه. فقد قال الأصمعي إن الشاعر نظمها في الخلاف الذي كان بين بكر وتغلب، وزعم غيره أنه أنشدها بعد أن فتك بعمرو بن هند. ونحن لا نكترث لهذه الآراء المتضاربة كثيراً، لأن المعلقة تقرّ الأمرين معاً، وما يعنينا هو معرفة أن بكر وتغلب كانوا أخوان، وكان الودّ والوئام يسود بينهما، وأن دماً من جهة الأم يربط عمرو بن كلثوم بعمرو بن هند، ونعرف كذلك أن المناذرة وعمرو بن هند منهم – وقفوا في معركة خزازى مع عرب الشمال ضد عرب الجنوب، وبكر وتغلب من الشماليين[١]. وهذا يعني أنه كانت بين هذه الأطراف الثلاثة علاقات المودة والقرابة والأخوّة ولكنّها ساءت. وقد ألم الشاعر ما حصل بين الأحلاف الثلاثة من خصام وخلاف. فنظم هذه القصيدة محاولاً فيها فضّ هذه الخصومة، واستئصال أسباب الخلاف، ليعود الصفاء والودّ والسلام يجمعهم كما كانوا سابقاً، في معركة خزازى.

فالحركة الرئيسية إذن في هذه القصيدة، هي حركة سياسية هدفها إصلاح ذات البين، وإزالة الخلاف الذي كان بين قبيلة الشاعر وقبيلة بكر من جهة والخلاف الذي كان بين الشاعر وقريبه من جهة أمه عمرو بن هند. أملاً في عودة المياه إلى مجاريها وعودة الأطراف المتنازعة إلى سابق عهدها من الوحدة والمودة والصفاء.

فشاعرنا كان مهموماً مأزوماً، نتيجةً لهذا الخلاف، وهمّه قبلي جمعي لا فردي. ووسيلة الشاعر للاستعلاء على هذا الهمّ وتجاوزه كانت الخمر، التي افتتح قصيدته بالحديث عنها، ووصف مجلس شربها. قال[٢]:

---

(١) سعيد الأيوبي: عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، ص ٥٢١.

(٢) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَلاَ هُبِّي بصحنكِ فاصبَحينا   وَلاَ تُبقي خُمورَ الأندَرينا

فالخمر تؤدي إلى حركة نفسية في نفس شاربها، فتحركه وتنقله من حاضره وواقعه الأليم المتأزم، إلى الماضي السعيد الخالي من الهموم. فهي كما قال شاعرنا: تنسي أصحاب الحاجات والهموم حاجاتهم وهمومهم إذ شربوها. قال(١):

تَجورُ بذي اللبَّانةِ عن هواهُ   إذا ما ذَاقها حتى يَلينا

والخمر تنقل وتحرك الإنسان العاقل إذا شربها – من حالة العقل إلى حالة الجنون والهذيان. قال(٢):

إذا صمدت حميّاها أريباً   من الفتيان خلت به جنونا

لكن شاعرنا يحس بأن التبرير السابق لشربه الخمر، وإقباله عليها لا يكفي لإقناع سامعيه، فقدم تبريراً آخر أعمق، وأشمل لانهماكه في شرب الخمر، وهو توقع الموت. قال(٣):

وإنّا سوفَ تُدركُنا المنايا   مُقدّرَة لنا ومقدّرينا

بل إن الخمر تلهيه وتشغله عن التفكير في الغد (المستقبل) وما يحمله من مفاجآت وحوادث. قال(٤):

وإنّ غداً، وإنّ اليوم رهنٌ   وبعدَ غدٍ، بما لا تعلمينا

فالشاعر يبرّر انهماكه بالخمر بأن الحياة فانية، والموت مدركنا لا محالة،

---

(١)أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٨٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٤.
(٣) المصدر السابق، ص ١٨٤.
(٤) المصدر السابق، ص ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلمَ لا نستمتع بيومنا الحالي، وما فيه من ملذات، فنحن لا نعلم ما تخبئه لنا الأيام من مفاجآت وأحداث، فقد يدركنا الأجل في أيّة لحظة، فلنغتنم يومنا الحاضر لأن الدنيا زائلة غير مأمونة الجانب، والخوف من الموت ومن المستقبل المجهول ملازم للإنسانية في كل زمان ومكان، ولكنّه يعظم أثره ويزداد لدى الإنسان الجاهلي نظراً لطبيعة حياته القائمة في أساسها على الحركة المستمرة طلباً للكلأ والماء. ففي هذا النوع من الحياة يفتقد الإنسان الإحساس بالأمن والاستقرار. فهو مهددٌ بصورة دائمة من قبل الطبيعة أولاً ومن قبل الإنسان الآخر الذي يعيش معه في تلك البيئة وينافسه على مواردها القليلة ثانياً.

ذكر الشاعر زمن شرب الخمر وهو الصباح، زمن الصيد وزمن الغارة والغزو. فالصباح أكثر الأوقات حيوية عند الإنسان الجاهلي، لكن شاعرنا جعله لشرب الخمر ليؤكد قوته واستعلاءه على واقعه المأزوم. قال(١):

ألاَ هُبـيّ بصحنكِ فاصبَحينا   وَلاَ تُبـقي خُمـورَ الأنـدَرينا

وظهر في حديث الخمر حركة مكانية كان يقوم بها الشاعر لشرب أجود أنواع الخمور. فقد كان يتنقّل بين الأماكن التي اشتهرت بجودة خمرها مثل بعلبك ودمشق وقاصرينا. قال(٢):

وكـأْسٍ قدْ شَـرِبْتُ ببعْلبَـكٍّ   وأُخرى فـي دمشْقَ وقاصـرينَا

وقصد الشاعر من وراء هذه الحركة، إلى بيان ترفعه وتنعمّه ليؤكد استعلاءه على أزمته وهمومه الواقعية.

ظهر في القصيدة نوع آخر من أنواع الحركة، وهو حركة الظعائن.

---

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٨٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال[١]:

قفـــي قَبْلَ التفـــرُّق، يـا ظَعينـا نُخبـّرك ِ اليقـينَ وتُخــبرينـا
قفي نَسْأَلْك هـــل أحدثت صـرْمـاً لو شَــكِ البينِ أمْ خُنْتِ الأمينا
بيـوم كريهــــةٍ ضربـــاً وَطعـــناً أقـــرّ بــــه مَواليـــكِ العُيُـــونَا

فالظعائن كانت متحركة راحلة والشاعر يستوقفها ليسألها عن سبب بعدها. فهل هو إعلان للقطيعة بينه وبينها بعدما كان بينهما من محبة وودّ؟! لقد عبّر برحلة الظعائن هذه عن الخلاف والفراق الذي حصل بين بني تغلب وبني بكر من جهة وبينه وبين عمرو بن هند من جهة أخرى. بعد حياة المحبة والوئام والصفاء التي كانت تجمعهم معاً، فهو حقيقة يستوقف المتخاصمين، الذين أوشكوا على معاودة الحرب القديمة، ويحاول أن يناقش معهم أسباب الخلاف والخصام وتبعاته، أملاً في حلّه، وإزالته كما قال في الأبيات السابقة.

واليمين الذي يخشى أن تكون الظعينة قد خانته - كما جاء في قوله السابق - قصد به ما كان بين قبيلته تغلب وبني بكر من عهد، تم على يد الملك المنذر والد عمرو والذي أصلح به بين عشيرتي بكر وتغلب، بعد حرب البسوس التي دامت أربعين سنة، ولكنه خشي أن تعودا إلى الحرب فأخذ منهما مائة غلام رهائن حتى إذا اعتدت إحداهما على الأخرى أفاد من الرهائن[٢].

ثم توجه بخطابه الصريح إلى عمرو بن هند، وطلب منه ألاّ يتعجل في حكمه عليهم، وفي مقاطعته لهم، وأن ينتظر بعض الوقت للتفكير فيما حصل أملاً في أن يعيد النظر فيما اتخذه من قرارات. قال[٣]:

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٨٤.
(٢) الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص ١٩٨.
(٣) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبا هِنـــدَ فَلاَ تَعـجلْ علـيـــنا   وأنظِــرْنا نُخبِّــركَ اليقــينَا

فالمرأة الراحلة رمز استخدمه الشاعر ليعبر عن حياة السلم والصفاء والمودة الراحلة عنهم، وعن بقية الأطراف المتخاصمة. وكما أن حياة السّلم والوئام لم يكن الوصول إليها بالأمر اليسير، فقد كانت ثمرة لحروب طويلة دامت أربعين سنة بين بكر وتغلب. فقد جعل هذه المرأة محصنة، عفيفة، يصعب الوصول إليها، لأنها محمية من قبل أبيها وأخيها ورجال قبيلتها.

قال(١):

أفــي الليــل يعاتبنــي أبــوها   وأخوتَها وهــم لــي ظالمــون

تُــريك إذا دخــلْتَ على خَــلاءٍ   وَقَد أمِنَـتْ عيـونُ الكاشحينا

وقد وصف الشاعر جمال المرأة الراحلة، واستخدم في هذا الوصف عنصر الحركة، مما جعل هذا الوصف أكثر حيوية فقد شبهها بناقة طويلة العنق ترعى الربيع في الأجارع والمتون. قال(٢):

ذراعَــي عَيطـل أدْمـــاءَ بِـكْر   تَـرَبَّعَــت الأجارع والمُتُــونا

وثَـدْياً مثلَ حُقِّ العاج رخصــاً   حصاناً من أكُــفٍّ اللامســينا

ونلاحظ أنه استخدم عناصر الخصب في تصويره للمرأة مما يؤكد أن هذه المرأة رمز لحياة الخصب التي يكون معها الأمن والاستقرار والسلام والصفاء.ونلاحظ أنه ضخم صفات المرأة، مما يدل على إلحاح قضية الخصب على ذهنه والتي يتلازم معها السلام والوئام الذي كان بين المتخاصمين والذي يشغل فكره الآن.

وقد أضفى الشاعر على الظعينة مظاهر الترف والنعيم فهي ترتدي

---

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٨٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلي التي ترن ويُسمع صوتها عند مشيتها. فكأنه يقول انه برحيل حياة السلام والمودة والصفاء بين المتخاصمين رحُلت وبعدت حياة النعيم والترف عنهم لأن السلام والترف متلازمين. قال(١):

وسالِفَتيْ رُخامٍ، أو بِلَنْطٍ　　يرنُّ خشاشُ حَليْهِما رَنِينا

وحركة الظعائن ذكرت الشاعر بعهد الصبا وما كان فيه من ذكريات العشق واللّهو. قال(٢):

تَذكَّرتُ الصِّبا واشتقتُ لَمّا　　رأيتُ حُمُولهَا أُصُلاً حُدِينا

والذكرى حركة نفسية نقلت الشاعر من حاضره الأليم وما فيه من قطيعة وفرقة بين الأحباب والأقارب إلى الماضي السعيد وقد رمز إليه (بعهد الصبا). وقت كان يسود الودّوالصفاء والسلام والوئام بينهم، وهذا يعبّر عن الحسرة والألم القابع في صدره ونفسه والذي يحاول نسيانه.

ومن أنواع الحركة الأخرى التي ظهرت في القصيدة حركة التاريخ، فقد اتكأ عمرو بن كلثوم في ردّه على بني بكر وممثلهم وعلى عمرو بن هند على التاريخ وما فيه من أحداث تدل على شجاعة قومه وحروبهم وغاراتهم وانتصاراتهم الكثيرة. فالتاريخ كان متحركاً إلى الوراء إلى الماضي، ليدلل به على قوة قومه، مهدداً بذلك أعدائهم. إن رفضوا الجنوح إلى السلم - ومحاولاً استمالة الملك خوفاً لصفّ قومه. قال(٣):

وأيامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ،　　عَصَينا الملكَ فيها أنْ نَدِينَا
وسَيِّدِ معشرٍ قَدْ تَوَّجوهُ　　بتاجِ الملكِ يَحمي المُحجَرِينا

---

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٨٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٥.
(٣) المصدر السابق، ص ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تركنـا الخيـلَ عاكـفةً عليـهِ مُقَلَّـدَةً أعنـتَها صُفُونـا
وأنْـزلنا البيوتَ بِـذي طُلوحٍ إلىَ الشاماتِ تنـفِي المُوعِديـنا
وَقَـدْ هرَّتْ كلابُ الحـيِّ مِنَّا، وشَـذَّبنا قتـادةَ مَـنْ يَليـنا

وقد ركّز الشاعر في حديثه عن الماضي على صورة الحروب السابقة التي خاضتها قبيلته، وكان حديثه زاخراً ومفعماً بالحركة سواء في وصفه للخيول، أو في وصفه للمقاتلين، أو في وصفه للأعداء والأسلحة، وسير المعركة. فهم إذا حاربوا قوماً طحنوهم كما تطحن الرحى الحنطة وهذه الصورة يبرز فيها عنصر الحركة بصورة جلية. قال[1]:

مَتى ننقُـل إلى قومٍ رحَـانا يكـونوا في اللِّقاءِ لَها طَحَينَا

وهم في حركة صداميّة قتالية مع الغير، فتارةً نجدهم يغيرون على حمى غيرهم، وتارةً أخرى نراهم يصدون غارات غيرهم عليهم. قال[2]:

حُـدَيَّا النّـاس كلِّهـم جميـعاً مُقـارَعةً بَنيـهمْ عَنْ بَنـينا
فأمَّـا يـوْمَ خَشْيـتا عَلَيْـهِم فتُصبحُ خيلُـنا عُصباً ثُبينا
وأمـا يـوْمَ لا نَخشى عليـهم. فنُمـعنَ غـارةً مُتلبِّـسينا

فالغارة – وهي حركة قتالية – كانت وسيلتهم ووسيلة غيرهم ممن جاورهم لمجابهة قسوة الطبيعة، وما تحدثه من قفر وجدب، وضنك وشظف في العيش.

ظهر نوع أخر من أنواع الحركة وهو حركة توارث المجد، فالمجد يُنقل بالوراثة من الأجداد إلى الآباء ومنهم إلى الأبناء. قال[3]:

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١٩٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٨، ١٨٩.
(٣) المصدر السابق، ص ١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَرِثْنا مَجدَ علقمةَ بن سَيفٍ أباح لنا حُصونَ المْجدِ دِينَا
وَرِثْتُ مُهلهلاً والخيْرَ منهُ زُهَيراً نِعمَ ذُخْرُ الذاخِرينَا
وعَتَّاباً وكُلثوماً جميعاً بهم نِلْنَا تُراثَ الأكرمِينَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة عنترة

الحركة في قصيدة عنترة انت وراء الحرية والخلاص من الرّق، وقد وظّف الشاعر أنواعاً أخرى من الحركة للتعبير عن غرضه الأساسي المتمثل بالخلاص من العبودية والوصول إلى مرتبة الأحرار من أبناء قومه. وهي: ١ – الحركة وراء المرأة الحرّة الكريمة (عبلة)، ٢ – حركة الناقة، ٣ – الحركة القتالية ووسيلتها الفرس. وسنعمل على تتبع هذه الأنواع من الحركة وتوضيح دورها في التعبير عن الحركة الرئيسة في القصيدة وهي الحركة وراء الحريّة.

أولاً: حركة الشاعر وراء المرأة الحرّة الكريمة (عبلة):

ظهرت هذه الحركة في مقدمة القصيدة. فقد ظهر عنترة في مقدمة القصيدة معتلياً ناقته باحثاً عن ديار عبلة. وبعد أن وصل إليها وجدها مقفرةً لدرجة صعب عليه فيها أن يتعرف عليها من الوهلة الأولى، فقد كانت خاوية من أهلها، فقد غادرتها عبلة مع قبيلتها بعد أن أجدبت بحثاً عن ديار أكثر خصباً، وأوفر ماءً. قال(١):

هلْ غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّم ... أمْ هلْ عَرَفْتَ الدَّار بعدْ توَهُّمِ

دارٌ لآنِسَةٍ غَضيضٍ طرْفُهَا ... طَوْعِ العناقِ لذيذَةِ المُتَبَسَّمِ

يا دَارَ عبْلةَ بالجواءِ تَكلّمي ... وعِمي صباحاً دَارَ عَبلَةَ واسلمي

فَوَقفتُ فيها نَاقتي وكأنّها ... فدَنٌ لأقضي حَاجَةَ المُتلوِّمِ

فـ(عبلة) في نظر عنترة – وسيلة الخلاص ونيل الحرية، فقد عبّر من خلال حبّه الشديد لعبلة، وقومه وأمله بأن تقبل حبّه، وتبادله الحب والودّ عن حلمه وأمله بالتحرر والخلاص من العبودية. فعبلة امرأة حرّة كريمة ابنة سيد القوم لا يفكر بها ولا يطمح في الوصول إليها إلاّ من كان نداً مكافئاً لها. ومن

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هنا كان إلحاح عنترة الشديد لأن يبرز لعبلة أنه كفؤ بها حتى تقبله وتبادله الحب والودَّ. فقبولها لحبه لها اعتراف منهاً بحريته لكن هذا الحلم أنّى له أن يتحقق. وهذا الفرق الشاسع بينهما، فعبلة امرأة مترفة منعمة تنعم بالحرير وهو في (حلق الحديد المبهم) فهنالك تفاوت طبقي واجتماعي واقتصادي بينهما. قال[١]:

وتحلُّ عبلةُ في الخدورِ تجرُّها وأظلُّ في حلقِ الحديدِ المبهمِ

ولهذا نجد ديار عبلة بعيدة عن دياره؛ فهي تسكن بالجواء وهو يسكن (بالحزن فالصّمان فالمتثلم)، وهذا البعد وإن ظهر في القصيدة على أنه بعد مكاني، فهو في حقيقته بعد اجتماعي، ونفسي، وطبقي معاً. قال[٢]:

وتَحلّ عبلةُ بالجواءِ، وأهلُنا بالحَزْنِ، فالصَّمّانِ، فالمُتَثَلَّم

وقال[٣]:

كيفَ المزار وَقَدْ تَرَبَّع أهلُها بِعُنَيزَتينِ وأهلُنا بالغَيلمَ

لذا فإن الوصول إلى عبلة (الحياة الحرّة الكريمة) لم يكن بالأمر اليسير على عنترة، كما بيّن في قوله[٤]:

حَلّت بأرْضِ الزائِرِينَ فَأصبَحَتْ عَسِراً عليَّ طِلابُكَ ابنَةَ مَخرَمِ

ونعلم أن كلّ شيءٍ يُحرم منه الإنسان تعظم قيمته في نظر فاقده، ويتخذ صورةً مثاليةً في أغلب الأحيان، وهكذا كانت الحياة الحرّة الكريمة في نظر عنترة العبد الأسود المحروم منها. وقد ظهر لنا هذا الأمر من خلال وصفه لجمال

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢١٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١١.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٣.
(٤) المصدر السابق، ص ٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبلة والتي تساوي في نظره حياة الحرية - كما سبق وأوضحنا - فقد أضفى عليها صفاتٍ مثالية في الجمال، عبّر من خلالها عن تصوره وتخيله لحياة السّادة والأحرار من أبناء قومه، وما فيها من جمال وترف ونعيم. فقال[١]:

إذْ تستبيكَ بِذي غُروبٍ واضحٍ ... عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لذيذ المطعمِ
وكأنَّ فأرةَ تاجرٍ بِقسيمةٍ ... سبقتْ عَوارِضَهَا إليكَ من الفَمِ
أوْ روضةً أُنفاً تضمَّنَ نَبتها ... غيثٌ قليلُ الدِّمنِ ليسَ بِمعلَمِ
نظرتْ إليهِ بمقلةٍ مكحولةٍ ... نَظَرَ المليلُ بطرْفِهِ المُتقسّمِ
وبحاجبٍ كالنونِ زيّنَ وجَهها ... وبناهدٍ حسنٍ وكشحٍ أهْضَمِ

ولهذا كانت ديار عبلة في نظر الشاعر ديار خصبة تنعم بالربيع والأمطار الوفيرة، فهي ديار لأناس أحرار يتوق لأن يصبح فرداً منهم، فحياة الخصب وحياة الحرية يجمعهما أن كلاً منهما تؤدي إلى الأمن والاستقرار، والطمأنينة، التي حُرِم منها عنترة بسبب عبوديته.

حرص عنترة على ذكر مؤهلاته ومقوماته التي تجعله أهلاً لقبول عبلة له، وإعجابها به وتجعله كفؤاً لعبلة (حياة الحرية).

فهو فارس شجاع في القتال وفي الحروب. قال[٢]:

ولقد ذكرتُكِ والرِّماحُ نواهلٌ ... منِّي، وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فَوَدِدْتُ تَقبيلَ السّيوفِ لأنها ... لمعتْ كبارقِ ثغرِكِ المتبسِّمِ
لما رأيتُ القومَ أقبَل جمعُهمْ ... يتذامرونَ، كررْتُ غيرَ مُذمَّمِ
ما زلتُ أرميهمْ بغرّة وجهِهِ ... ولبانِهِ حتى تَسَرْبَلَ بالدّمِ
فازْورَّ مِنْ وَقعِ القنا بِلَبانِهِ ... وشكى إليَّ بعبرةٍ وتحمْحُمِ

---

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ١١٣ و ١١٤.
(٢) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لوْ كانَ يَدري ما المُحَاوَرَةُ اشتكى ولكانَ، لو علم الكلام، مكلِّمي
ولقدْ شفى نفسي وأبرأ سُقمها قَيلُ الفوارس: «ويكَ عنتر أقْدِمِ»

ومن مؤهلاته الأخرى التي يذكرها لعبلة أملاً في أن تقبل حبّه، وتعترف به. شرب الخمر، وهي من مقومات الرجولة والفروسية التي كان يفتخر بها العربي آنذاك ويزيد عنترة من فخره بنفسه، بأن الخمر لا تذهب بعقله إذا شربها. قال[١]:

ولقد شربْتُ من المُدَامَة بَعدَما ركد الهواجرُ بالمشُوفِ المُعْلَمِ
بزُجاجةٍ صَفْراءَ ذاتِ أسرَّةٍ، قُرِنتْ بأزهَرَ في الشمال مُفَدَّمِ
فإذا شَرِبتُ فإنَّني مستَهلِكٌ مالي، وعرضي وافرٌ لم يُكلَمِ

ومن مؤهلاته الأخرى الكرم؛ فهو كريم معطاء لا يقصر عن الكرم والعطاء، فقال[٢]:

وإذا صحَوتُ فما أقصِّر عن ندىً وكما علِمتِ شمائِلي وتكرُّمي

ظهر في قصيدة عنترة حركة أخرى وهي حركة الناقة، وحركة الناقة كانت جزءاً من حركة الشاعر نحو الحريّة. فالناقة وسيلة الحركة والرحيل للخلاص من الجدب والقحط، وهي وسيلة الشاعر للابتعاد عما يقاسيه، ويعانيه من آلام ومتاعب وقهر بسبب عبوديته، والتي كانت تجعل حياته مجدبة مقفرة، كالطلل تماماً. لذا فقد كانت حركة الشاعر على ظهر ناقته موجهة نحو ديار عبلة رمز الحرية والخلاص من الرّق. قال[٣]:

هلْ تُبلغَنّي دَارَها شَدنيّةٌ لُعنَت بمحرُومِ الشرابِ مُصرَّمِ
خطّارةٌ غِبَّ السُّرَى، زيّافةٌ تطِسُ الأكامَ بذاتِ خفٍّ مِيثَمِ

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢١٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٧.
(٣) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر أن عنترة كان قلقاً وشاكاً بقدرة هذه الناقة على إيصاله إلى ما يصبو إليه، وقد شفّ عن ذلك التساؤل الذي كان يطرحه على نفسه والذي ظهر في البيتين السابقين. وها قد تأكدت ظنونه وشكوكه السابقة، فالناقة عجزت عن الوصول إلى مورد الماء الذي يريده، ووردت مورداً آخر. قال[١]:

شَربتْ بماءِ الدحرضَين فأصبحتْ ... زوراءَ تنفرُ عن حياضِ الديلم
وكأنّما تنأى بجانبِ دَفها الـ ... ـوَحشيِ مِنْ هَزجِ العشيِّ مُؤوَّم
هرٌّ جنيبٌ كلما عطفتْ لهُ ... غَضَبَى اتّقاها باليدينِ وبالفم

وقد ظهرت الحركة في صورة الظليم (ذكر النعام) الذي شبّه به ناقته، فالظليم كان يتحرك ويقود النعام وراءه، وقد شبه هذا الظليم بالعبد الأسود. قال[٢]:

كأنما تطسُّ الأكامَ عشيّةً ... بقريبِ بينَ المنسمين مُصلَّم
تأوِي لهُ قُلص النعامِ كما أوتْ ... حزقٌ يمانيةٌ لأعجمَ طمطم
يَتبعنَ قلَّةَ رأسهِ وكأنَّهُ ... حدجٌ علىَ نَعشٍ لهنَّ مخيَّم
صعلٍ يَعودُ بِذي العشيرةِ بيضهُ ... كالعبدِ ذي الفرو الطويل الأصلم

وتشبيه الظليم بالعبد الأسود يدل على مدى إلحاح قضية السواد وما اقترن بها من عبودية على ذهن عنترة. ويدل أيضاً على آلامه النفسية الناجمة عن سواده.

وهذه الصورة تدل من جهة أخرى على مدح عنترة لنفسه، بأنه قادرٌ على القيادة وتحمل المسؤولية، فالظليم كان أسود مثل العبد أي مثل عنترة، ورغم ذلك كان يقود الإناث فكأن عنترة أراد أن يوصل رسالةً إلى عبلة وقومها،

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفادها أن سواد لونه لا يمنعه من السيادة، أو من الحياة الكريمة.

وظهر في هذه القصيدة نوع آخر من أنواع الحركة وهو الحركة القتالية ووسيلتها الخيل وهذه الحركة كان يقوم بها عنترة، وذكرها في القصيدة ليبرز بطولته وشجاعته أمام عبلة، حتى يشعرها بأنه كفؤ بها، ويحثها على قبول حبه، والاعتراف والاعجاب به، وبالتالي تحقيق حريته. فبطولته وفروسيته تعوضان ما يفتقر إليه من جمال اللون، ومن نسبٍ رفيع، ومكانة مرموقة تؤهلانه ليكون حراً. فقال مخاطباً عبلة[١]:

يا عبل لو أبْصَرْتني لرأيتنــي　　في الحرب أُقدمُ كالهِزْبر الضَيغَمِ
أنّي عَدَاني أن أزُورك فاعلَمــي　　ما قد علِمتِ وبعض ما لَمْ تَعْلَمي

ولهذا كان يذكرها أثناء قتاله وعند اشتداد المعركة، لأنه يقاتل من أجلها، أي من أجل حريته، قال[٢]:

ولقــد ذكرتُك والرِّمــاحُ نــواهل　　منّي، وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فــوددتُ تَقبيلَ السيوفِ لأنــها　　لمعتَ كبــارقِ ثغــركِ المتبــسِّمِ

وللتدليل على فروسيته وبطولته في القتال ذكر بعض القصص، ومن القصص التي أوردها لهذا الغرض قصة صراعه مع زوج الغانية. فقال[٣]:

وحليلِ غَانيــةٍ تركْـتُ مُجـدَّلاً　　تمكُوْ فريصــتُهُ كشـدقِ الأعْلَمِ

(١) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢١٢ و ٢١٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في معلقة الحارث بن حلزة اليشكري

الحركة الرئيسية في هذه القصيدة حركة سياسية قصد الشاعر من ورائها تمثيل قبيلته، والدفاع عنها أمام الملك عمرو بن هند، بعد الخصومة التي حصلت بين بني بكر وبني تغلب بعدما كان بينهم من صفاء وسلام ووئام، وقد تناغمت أجزاء القصيدة كافة في التعبير عن هذه الحركة، وبيان موقف الشاعر الممثل لموقف قبيلته من تلك الخصومة.

ابتدأ الحارث قصيدته بمقدمة سيطرت عليها روح الحزن والحسرة والألم نتيجة لحركة صاحبته أسماء، عن الديار التي عهدها بها. واعتاد على وجودها فيها. قال(١):

آذنتنا بِبَيْنِها أسماءُ	رُبَّ ثاوٍ يُملُّ منهُ الثّواءُ
بَعدَ عَهدٍ لَنَا ببرقةِ شمَّا	فَأدنى ديارِهَا الخَلْصَاءُ
فرياضُ القطا فأَوْديةُ الشُّرْ	بُبِ فَالشُّعبتانِ فالأَبْلاءُ
لا أرى مَنْ عَهدْت فيها فأبكي	اليومَ دَلهاً، وما يُحيرُ البكاءُ

ولكن كيف يتحسر الشاعر على بعد/ بين أسماء وبنفس الوقت يعلن بأنه قد ملّ من ثوائها، وإقامتها في الديار فهل قربها لم يعد مرغوباً به لدى الشاعر؟ ما هذا التناقض في الشاعر في مقدمة القصيدة؟ وكيف نفسره؟

علينا بدايةً ملاحظة أن الشاعر لم يكن يتغزل بامرأة اسمها أسماء، إن أسماء في معلقة الحارث رمز لحياة الأمن والاستقرار والسّلم والوحدة والصفاء التي نعمت بها كل من بكر وتغلب قبل أن تعصف بهم رياح الفرقة والخلاف فالسلام والأمن والصفاء – كعادته – لا يدوم، فسرعان ما ينقلب إلى صراع وحروب وقلق وخوف.

---

(١) الزوزني، ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ الحارث يتحسر على أيام الصفاء، وأيام السلم السابقة ويدعو إخوانه التغلبيين إلى العودة للسلم، والمحافظة عليْه وتجنب الحرب، وهو في دعوته هذه لا يصدر عن موقف ضعف، أو لين، بل على العكس، فهم - قومه - قادرون على الحرب مستعدون لها، ومحبون للقتال والحرب، لا يبالون بها ولا يخافون عواقبها، لكنهم مقبلون على السّلم الكريمة إن التزمت بها تغلب، وإلاّ فإنهم مستعدون لمعاودة الحرب إن تُبعث الخصومة والفرقة بينهم من جديد، فإن أصرّت تغلب على موقفها بمعاودة الحرب والتي يكون معها رحيل للسلم المعلن بين القبيلتين والذي رمز إليه بـ (بين أسماء) فهم أيضاً سيملون هذا الثواء/ السّلم ويعاودون القتال. فهم لا يملون الحرب.

إذن فأسماء - حياة السلم والاستقرار قد رحلت عن ديارهم التي اعتاد الشاعر رؤيتها فيها، وتركتها قفراء متصارعة متحاربة. وهذه المواضع التي ذكرها الشاعر (برقة شماء، والخلصاء، والمحيا والصفاح) - كما يقول سعيد الأيوبي - لا تعدو أن تكون مواضع وأماكن شهدت المعاهدات والمواثيق التي تمت بين بكر وتغلب، والأيام والوقائع التي حققا فيها معاً باتحادهما النصر والغلبة مثل يوم خزازى[١].

وقد استغل الحارث هذا الماضي المشرف للقبيلتين لتذكيرهم بأهمية الوحدة السابقة بينهما أملاً في أن يعودا لرشدهما ويتداركا الخلافات قبل أن تؤدي بهما إلى حروب شنيعة تقضي على قوة كلٍّ منهما.

ولهذا ظهر الشاعر في المقدمة مهموماً حزيناً فهو قلق للخلاف الذي حصل بين القبيلتين والذي ينذر بتجدد الحرب بين الطرفين ووسيلة الشاعر لتجاوز هذا الهمّ والتغلب عليه هي الحركة التي قام بها لتمثيل قومه والدفاع عنهم في هذا الخلاف والدعوة إلى الصلح بين الطرفين المبني على الاحترام المتبادل.

---

(١) عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، سعيد الأيوبي، ص ٥١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد شبه الشاعر ناقته بالنعامة التي كانت آمنة ثم أحست بخطر الصياد عصراً وقد دنا دخولها في المساء، فأخافها ذلك وتذكرت أولادها فأسرعت تبغي النجاة، وقد عبّر الشاعر بصورة النعامة القزعة الخائفة عما يحسّ به من خوف وقلق من اندلاع الحرب وما تحمله من شرور وويلات ستطال جميع الأهل.

وقد حمّل الحارث قبيلة تغلب مسؤولية هذه الحرب، فهم الذين عزموا على الفراق وقرروا الهجر والقطيعة، فقد تجنوا عليهم، وحملوهم ذنب غيرهم، وطلبوا منهم ما ليس لهم بحق، وألحّوا في الإساءة إليهم، وطالبوهم بجناية كل من جنى عليهم، وأكدّ مرةً أخرى على أنهم إن استمروا على هذه الحالة، فسيكونوا لهم بالمرصاد، لأنهم لا يملون الحروب، فهم فرسان بمثلهم ينبغي أن تجول الخيل، وأن تأبى أن يجلي ركبانها عن أوطانهم، فهم يحمون حماهم ويذبّون عن الحمى، فكأن المنيّة برميها إيّاهم بمصائبها ترمي جبلاً، فهي لا تضرّ ولا تؤثر فيهم كما قال[1]:

أنّ أخـوانَـنَا الأراقـمَ يَغـلـوُ ... ن عَليـنا فـي قِيلهـم إحـفاء
يَخلطـونَ البريءَ منّـا بـذي الذّ ... نـبِ ولاَ ينفـعُ الخلـيَّ الخـلاءُ
زَعمـوا أنَّ كـلَّ مـن ضَرَبَ العَيـ ... ـرَ مَـوالٍ لنـا وأنّـا الـوَلاء
أجمَـعوا أمـرَهُـمْ عِشِاءً فَلَمَّـا ... أصبـحوا أصبحتْ لهُمْ ضَوضَـاء
مـن مُنـادٍ ومـنْ مُجيـبٍ ومِـنْ ... تصـهالِ خيلٍ خلالَ ذَاكَ رُغـاء
أيّهـا النـاطِقُ المُرَقِّـشِ عَـنّا ... عِندَ عمروٍ وَهَـلْ لـذاك بَـقاء
لا تَخَلـنا عَلـى غَـرَاتَـكَ إنّـا ... قَبـلُ مَا قَـدْ وَشَى بِنا الأعـداء
فبقيـنا عَلَـى الشنـاءةِ تنميـنا ... حُصـونٌ وعـزَّةٌ قَعـساء
قَبْلَ ما اليوم بيَّضتْ بعيون الناس ... فيـها تَغيُّـظٌ وإبَـاءُ
وَكَـأنَّ المنـونَ تَـرْدي بـنا أر ... عَنْ جَوْنـاً ينجـابُ عنـه العـمَاء

---

(١) الزوزني، ص

مُكفهــــراً عَلَى الحـــوادِث لا تَـــرْ تُـــوهُ للـــدَّهر مُؤْيِـــدٌ صَمَّــــاء

وقـد دعـا الشـاعـر القـبـيلتـين إلى الصلح والتـعـايش مـعـاً وترك التكبـر، والجـهل، لأن ذلك يُفضي بهم جـمـيـعاً إلى شرٍّ عظيـم، وهـو في دعـوتـه هذه إلى السلم يحـاول أن ينـاقش، ويحلّل أسـبـاب الخلاف لاحتـوائه، وتداركـه قـبل أن يستـفحل لكنه ينبـه إلى أن مـعالجة الخلاف لا بد فـيـها من المحافظة على حقوق قبيلتـه، وعدم تحميلها ذنوب لم تقترفها، وعدم إذلالها، فالسلم يقوم على تكافؤ الأطراف وتعادلها. قال[١]:

فأتركُوا الطيخ والتعاشي وأمَّا تتعاشوْا ففي التـعاشي الدَّاء

واعلمـــوا أنّنا وإيـــاكُمُ فيـــما أشترَطْنَا، يومَ احْتلفنا، سواء

ظهر في القصيدة نوع آخر من الحركة وهو الحركة التاريخية. فقد رجع الشاعر بحركة عكسية إلى الماضي، واستحضر ما فيه من أحداث سياسية وتاريخية، تخدم غرضه وقضيته الأساسية، المتمثلة بالدفاع عن قبيلته، والدعوة إلى رأب الصدع القائم بين القبيلتين.

فقد ذكر أسماء كثير من المواقع التي تحاربت فيها بنو تغلب وبنو بكر، في تلك الحرب المسمية بحرب البسوس، وقصد من وراء ذلك أن يعيد إلى أذهان الطرفين المتحاربين الويلات والمصائب والشرور، التي جرّتها عليهم تلك الحرب. والتي ستصيبهم من جديد إن ظلّوا مصرّين على الحرب.

وذكّرهم بما كان بينهم من صلح وما قدم فيه من العهود والكفلاء، وهو بذلك يدعوهم إلى الالتزام بذلك الصلح وعدم التنصل من العهود التي قطعها كل طرف على نفسه، قال[٢]:

---

(١) الزوزني، ص٧٨
(٢) المصدر السابق، ص٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَاذْكُــرُوا حلْفَ «ذي المجاز» وَمَـا قُـدِّمَ فـيـهِ العُهُـودُ وَالكُفَــلاءُ
حَــذَرَ الجَــوْر والتعــدّي وهـلْ يُنقـضُ ما فـي المهارق الأهوَاءُ

كما ذكّرهم بالغارات التي قام بها الحيان (بكر وتغلب) على غيرهم من القبائل، والتي أبلي فيها كل حيّ ضروب البسالة والنجدة. وكأنه يريد أن يؤكد لهم أهمية الوحدة ما بين القبيلتين، وقيمة وفائدة تلك الوحدة على كلّ منهم، فهي تجعلهم قوة سياسية، وعسكرية كبيرة لها وزنها في ذلك المجتمع المتصارع[١].

كما ذكّرهم بالأيام والوقائع التي كانت بينهم وبين بني بكر، والتي كانت الغلبة فيها للبكريين، وما أعمله فيهم البكريون من قتل لم يستطع التغلبيون بعده أن يثأروا لقتلاهم، وقصد من وراء ذلك التدليل على قوة وشجاعة بني بكر، حتى يرغم تغلب على عدم الاستهتار بهم، فهم قوة مكافئة لهم في الحرب والسّلم معاً. قال[٢]:

هَــلْ عَلمـتم أيــامَ ينتــهبُ النا سُ غِـــواراً لكــلِّ حــيٍّ عــواء
إذْ رَفَعْنا الجمـالَ مِن سعف البحرَ ين سَيـراً حَتَّــى نَهَاهَـا الحِساء
ثُـــمَّ ملـنَا علـى تَميـمٍ فَأَحْـــرَ مْنـــا، وفينا بَـنـاتُ مُـرٍّ إمـــاء

كما لمّح للعداء القديم الذي كان بين التغلبيين والمنذر بن ماء السماء، والد عمرو بن هند، لما امتنعوا عن نصرته، ووصف ولاء بني بكر للملوك الحيرة، ورمى من وراء هذا التلميح جذب الملك إلى صفه، وصف قومه إذا أصدت تغلب على موقفها الرافض الجنوح لـ (سلام الشجعان)، قال[٣]:

كَتكاليفِ قوْمِنا إذْ غزَا المُنــذر هَـلْ نَحــن لابــن هــندٍ رعاء

(١) انظر: سعيد الأيوبي، عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، ص ٥١٦.
(٢) الزوزني، ص ٢٧٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال[1]:

إنَّ عَمــــراً لنا لــدَيــه خَـسلاَلٌ غيرَ شــك، فــي كلِّهــنَّ البــلاء

مَنْ لنا عِنـدَهُ من الخيـرِ آيــاتٌ ثــلاثٌ فـــي كُلِّهــنَّ القضـــاء

وهكذا لاحظنا كيف تضافرت عناصر القصيدة كافة في التعبير عن الحركة السياسية فيها.

(١) الزوزني، ص ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في قصيدة الأعشى

الحركة في هذه القصيدة حركة سياسية، هدفها التحذير والانذار من قيام حرب قبليّة، تؤدي إلى تمزق وتفرّق القبائل، التي كانت تربطها سابقاً أواصر القربى، والصداقة والمحبة والأخوة، نتيجةً للوشاية التي قام بها يزيد بن مسهر الشيباني. فيقال: «أن رجلاً من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة، يقال له (ضبيع) قتل رجلاً من بني همام بن مالك بن ضبيعة يقال له (زاهر بن ضياء بن أسعد بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، وكان ضبيع مطروقاً، ضعيف العقل، فنهاهم يزيد بن مسهر أن يقتلوا ضبيعاً بزاهر وقال: اقتلوا به سيداً من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، فحضّ بني سيار بن أسعد على ذلك وأمرهم به، وبلّغ بني قيس ما قاله، فقال الأعشى هذه القصيدة يأمره أن يدع بني سيار وبني كعب ولا يعين على بني سيّار، فإنه إن أعانهم، أعانت قبائل بني قيس بني كعب، وحذرهم أن تلقى شيبان منهم، ما لقوا يوم العين»(١).

وقد صرّح الشاعر بتهديده ووعيده لمسهر بن يزيد الشيباني في آخر قسمٍ من أقسام القصيدة، فقال(٢):

أبْلغْ يَزيدَ بنـي شَيْبـان مَألُكـةً ... أبـا ثُبَيْـتٍ أمَـا تَنـفكُ تَأْتـكلُ
ألسْتَ مُنتهياً عـنْ نَحتِ أثلتنا ... ولَسـتَ ضَائرهَا مـا أطَّتِ الإبـل
كناطـحٍ صخـرَةً يَوماً ليوهنَها ... فَلَمْ يضرْهَا وأوْهَى قَـرْنَهُ الوعلُ
تُغْـري بنارَهَطَ مَسعودٍ وإخْـوتَه ... يـوم اللِّقـاء فتُـرْدي ثُـمَّ تَعْـتَزِلُ
لا أعرفَنَّـكَ إنْ جَدَّتْ عـداوتُنـا ... والتمِسَ النصرُ منكمْ عَوْضُ تحتملِ
تُلحِمُ أبناءَ ذي الجدَّينِ إنّ غضِبوا ... أرماحنَـا ثُـمَّ تَلقاهُـمْ وتَعتَـزِلُ

---

(١) شرح القصائد العشر للتبريزي، ص ٤٧.

(٢) الديوان، ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تَقْعَدَنَّ وقدْ أكَّلْتَها حَطَباً   تعوذُ مِنْ شَرِّها يَوماً وتَبتهِلُ

سائِلْ بَني أسَدٍ عَنّا فقدْ عَلِموا   أنْ سوفَ يَأتيكَ من أنبائِنا شَكَلُ

فقد كانت الحركة السياسيّة التي قام بها الأعشى المحور الأساسي الذي دارت في فلكه بقية عناصر القصيدة. فقد وظف الأعشى أجزاء القصيدة الأخرى: حديث المرأة، والخمر وحديث الظعائن، ووصف البرق والمطر للتعبير عن هذه الحركة السياسية التي أوكل نفسه بها.

ابتدأ الأعشى قصيدته بتصوير مشهد رحيل المرأة وأهلها عن الديار، وصوّر ما كان يعتصر قلبه من ألم وحزن ومعاناةٍ لهذا الفراق، الذي لا طاقة له عليه، ولا قدرة له على تحمل نتائجه وتبعاته، قال(١):

ودِّعْ هُرَيرةَ إنَّ الرَّكبَ مُرتحِلُ   وَهَلْ تُطيقُ وداعاً أيُّها الرَّجُلُ

رمز الأعشى بالمرأة إلى حياة الأمن والاستقرار والسلم التي كانت تعيش في ظلّها كل من بني ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وبني مرّة بن ذهل بن شيبان. وها هي (هريرة) تعدّ العدّة للرحيل عن ديار تلك القبائل التي كانت تعيش في أمن وسلام، مخلفةً وراءها النزاع والشقاق.

والأعشى عندما يعلن نبأ رحيل هريرة فإنه ينبّه ويحذّر من اشتعال نار الحروب بينهم، وما تجرّه عليهم من ويلات وشرور لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على تحمل عواقبها الوخيمة. فالسؤال الذي يطرحه على نفسه، إذا ما كان قادراً على تحمّل فراق هريرة أم لا، إنما هو سؤال يوجهه لكل تلك القبائل يدعوها فيه إلى التفكير والتروي قبل اشتعال الخصومة بينهم، فهل تستطيع تحمل ويلات وشرور تلك الحرب ومصائبها. إن هذا السؤال دعوة للوقوف مع الذات ومواجهتها حول ضرورة هذه المواجهة وعواقبها. إنها دعوة لتحكيم

(١) الديوان، ص٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقل وإعادة النظر فيما حصل وعدم التسرع، فالتسرع عواقبه وخيمة لا يحتملها أحد.

وصف الأعشى جمال (هريرة) ومحاسنها الخَلْقية والخُلُقية وصفاً دقيقاً، يبين مقاييس الجمال التي كانت في عصره. فقال[1]:

غــرَّاءُ فَــرْعاءُ مَصقــولٌ عَوارضُــها
تمشي الهُوَيْنا كما يمشي الوَجي الوَحِـلُ
كأنَّ مِشْيتَــها مِــنْ بَيتِ جــارَتِها
مَــرُّ السَّحابــةِ لاَ رَيْـــثٌ وَلاَ عَجَــلُ
تَسْمــعُ للْحلْي وَسْواساً إذا انصرفَتْ
كما استْعــانَ بريــحٍ عِشْرِقٍ، زَجِــلُ
ليسَتْ كَمَــن يَكْرَهُ الجيرانُ طَلْعتــها
وَلاَ تَــرَاهــا لِسِــرِّ الجــارِ تخــتتِلُ
يكــادُ يَصــرعُها، لــولا تشــدُّدُها
إذا تقُــومُ إلــى جــاراتِها، الكسلُ
إذا تُــلاعِبُ قِــرْناً ساعةً فَتَــرَتْ
وارتجَّ مِنــها ذَنُــوبُ المتْــنِ والكــفلُ
مِلْءُ الوِشَــاحِ وصِفْرُ الــدِّرعِ بَهْكنةٌ
إذا تَــأَتَّى يــكادُ الخصْــرُ يَنْــخزِلُ
نِعْــمَ الضَّجيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصرَعُها
للَــذَّةِ المــــرءِ لا جــافٍ ولا تَــفِلُ
هَــرْكَولَةٌ، فُنُــقٌ، غُــرْمٌ مــرافِقها
كــأنَّ أخمصــهَا بالشَّــوكِ مُنْتــعِلُ

---

(١) الديوان، ص ٢١٧، ٢١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يعبر من خلال هذا الوصف عن جمال وروعة حياة السّلم وحياة الأمن والاستقرار، قياساً إلى ما تحدثه الحُروب من اضطراب، وخوف وقلق وتهديد دائم.

نلمس في وصف الأعشى لهريرة، التركيز على عناصر الخصب (الماء والنبات)، والتي يكون معها الاستقرار والأمن والحياة الجميلة الوادعة، التي تخلو من الصراع.

ومما يدل على ارتباط المرأة بحياة الخصب تضخيمه لأعضاء الأنوثة فيها، فجعلها ممتلئة شحماً ولحماً، ثقيلة الأرداف ضامرة الخصر، بطيئة الخطو، حتى أن قدميها تعجز عن حمل ذلك الجسد الممتلىء.

وشبهها في مشيتها بالسحابة التي تحمل الخير واليمن والبركة إلى الجميع ويقبل عليها الناس بالفرحة والبهجة وحسن اللقاء. وهذا التشبيه يدل على إلحاح عناصر الخصب على ذهن الشاعر، ويدل على انشغاله بقضية الخصب التي يكون معها الأمن والاستقرار والسلم الذي يسعى شاعرنا إليه، ويحذر من زواله بالحرب إذا قامت.

ويظهر الحلم بالخصب الذي يحمل الأمن والسلام في الحياة عند الأعشى، بصورة الرّياض الخضراء المعشوشبة التي تفوح منها الروائح الزكيّة، كالأريج والعبق. قال[1]:

إذا تَقومُ يضوعُ المِسكُ أصْورةً ... والزَّنبقُ الوردُ من أردانِها شَمِلُ
مَا روضةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعشِبةٌ ... خضراءُ جادَ علَيهَا مُسبِلٌ هَطِلُ
يُضاحِكُ الشَّمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعميمِ النَّبتِ مُكتهِلُ
يوماً بأَطيبَ منها نَشرَ رائحةٍ ... ولا بِأَحسنَ مِنها إذْ دنا الأصلُ

---

(١) الديوان، ص ٢١٨، ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد صوّر الشاعر الحليّ والذهب مما كانت تضعه هريرة، والتي كان يُسمع صوتها إذا ما انصرفت. والحلي دلالة ترف وغنى هذه المرأة. والترف والغنى لا يصيب الناس إلاّ إذا كان السلم يرفرف على ديارهم. وهذه الحياة المترفة المنعمة المرافقة لحياة الأمن والخصب التي ترمز إليها هريرة سيفتقدونها إذا قامت الحرب بينهم، قال[١]:

تَسْمعُ للْحلي وَسْواساً إذا انصرفَتْ كما استَعانَ بريحٍ عِشْرِقٍ، زَجِلُ

مما يدلنا أيضاً على أن هريرة امرأة مترفة منعمة وصفها بالبياض، فهذا يعني أن هناك من يقوم على خدمتها وتأمين حاجاتها دون أن تضطر إلى مغادرة المنزل والتعرض لأشعة الشمس الحارقة، قال[٢]:

غرّاءُ فَرْعاءُ مَصقولٌ عَوارضُها تمشي الهُوَيْنا كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ

حذّر الأعشى الأطراف المتنازعة من أن يصيبهم ضلال الرأي وغياب العقل والاعتداد بالذات والهوى الفردي فيصم كل واحد أذنيه عن رأي غيره دفعاً لكل تفاهم أو حوار من شأنه أن يعيد الوفاق والوئام، قال[٣]:

عُلقّتها عَرَضاً وَعُلّقتْ رجلاً غَيري، وعُلّقَ أُخرى غَيرَها الرَّجلُ
وَعُلّقَتْهُ فَتاةٌ ما يُحاولها وَمِن بَني عَمِّها مَيتٌ بها وَهِلُ
وعُلّقَتْني أُخَيْرَى ما تُلائمُني فاجتمعَ الحُبُّ، حبٌّ كلُّهُ تَبِلُ
فكُلُّنا مُغْرَمٌ يَهذي بصاحبه ناءٍ وَدَانٍ ومَخبولٌ ومُختبِلُ

وقد وظّف الأعشى فكرة تعارض أهواء المحبين قناعاً فنياً صوّر به فساد الرأي، والاحتكام إلى الأهواء الفردية الذاتية، وعدم المصالحة بين الناس، فكل يعمل على شاكلته ويدور في فلكه، عازفاً عن رأي الآخرين في صلف وكبرياء،

(١) الديوان، ص ٢١٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن شأن هذا التمزق أن يورث الذلّ والمهانة ويجلب الشؤم على البيوت التي قامت بينها الحرب[١].

فالشقاق والنزاع لا يوصل أياً من هذه الأطراف المتنازعة إلى ما تسعى إليه، فالسلام والوئام هما الضامن لتلك الأطراف بالمحافظة على مصالحها، وحفظ وجودها وحياتها.

ظهر في القصيدة حركة أخرى، وهي حركة البرق والمطر. وقد عبّر الشاعر من خلال حديث البرق والمطر عن أمله وحلمه بأن يحلّ الوئام والسلم بين الأطراف المتنازعة، فقد ظهر الشاعر شغوفاً مترقباً لسقوط المطر، الذي يكون معه الخصب والخير والذي هو العامل الرئيس في الأمن والاستقرار. قال[٢]:

بَلْ هلْ تَرَى عارضاً قَدْ بِتُّ أرمقُهُ ... كأنّما البرْقُ في حافَاتِهِ شُعَلُ
لهُ رِدَافٌ وَجَوْزٌ مُفْأَمٌ عَمِلٌ ... مُنطَّقٌ بسِجال الماء مُتَّصِلُ
لَمْ يُلْهِني اللَّهْوُ عنهُ حين أرقبُهُ ... ولا اللَّذَاذَةُ في كأسٍ، ولا شُغُلُ

وظهر في القصيدة أيضاً حركة نحو الخمر واللهو، كان يقوم بها الشاعر مع فتية لا يختلفون في سعيهم إليها عنه، فكانوا يرتادون الحانات ويتنازعون قضب الرّيحان وكؤوس الخمر في أجواء حالمة من الرّقص، والطرب. والحركة نحو الخمر أسلوب لجأ إليه الشاعر ليتجاوز أزمته المتمثلة بالقلق والاضطراب والخوف من نشوب حرب بين الأقارب المتخاصمين. فالخمر تنقله من واقعه المحفوف بالهموم، والمتاعب وتجعله يسرح في أطياف النشوة وغيبوبة السكر، كما أنّ شرب الخمر مظهر من مظاهر القوة والحيوية كان يفتخر به الإنسان في العصر الجاهلي. ومعنى ذلك أن الأعشى أراد أن يعبر

---

(١) عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، سعيد الأيوبي، ص ٥٠٣.
(٢) الديوان، ص ٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بارتياده للحانات هو ومجموعة من أصحابه عن امتلاكه عنصر القوة هو وقبيلته الذين رمز إليهم بالفتية المصاحبين له في مجلس الخمر، مهدداً بذلك يزيد بن شيبان ومن تأشب له.

ويؤكد ما ذهبنا إليه أنه شبّه رفاقه في الشرب بسيوف الهند، وهذه الصورة تدل على قوتهم وحدتهم، قال[١]:

وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الحانوتِ يَتبعُني ... شَاوٍ مِشَلٌّ شلولٌ شلشُلٌ شَوِلُ

في فِتيةٍ كسيوفِ الهندِ قَدْ عَلِموا ... أنْ ليس يدفعُ عن ذي الحيلة الحَيلُ

نازَعتُهُمْ قُضُبَ الرَّيحانِ مُتَّكِئاً ... وَقَهْوةً مُزَّةً راوُوقُها خَضِلُ

لا يَستفيقونَ مِنها وهَيَ راهِنةٌ ... إلاّ بهاتِ وإنْ علُّوا وإنْ نَهِلوا

وقد صرّح الأعشى بقوة قومه وشجاعتهم بالقتال، وقصد من وراء ذلك تهديد خصومهم إذا ما استجابوا لوشاية يزيد بن مسهر وأصروا على القتال، فقال[٢]:

وأسْألْ قُشَيْراً وعَبدَ اللّه كُلَّهُمْ ... وأسألْ ربيعةَ عَنّا كيفَ نَفتعِلُ

إنّا نُقاتِلُهُمْ حتى نُقَتِّلَهمْ ... عند اللِّقاءِ وإنْ جارُوا وإنْ جَهِلوا

وقال[٣]:

نحنُ الفوارسُ يَومَ الحنوِ ضاحيةً ... جَنْبَيْ فُطَيمةَ لاَ مِيلٌ وَلاَ عُزُلُ

قَالوا الطِّعانُ فقلنا تلكَ عادتنا ... أو تَنزِلونَ فَإنّا معشرٌ نُزُلُ

قَدْ نَخضبُ العَيرَ في مَكنون فَائله ... وقَدْ يَشيطُ عَلَى أرماحنا البطلُ

وهكذا لاحظنا كيف تآزرت جميع عناصر القصيدة لخدمة الموضوع الأساسي فيها وهو الحركة السياسية التي قام بها الأعشى.

(١) الديوان، ص ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في قصيدة عبيد بن الأبرص

يلحظ القارئ لقصيدة عبيد بن الأبرص، أن حركة الزمان هي المحور الرئيس الذي دارت حوله عناصر القصيدة كافة، والتي بدت وللوهلة الأولى – متفرقة لا رابط يجمعها. فقد وصف شاعرنا حركة الزمان، وما تحدثه من تغيير وتبديل في ديار القبيلة، وفي المكان بصورة عامة، وكما وصف أثر حركة الزمان في قبيلته وأهله، ورصد أثر حركة الزمان عليه وعلى الإنسانية ككل مبيناً ما تحمله حركة الزمان من جدلية البناء والهدم التي تتصارع خلالها الثنائيات المتضادة كالموت والحياة، والفناء والبقاء، والحلّ والترحال، الشيب والشباب والخصب والجدب مبيناً من خلال ذلك معاناته ومعاناة قومه، ومعاناة الإنسان الجاهلي بصورة عامة، أثناء تفاعله مع حركة الزمان تلك.

بيّن عبيد في القسم الأول من القصيدة أثر حركج الزمان في المكان. فقال[١]:

اقْفَر مِنْ أهلِهِ مَلْحوبُ فالقُطَّبِيَّاتُ فالذُّنُوبُ
فراكِسٌ فثُعَيلِباتٌ فذاتُ فِرْقَينِ فالقَلِيبُ
فَعَرْدَةٌ فَقَفَا حِبِرٍّ ليس بها مِنهُمُ عَرِيب

فحركة الزمان أدت إلى إقفار المكان، ورحيل حياة الخصب عنه، مما اضطر أهله إلى الحركة والرحيل إلى أمان أكثر خصباً، وأوفر ماءً، فمن ملحوب إلى القطبيات، فالذنوب فراكس فثعيلبات... الخ. فالحركة وراء الكلأ والماء مستمرة لا تتوقف عند حدّ ما دامت الحياة مستمرة، والفاء تدل على تعاقب الحركة واستمراريتها.

(١) عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار، الطبعة الأولى ١٩٧٧، ص ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحركة الزمان لا تبقي شيئاً على حاله، فحتى الدّيار فرغت من أهلها، وسكنتها الوحوش الضارية، فالحياة تتغير، والخطوب تحوّل المكان، كما قال[١]:

وبُدِّلَـــتْ من أهلها وُحـــوشاً   وغَيّـرتْ حالَـها الخُـــطوبُ

وكلمة «تبدلت» و «غيّرت» تدل على أن المكان في حركة مستمرة فلا يثبت على حال، ولا يستقر على وضع وهذه الحركة مردها إلى تعاقب الخصب والجدب عليه، مما يجعل المكان يتغيّر باستمرار. فالخصب لا يدوم والجدب لا يدوم أيضاً، فهما في حالة تغيّر مستمرة، وتعاقب دائم، تبعاً لتغيّر الظروف الطبيعية والمناخية.

وتغيّر ملامح المكان مردّها أيضاً إلى حركة القاطنين بهذا المكان. فهم لا يستقرون فيه بصورة دائمة بل يتنقلون ويتحركون باستمرار. فأهل هذا المكان يتغيرون فما أن يخصب المكان حتى تتنافس القبائل عليه، والاستقرار فيه، ولكنهم سرعان ما يرحلون عنه، بعد أن يُجدب فتسكنه الوحوش الضارية.

حركة الزمان – من وجه نظر الشاعر – تؤدي إلى الفناء في كل شيءٍ فهي تحيل الخصب إلى جدب، وتحيل الاقامة والاستقرار إلى رحيل وظعن. وهي تؤدي إلى الموت بعد الحياة بالنسبة للإنسان، وهي تحيل الشباب إلى مشيب. والقاسم المشترك بين هذه التغييرات التي أحدثتها حركة الزمان هو الفناء والدمار والفقر، قال[٢]:

أرض تَـــوارثــها شَعُــوبُ   فكُــلُّ مَنْ حَــلّها مَحــروبُ

---

(١) الديوان، ص ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إمّـــا قَتــيلاً وإمّـا هَلَـــكاً   والشيّبُ شَـينٌ لِمَـــنْ يَشيبُ

فـحركـة الزمـان إذن هـي القوة التـي تفرض نـفسها وسـيادتها على المكان وعلى الإنسـان، وعلى الحيـاة ككل، فكل مـا يحلّ فـي الحيـاة يصـار إلى السلب بـفعل هذه الحركة[١].

فـلا نـعمـة ولا عـزّ، ولا جـاه ولا مـال، يدوم لصـاحبـه، فكلّ ذلك مـسلوب، فالموت والفناء بالمرصاد للجميع، فـحركـة الزمـان لا بد أن تقود إلى القفر في كل شـيء كما قال[٢]:

إنّ يــكُ حــولَ منها أهلـــها   فَــلا بـبـديٍّ ولا عجيـــــبُ
أوْ يـكُ أقفـــرَ منـــها جَـــوُّها   وعـــادَها المَحْـلُ والجُـــدوبُ
فـــكُلُّ ذي نعمـــةٍ مخـــلوسها   وكـــلُّ ذي أمـــلٍ مكـــــذوب
وكُـــلُّ ذي إبِـــلٍ مـــــوروثها   وكـــلُّ ذي سلَـــبٍ مَســلُوب
وكــــلُّ ذي غَيــبة يَـــؤوبُ   وغـائــب المــوتِ لا يَــؤوب

لقـد سـيطرت على شـاعـرنـا الروح الـتـشـاؤمـيـة، فـقـد نظر إلى الجـانـب السلبي في حركة الزمـان، وهو جانب الهدم وتـنـاسـى الجانب الآخر وهـو جانب البنـاء. فالجدب في مكان يهب خصبـاً في مكان آخر، وموت الإنسان فيه حياة لآخرين. والحركة والرحيل عن مكان تؤدي إلى استقرار وإقامة في مكان آخر. والشيب والشيـخوخة لهما عامل إيجابي وهو التجربة العميقة في الحياة والحكمة، والرأي الصائب.

ونظرة الشاعر التشاؤميّة جعلته يخلص إلى النتيجة القائلة: أن الموت هو النهاية الحتميّة لكلّ ما يحيط به، سواء للمكان أم للطبيعة، أم للإنسان،

(١) انظر: عبد العزيز طشطوش، حركة الزمان في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٨٩م.
(٢) الديوان، ص ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل شاعرنا لا يتوقف في تعميم هذه النتيجة على حالته الخاصة، أو حالة قبيلته، بل تمتد لتشمل المجتمع الجاهلي بأسره، والحياة الإنسانية بصورتها العامة لذلك نجده يتوجه بخطابه إلى الإنسان بصورة عامة، دون تحديد، أو تخصيص للإنسان الذي يخاطبه، مما يدلّ على أنه قصد العموم من وراء ذلك. وأخذ ينصح هذا الإنسان أينما حلّ لأنه يشترك معه في شيءٍ آخر أهم من القبيلة، إنه يشترك معه في ذات المصير الإنساني، فقال(١):

ساعِدْ بِأرضٍ إن كنتَ فيها ولا تقُلْ إنَّنـي غَريبُ
والمرءُ ما عاش في تكذيب طُولُ الحياةِ لهُ تعذيبُ
باللـه يـدرك كـل خيـر والقـول في بعضـه تلغيبُ

ووسط هذا الإحساس بالفناء والهدم لا يرى الشاعر حلاً أو مخرجاً لأزمته والتخفيف من الامه إلاّ البكاء، فطلب من عينيه أن تذرفا الدموع التي تنهمر، وكأنها قطرات الماء التي تنزل من قربة الماء البالية، أو كأنها النهر الصغير، أو الوادي الذي يمتلىء بالمياه. فقال(٢):

عَيناكَ دَمعُهما سَرُوبُ كأنَّ شأنَيهما شَعيبُ
وَاهيـةٌ أوْ مَعينُ ممعنٍ مِن هَضْبةٍ دُونَهَا لهُوبُ
أوْ فلـجُ وادٍ ببطنِ وادٍ لِلماءِ من تَحتهِ قسيبُ
أو جدولٌ في ظلال نخلٍ لِلماءِ مِنْ تحتها سُكوبُ

فالدموع تريح الشاعر وتخلصه من ضيقه وهمّه، كما تنقي وتطهر مياه الأمطار الأراضي الساقطة عليها، من الأوساخ. فالدموع خلصته من كربه وأعادت إليه التوازن النفسي، كما تعيد المياه الخصب إلى الأراضي المقفرة المجدبة، فيفرج به الناس. والشاعر يعبر من خلال هذه الصورة عن حلمه

(١) الديوان، ص ١٥.
(٢) المصدر السابق، ص ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمله بمعاودة حياة الخصب إلى المكان، والقضاء على الجدب والقفر، وبالتالي عودة أهله الراحلين إليه. وهذا الحلم يعبّرُ عن مدى الضيق، وحدة الأزمة وشدتها على شاعرنا، لأن الإنسان يلجأ إلى الحلم عندما تشتد عليه الأزمات، ويعجز عن مواجهتها على أرض الواقع. فيلجأ إلى الحلم أو إلى الذكرى لتجاوز هذه الأزمة.

والذكرى حركة نفسية إلى الماضي، لجأ إليها شاعرنا ليخفف من وطأة الواقع على نفسه، وما فيه من أزمات تمثلت بالجدب وقلة الماء. لهذا عاد الشاعر لذاكرته إلى الوراء، إلى الماضي إلى عهد الشباب والحيوية والعطاء، واستلهم من ذلك الماضي ما يساعده على تجاوز إحساس السلبية، والانكسار والعجز، إزاء أزمته الواقعية المتمثلة بالجدب. وهذه الذكرى كانت عبارة عن حركة قام بها الشاعر بحثاً عن مواطن الماء إنقاذاً لقبيلته من الهلاك والموت بسبب الجدب. فعلى الرغم من أن الطريق إلى هذا الماء كان مخيفاً إلاّ أن شاعرنا اجتازه، ووصل إلى الماء. فكأنه يجعل من نفسه بطلاً منقذاً للقبيلة من الهلاك والجدب، وباحثاً عن الحلول لأزمتها. فقال مصوراً ذلك(١):

يا رُبَّ ماءٍ وردْتُ آجنٍ ... سبيلُهُ خائفٌ جديبُ
قَطَعْتُهُ غُدْوَةً مُشيحاً ... وصاحبي بادِنٌ خَبوبُ
عيرانةٌ مُؤَجَدٌ فَقَارُها ... كأنَّ حارِكَها كثيبُ

أما وسيلة الشاعر للقيام بتلك الحركة للوصول إلى الكلأ والماء، فكانت الناقة، وقد جعلها الشاعر قوية نشيطة، سريعة تشابه العير في سرعتها.

وقد شبّه شاعرنا ناقته بثور وحشي، كان يرعى (الخزامى)، وهو حمار ألمّ شبابه، ونلاحظ هنا ربط الشاعر مظاهر الخصب بفترة الشباب، وهي

(١) الديوان، ص ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فترة العطاء والقوة، وهي من العوامل الأساسيّة التي تساعد على الحركة نحو مواطن الخصب. وهذا القول يشفّ عن مدى إلحاح عهد الشباب على نفسه، فهو في المقدمة بكى ذهاب الشباب، وقدوم المشيب بفعل حركة الزمان، فكأنه يعبّر من خلال الناقة عن نفسه، قال(١):

كأنّها منْ حَمير غابٍ جَوْنٍ بصفحته ندُوب
أو شَبَبٌ يحتفِرُ الرُّخامي تلفُّهُ شَمالٌ هَبوب

ومن ذكرياته الماضية الأخرى التي استدعاها ليتخلص من الاحساس بالسلبية والعجز، حركته على ظهر حصان للصيد أو القتال، كما قال(٢):

فذاكَ عصرٌ وقد أراني تَحملني نَهدَةٌ سُرْحوب
مُضبَّرٌ خَلقُها تضبيراً ينشقُّ عن وجهِها السَّبيبُ
زَيتيَّةٌ ناعمٌ عُروقُها وليِّنٌ أسرُها رطيبُ

شبّه شاعرنا فرسه بالعُقاب التي كانت تعاني من مرارة الجوع وتعيش في ظروف قاسية على رأسها الجدب، فأبصرت من بعد ثعلباً، كان هو الحلّ الوحيد لانفراج أزمتها، وصوّر الشاعر حركة العقاب نحو الثعلب لاقتناصه، قال(٣):

كأنّها لِقْوَةٌ طَلوبُ تَيَبَّسُ في وَكرِها القُلوب
باتَتْ على إرَمٍ رابِئةً كأنّها شَيخةٌ رَقوبُ
فأصبحتْ في غَداةٌ قُرّةٍ يسقطُ عن ريشها الضَّريب
فأبصرَتْ ثعلباً من ساعةٍ ودُونهَ سبسَبٌ جديب

---

(١) الديوان، ص ١٧.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧ .
(٣) المصدر السابق، ص ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصوّر صراع البقاء الذي دار بين العقاب والثعلب تصويراً أظهر فيه عنصري الحركة والصوت، قال[1]:

فنهضتْ نحوَهُ حثيثاً وحَرَدَت حَرْدَة تَسيبُ
فدَبَّ من رأيها دبيباً والعينُ حِملاقُها مقلوب
فأدركَتْهُ فطرَّحَتْهُ والصَّيد من تحتها مكروب
فعاوَدَتَهُ فرفَعَتُه فأرسلتهُ وهو مكروبُ
يضغو ومخلبُها في دفّه لا بُدَّ حيزومُهُ منقوبُ

عبّر الشاعر من خلال حديثه عن أزمة العقاب ومعاناتها من الجوع بسبب الجدب والقحط، عن أزمة قومه التي سبّبها الجدب والقحط أيضاً، أمّا حركة العقاب القتالية والتي تجسدت بانقضاضها على الثعلب، فعبّر فيها عن الحركة القتالية التي أصبح قومه مضطرين إليها، بعد أن اقفرت ديارهم، فلا حلّ أمامهم، ولا سبيل للخروج من مأزقهم والحصول على ما يقيم أودهم ويحفظ حياتهم سوى الغارة والغزو على حمى غيرهم من القبائل للسلب والنهب.

(١) الديوان، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في قصيدة أوس بن حجر

مطلعها:

صَحَا قَلْبُـــهُ عن سُكْرِهِ فَتَأمَّــلا   وكـــانَ بِذِكْرَى أمِّ عمْــرٍو مُوكَّلا

الحركة في هذه القصيدة هدفها الحصول على السّلاح الذي كان ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمع الجاهلي الذي كان يبلغ فيه صراع البقاء أوجه بسبب قلّة الموارد الاقتصادية. ولذا كان على القبيلة أن تبقى متأهبة مستعدّة للحرب والقتال، فعلى الرغم مما تجرّه الحرب من ويلات وشرور على القبيلة، إلاّ أنها لا تستطيع الاستغناء عنها، سَواء للمحافظة على حماها أو لتوسيع هذا الحمى. ولكلّ ذلك نجد الشاعر رسم صورةً غاية في البشاعة للحرب، فصَوّرها كأنها وحش مفترس لا يكاد يسلم من شرّه أحد. قال[١]:

وإنّي امْرُؤٌ أعْدَدْتُ للحرْبِ بَعدما   رَأيْتُ لها نـــاباً مِن الشّرِّ أعْصَلا

والبيت السابق يعطينا صورة واضحة عن الحالة النفسية للشاعر، فهي مضطربة قلقة يسيطر عليها الخوف، وعدم الاحساس بالأمان. وهذا الأمر جعله متأهباً مستعداً للقتال، والحرب أكمل استعداد، وجعله ينظر إلى أمور حياته كافة بجدية وحزم، وقوة، وصبر، فطبيعة حياته وظروفها المفروضة عليه لا يجب فيها التهاون كما قال[٢]:

أُقيمُ بِدارِ الحَــزْمِ مَا دامَ حَزْمُها   وأحْــرِ إذا حالَتْ بِأَنْ أتَــحَولاّ
وَأسْتَبْدِلُ الأمْرَ القَوِيَّ بِغَيْـــرِهِ   إذا عقْــدُ مأفــونِ الرِّجالِ تَحَلّلا

أمّا السلاح الذي أعدّه للحرب فهو:

---

(١) أوس بن حجر، الديوان، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، ص ٨٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رمح صلب لامع، قال فيه(١):

أصَمَّ رُدَيْنِيّاً كَأنّ كُعوبَهُ ... نَوى القَسْبِ عَرّاصاً مُزَجّاً منصّلا
عَلَيْهِ كَمِصْباحِ العَزيزِ يَشُبّهُ ... لِفِصْحٍ وَيَحْشوه الذبالَ المُفَتَّلا
وَأمْلَسَ صُولِيّاً كَنِهْيِ قَرارَةٍ ... أحَسّ بِقاعٍ نَفْحَ رِيحٍ فَأجْفَلا

وسيف قويٌّ حاد متوهج كأن متنه فضة. قال(٢):

وَأبْيَضَ هِنْدِيّاً كَأنّ غِرارَهُ ... تَلألُؤُ بَرْقٍ في حَبِيٍّ تكلّلا
إذا سُلّ مِنْ جَفْنٍ تَأكّل أثرُهُ ... على مِثْلِ مِسْحاه اللُّجَيْن تأكُّلا
كأنّ مَدَبَّ النَّمْلِ يتّبِعُ الرُّبَى ... ومَدْرَجَ ذَرٍ خافَ بَرْداً فَأسْهَلا

وثالثها: قوس. وقد أبدع الشاعر في وصف هذه القوس وفي وصف الجهد والمشقة التي تكبدها في سبيل الحصول على المادة الخام التي صُنع منها. والجهد الكبير الذي بذل في تصنيع القوس من المادة الخام حتى خرج بصورته النهائية، كما وصف لنا مراحل ذلك العمل بدقة، وما صاحبها من مشاق. وكأن هذه الصعوبات والمشاق التي اعترضت طريق الشاعر في الوصول إلى (المبضوعة) التي صنع منها القوس، والمشاق التي رافقت عملية تصنيعه تعبيرٌ عن المشاق والصعوبات التي تعترض حياة الإنسان الجاهلي، والشاعر بصورة خاصة، والتي يحتاج التغلب عليها إلى القوة والعمل المتعب والصبر والجديّة والحزم، الذي عبّر عنه في المقدمة.

وظهرت الحركة بصورة واضحة في حديثه عن القوس؛ فظهرت في ملاحقته وبحثه عن المبضوعة أو فرع الشجرة التي سيصنع منها القوس. وهي – كما وصفها – من أجود المواد، وأحسنها، لذلك لا يمكن الوصول إليها إلاّ

(١) الديوان، ص ٨٣، ٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٢، ٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالجهد والعمل.

وظهرت الحركة في تتبعه لهذه المبضوعة، فقد اضطر لتسلق الجبال والصخور للوصول إليها. قال[1]:

فُوَيْقَ جُبَيْمل شامخِ الرّأس لم تكن ... لِتَبْلُغَهُ حَتّى تَكِلّ وتَعْمَلا

وظهرت الحركة أيضاً في تصويره لعملية إعداد وتصنيع القوس من المادة الخام، وهذه العملية تحتاج إلى صبر ومهارة وقوة، كما قال[2]:

فَلَمّا نجا من ذلك الكَرْبِ لَمْ يَزَل ... يُمَظِّعُها مَاءَ اللِّحاءِ لِتَذْبُلا
فَأَنْحى عَلَيْها ذاتَ حَدٍّ دَعَا لهَا ... رَفيْقاً بِأَخْذٍ بالمَداوِسِ صَيْقَلا
على فَخذَيْهِ من بُرَايةِ عُودِهَا ... شَبِيهُ سَفى البُهْمَى إذا ما تَفَتّلا
فجرّدَها صَفْراءَ لا الطّولُ عابَها ... وَلا قِصَرٌ أزرى بها فَتَعَطّلا

والمعاناة والصراع المرير الذي واجهه الشاعر في إعداده للقوس، واجهه مرةً أخرى في إعداده للسّهام والنبال، قال[3]:

وَحَشْوَ جَفيرٍ من فُرُوعٍ غَرائبٍ ... تَنَطَعَ فيها صَانِعٌ وَتَنَبَّلا
تُخُيِّرْنَ أنْضَاءً ورُكِبْنَ أنْصُلاً ... كَجَمْرِ الغَضَا في يوْمِ ريحٍ تزَيَّلا

وقد برزت الحركة في الوصف السابق بشكل واضح في مرحلة الوصول إلى المادة الخام، وفي مرحلة تصنيعها لتخرج بصورتها النهائية.

وهذه الصعوبات التي واجهها الشاعر الجاهلي في إعداد قوسه ونباله، تدلنا على مكانة السلاح لدى الجاهلي، لما له من دور أساسي في حياته وهذا يشعرنا بقوة الصراع الذي كان دائراً في ذلك المجتمع، والذي يحتاج إلى

(١) أوس بن حجر، الديوان، ص ٨٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٨٩ + ٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التسلح بمثل هذه الأنواع من الأسلحة التي ذكرها الشاعر.

فالأعزل لا مكان له في ذلك المجتمع المتصارع، كما قال[(١)]:

وذلكَ مــن جَمْــعي وَبِاللهِ نِلْتُــهُ   وإن تلْقَني الأعــداءُ لا أُلــق أعْزَلا

وقد أضفى الشاعر على أسلحته بأنواعها صفات القوة والصلابة والحدّة، مما يجعلها أهلاً للقيام بوظيفتها على أحسن حال.

ومن الظواهر البارزة في القصيدة، التي كانت ناتجة عن اعتماد حياتهم على الحركة المستمرة وراء الكلأ والماء، وما ينتج عنها من صراعات - ظاهرة العصبية القبليّة. وقد ظهرت في قوله في المقدمة[(٢)]:

ألا أعْتِبُ ابْنَ العَــمِّ إن كان ظالماً   وأغْفِرُ عنــهُ الجهلَ إن كـــان أجْهلاَ
وإنْ قالَ مــاذا ترىَ يَسْتشيرُني   يجِدْني ابنَ عمٍّ مِخلَطَ الأمرِ مِزْيَلا

وظهرت في أبيات القصيدة الأخيرة في قوله[(٣)]:

وَقَوْمي خِيارُ مِنْ أسيّــدَ شجْعَةُ   كِــرَامٌ إذا ما المــوْتُ حَب وهرْوَلا

---

(١) أوس بن حجر، الديوان، ص ٩٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في بائية طفيل الغنوي

ظهرت في هذه القصيدة حركة وراء الثأر، فقد كان طفيل الغنوي أحد الزعماء الذين قادوا قبيلة غني إلى الثأر من طيء، التي سبق وأن انتصرت عليهم وهزمتهم هم وحلفائهم في يوم محجر. لذا نجد طفيلاً قد تغنّى في هذه القصيدة بيوم الأخذ بثأر يوم محجر، فقال[١]:

فَذُاقُوا كما ذُقْنا غَدَاةَ مُحَجَّرٍ من الغيظ في أكبادنا والتَّحَوُّبِ

وقد بدأ قصيدته هذه بالمقدمة الغزلية، فوقف على الطلل وبكى وشبب. لكنه لم يُطل في ذلك، لأن ذهنه كان منشغلاً بقضية الثأر التي نظم القصيدة لأجلها. ولو نظرنا إلى المرأة التي تغزل بها في المقدمة، نجدها امرأة بدوية راحلة غير مستقرة، فقد كانت تعيش حياة مغرقة في البداوة، فكانت إذا ما تعرّضت لأذى لا تستنجد إلاّ برجل ذي عقب، حتى إذا سقط في ساحة الوغى قام أبناؤه بعده يواصلون القتال، والدفاع عنها. قال[٢]:

كَرِيمَةُ حُرِّ الوَجْهِ لَـمْ تَدْعُ هَالِكاً مِنَ القَومِ هُلْكاً في غَدٍ غَيْرَ مُعْقِبِ

والبيت السابق يصور طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع الجاهلي، فالجاهلي كان يقدر المرأة، ويعتزّ بها، فقد يهلك ويموت هو وأبناؤه في الدفاع عنها. كيف لا وهي التي تمدّ القبيلة بالرجال الحامين لحماها والمقاتلين في حروبها؟! وهذا الأمر يعظم ويزداد لدى قبيلة (غني) التي عرفت بقلة عددها، فلا عجب أن يجعل طفيل الرجال يهلكون دونها فهي التي تمدّ القبيلة بالرجال المحاربين والمدافعين عنها.

أما بيته الذي افتخر به طفيل، وبكونه مجمع لفرسان قومه وخيلهم،

---

(١) الأخفش الأصغر، كتاب الاختيارين، تحقيق فخر الدين قباوة، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو بيت شعر (خيمة) مصنوع من أسمال محبّرة، وهذا هو بيت العربي في الجاهلية. فقد كان يمتاز بالبساطة والقابلية للبناء والهدم السريعين فيما لو اضطرت القبيلة للرحيل، وهو أيضاً سهل الحمل في الرحيل. فبيت الإنسان الجاهلي جاء متناسباً مع طبيعة حياته القائمة على الحركة المستمرّة.

وفي هذا البيت كان يجتمع فرسان القبيلة الذين كانوا مدربين على الطّعان والقتال، يتغلبون في الحروب على الشبان الأشداء والشيوخ الحكماء، ونلاحظ أنه حتى في حديثه عن البيت كان يوظفه من أجل القتال، مما يدل على سيطرة تلك الفكرة على عقله.

وحديث طفيل عن القتال حديث يضجّ بالحركة والحيوية، في صوره ومعانيه وألفاظه، سواء في وصفه للخيل وما تتمتع به من حركة ودربة وسرعة أو في وصفه للفرسان وحيويتهم ومرونتهم، ودربتهم على القتال. وقد نقل لنا طفيل صورة حيّة عن المعركة والقتال وما فيها من ضجة وصخب وجلية وحركة. كما فصّل في وصف عناصر المعركة من خيل وجند وفرسان قبل المعركة وأثناء استعدادهم لها ووصفهم أثناء المعركة، ووصف لنا سير المعركة، وأحداثها ونتائجها. وكل ذلك من شأنه أن يضعنا في قلب هذه المعركة، وأن يجعلنا نعيش أجواءها ونتفاعل مع أحداثها، قال[١]:

فَلَمَّا بَدا هضب القَنَانِ وَصارَةٌ ... وَوَازَنَّ مِنْ شَرقيِّ سَلْمَى بِمَنْكِبِ
أَنَخْنَا فَسُمْنَاهَا النِّطَافَ فَشَارِبٌ ... قليلاً وابٍ صَدَّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبِ
وَشَدَّ العَضَارِيطُ الرِّحَالَ وَأُسْلِمَتْ ... إلَى كُلِّ مِغْوَارِ الضُّحَى مُتَلَبِّبِ
فَلَمْ يَرَهَا الرَّاؤُونَ إلاَّ فُجَاءَةً ... بِوادٍ تُنَاصِيهِ العِضَاةُ مُصَوَّبِ
ضَوابِعُ تَنْوِي بَيْضَةَ الحَيِّ بَعْدَمَا ... أَذَاعَتْ بِرَيْعَانِ السَّوَامِ المُعَزَّبِ
فَأَلْوَتْ بَغَايَاهُمْ بهم، وتَبَاشَرَتْ ... إلى عُرْضِ جَيْشٍ غَيْرَ أن لَمْ يُكتَّبِ

---

(١) الأخفش الصغير، الاختيارين، ص ٢٨ - ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَقَالُوا: أَلاَ مَا هَؤُلاَء، وقد بَدَتْ سَوَابِقُهَا فِي سَاطِعٍ مُتَنَصِّبِ
فَمَا بَرِحُوا، حَتَّى رَأَوْا، فِي دِيارِهِمْ لِوَاءً، كَظِلِّ الطَّائِرِ المُتَقَلِّبِ
رَمَتْ عَنْ قَسِيِّ المَاسِخِيِّ رِجَالُنَا بِأَجْوَدِ مَا يُبْتَاعُ مِنْ نَبْلِ يَثْرِبِ
أَبَانَا، بِقَتْلاَنَا، مِنَ القَوْمِ مِثْلَهُمْ وَمَا لاَ يُعَدُّ مِنْ أَسِيرٍ مُكَلَّبِ
نُرَوِّي صُدُورَ المشْرَفِيَّةِ مِنْهُمُ وكُلُّ شُرَاعِيٍّ مِنَ الهِنْدِ شَرْعَبِ
بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهَامَ عَن سَكَنَاتِهِ وَيَنْقَعُ مِنْ هَامِ الرِّجالِ بِمَشْرَبِ

أبدع طفيل في وصف الخيل وما كانت تتمتع به من حركة وحيوية وسرعة في القتال. وهو يرى في حركة الخيل مجلبة للخير، قال[1]:

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَهَا وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا الخَيْرَ تُعْقِبِ

وهي أداة الانتصار على العدو والأخذ بثأرهم منه. وهي وسيلة الحصول على الغنائم، من سوام وسبايا، قال[2]:

فَرُحْنَ، يُبارِينَ النِّهاب، عُشَيَّةً مُقَلَّدةً أرسانَها، غيرَ خُيَّبِ

وقد بلغ من ولعه وحبّه للخيل وتقديره لقيمتها في القتال، انه أسقط على هذه الخيل جميع مشاعره وأحاسيسه التي تطمح بالنصر على الأعداء، والثأر للقبيلة. وقد عبّر من خلال وصفه لقوة الخيل في القتال واستعدادها للمعركة وتجهيزها ونسبها الأصيل عن جاهزية قومه واستعدادهم للقتال وقوتهم وشجاعتهم أثناء القتال. وأما لهفة الخيل للقتال فهي تعبّر عن لهفة الشاعر ولهفة قومه للقتال للأخذ بثأرهم من واتريهم ولا غرو في ذلك. فطفيل كان مِن أوّل مَن قرع طبول هذه الحرب، أملاً في الثأر لقومه من الهزيمة التي لحقت بهم يوم محجر.

---

(١) الأخفش الصغير، الاختيارين، ص ٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

افتخر طفيل بأصالة خيوله ونسبها الرفيع. وقد لمّح بذلك إلى أصالة المقاتلين من قبيلته فكلّهم يرجعون بنسبهم إلى نسب واحد وجد واحد فليس فيهم أي غريب، أو أجنبي. وبهذا فهم يستميتون في القتال لمحو عار قبيلتهم، واستبدال هزيمتها السابقة بانتصار تتحدث عنه العرب. فمن خيلهم أعوج، والغراب، والوجيه ولاحق وهي من أجود خيل العرب. كما قال[١]:

بَناتِ الغُرابِ والوَجِيهِ وَلاحِقٍ وَأَعْوَجَ تَنْمي نِسْبَةَ المُتَنَسِّبِ

والاهتمام بالنسب امتد ليشمل أسلحةِ المحاربين من سيوف ورماح وقسي فقد قال[٢]:

وَعُوج كَأَحْنَاء السَّرَاء مَطَتْ بها مَطَارِدُ تَهْدِيها أسِنَّةُ قَعْضَبِ

وظاهرة الأنساب التي اعتنى بها الجاهليون، وركزوا بأنهم جميعاً يعودون إلى جدٍّ واحد، والتي انتقلت فيما بعد لتشمل خيولهم وأغنامهم وإبلهم وأسلحتهم فهي أيضاً مظهر من مظاهر الحركة وناتج من نواتجها، فالصدامات الكثيرة التي أدّت إليها الحركة تحتاج إلى الدفاع عن القبيلة، وحمايتها وخير من يدافع عن القبيلة أبناؤها الذين هم من أصلابها[٣].

ولعلّ تركيز طفيل على ظاهرة النسب الأصيل في وصفه للخيل وللأسلحة وللمحاربين جاء ليعوّض قلة العدد في المحاربين الذي كانت تعاني منه - بالجودة والكفاءة العالية والنسب الرفيع.

وقد أكثر طفيل من الحديث عن نشاط الخيل وسرعتها وحركتها في

---

(١) الأخفش الصغير، الاختيارين، ص ١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١١.

(٣) هاشم ياغي، معايير من معاناة وجمال، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرب، ومن ذلك انه جعلها تُسرع إلى الحرب وتترامى عليها كالخذروف لأنها عرفت الحرب وَخِبرتها، قال(١):

إذا قِيلَ نَهْنِهْهَا وقد جَدَّ جِدُّهَا   تَرَامَتْ كَخُذْرُوف الوَليد المُثَقَّبِ

وأكد على خبرة هذه الخيول في القتال، فهي دوماً في ميادين الوغى تقاتل، فلا ترتاح من القتال أبداً. فدائماً تراها مشدودة بالسروج كناية عن التأهب المستمر للمعركة وقد بدت هزيلة نحيفة نتيجة لذلك بدليل أن القلائد التي كانت في أعناقها بدت مضطربة بعد أن كانت على حجم الأعناق. قال(٢):

نَزَائِعَ مَقْذُوفاً عَلَى سَرَوَاتِهَا   بِمَا لَمْ تُخَالِسْهَا الغُزَاةُ وتُسْهَبِ
وَأَمنَتْ إلى أجْوَازِها وَتَقَلْقَلَتْ   قلائِد في أعْنَاقِها لَمْ تُقَضَّبِ

وهو وإن كان يتحدث عن الخيل فإنما يقصد حقيقة من يعتلي هذه الخيول من فرسان ومحاربين، فهم محاربون أشداء مدربون على القتال لهم خبرة وباع طويل فيه.

وقد أسهب طفيل في وصف أجزاء جسم الخيل، مضفياً عليها صفات مثالية وغاية في الكمال، وهو بذلك يحاول أن يعوّض عن قلة عدد القبيلة بالجودة سواء في خيلها، أم في أسلحتها أم في محاربيها.

وهكذا نلاحظ أن وصف طفيل للخيل وللمعركة كان مليئاً بالحركة والحيوية، في ألفاظه ومعانيه وصوره وتشبيهاته مما جعله وصفاً حياً.

---

(١) الأخفش الصغير، الاختيارين، ص ١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦، ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحركة في قصيدة زهير بن أبي سلمى

قال زهير هذه القصيدة ليشيد بحركة الصمود والتحدي التي قام بها حصن بن حذيفة أمام عمرو بن هند حين حاول كسبه ليغطي على قتل حذيفة، وكان أن ردّ عليه حصن بأنه متفرغ لقتاله ومعدّ العدّة لذلك.

وقد عبّر عن حركة الصمود هذه برحلة الصيد التي قام بها على ظهر فرسه والذي كان حقيقةً، رمزاً للممدوح حصن بن حذيفة في تصدّيه للتهديد. وقد تآزرت عناصر هذه القصيدة كافة كحديث الشيب، وحديث الطلل ورحلة الصيد، في التعبير عن هذه الحركة والإشادة بها، كما سنرى.

ابتدأ زهير قصيدته بمقدمة عبّر فيها عن حالة الضعف والعجز التي أصابته، نتيجةً لكبر سنه ورصد التغيّرات التي طرأت عليه لذلك فلم يعد قادراً على اللّهو وممارسة الأفعال التي كان يمارسها أيام شبابه عصر القوة والعطاء والحيوية، فلم تعد العذارى تعرف عنه إلاّ أخلاقه، والشيب الذي شمل رأسه، وغطّى على سواده، بعد أن كنّ قريبات من نفسه، يلهو معهنّ أيام الشباب، ويظهر لنا أنّ الشاعر كان أسفاً حزيناً للعجز والضيق الذي أصابه، متحسراً على عهد الشباب الزائل. قال[1]:

صَحَا القلبُ عن سلمى وأقْصرَ باطِلُهُ ... وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبا ورواحِلُهْ

وأقصرْتُ عَمّا تعلمينَ وسُدِّدَتْ ... عليَّ سوى قصدِ السَّبيلِ معادلُه

وقالَ العذارى إنما أنتَ عَمُّنا ... وكان الشَّباب كالخليطِ نُزَايلُه

فأصبحتُ ما يعرِفْنَّ إلا خَليقَتي ... وإلاّ سوادَ الرّأسِ والشيبُ شامِلُهْ

وقد أكّد لنا الشاعر حالة الضعف والعجز التي عبّر عنها سابقاً بحديث

---

(١) زهير بن أبي سلمى، الديوان، قدم له وعلّق على حواشيه سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص ٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطلل الذي درست معالمه، وكادت تختفي نتيجةً لتقادم الزمن ومرور السنين، لدرجة يصعب معها التعرّف عليه، فكأن هذا الطلل رمزٌ للشاعر نفسه بعد أن شاخ وكبر، وتغيّرت حالته فبُدل شبابه وقوته بضعف وعجز وانكسار، أما صعوبة التعرف على الطلل لتغيّر ملامحه فيوازي جهل العذارى به بعد أن كبر وشاب فلم يعدن يعرفن عنه إلاّ شيبه وخلائقه، قال[١]:

لِمَنْ طَلَلٌ كالوَحْيِ عافٍ منازِلُهُ ... عفا الرَّسُ منهُ فالرُّسَيْسُ فعاقِلِه
فرَقْدٌ فصاراتٌ فأكنافُ مَنْعِجٍ ... فشرْقِيُّ سلْمَى حَوضُهُ فأجاوِلُهْ
فوادِي البَدِيِّ فالطَّوِيُّ فثادقٌ ... فوادِي القَنانِ: جِزْعُهُ فأفاكِلُهْ

وقد قصد شاعرنا من خلال حديث الشيب والطلل، التعبير عن حالة الضعف والسلبية والانكسار التي كانت مسيطرة نتيجةً للتهديد الذي قام به عمرو بن هند قبل أن يقوم حصن بن حذيفة بحركة التصدي له والصمود أمام تهديده. إذن فالطلل والشيب يعبّران عن حالة من السلبية، والعجز رفض الشاعر الاستسلام لها، فنجده يحاول تجاوز هذه السلبية بحركة الصيد التي قام بها على ظهر فرسه، فالصيد مظهر من مظاهر القوة والحيوية التي يتغلب فيها الشاعر على سلبيته. وفي هذا المجال نذكر ما قالته ريتا عوض عن حصان امرىء القيس في معلقته: «يمكن أن يعدّ مشهد الحصان مشهد التجاوز بلا منازع في القصيدة إذ تتجلّى فيه صورة الاندفاع والحيوية والانتصار»[٢].

وقد أضفى الشاعر على فرس الصيد الذي هو الوسيلة لتجاوز حالة السلبية والضعف، صفات القوة والمتانة والثبات، والضخامة والصلابة ما

---

(١) الديوان، ص ٦٨.

(٢) ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية، ص ٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجعله يقوم بالصيد خير قيام.

فهو محشو النواشر، أي شديد عصب الذراع، ليس برَهل، وهذا يدلّ على قوته وصلابة جسمه وهو ناعم الخدّ عظيم الجوف، قال(١):

هبطتُ بمسودِ النواشرِ سابحٍ مُمِرٍّ أسيلِ الخَدِّ نَهدٍ مَراكِلُهْ

وهو صحيح الجسم ليس به علّة أو مرض، تام الخلق، وهو محبوك، أي قوي البنية والخلق، مفاصله ممشوقة قليلة اللحم، ليست مترهلة، وهذا يدل على سرعته ونشاطه(٢):

هبطتُ بمسودِ النواشرِ سابحٍ مُمِرٍّ أسيلِ الخدِّ نهدٍ مراكِلُهْ
تميمٍ فلوناهُ فأكملَ صُنْعَهُ فتمَّ وعزَّتْهُ يداهُ وكاهِلُهْ
أمينٍ شظاهُ لم يُخَرَّقْ صِفاقُهُ بمِنقَبةٍ ولم تُقْطَعْ أباجِلُهْ

وقد بلغت ثقة زهير بسرعة فرسه وقوته، أنه كان يجاهر بالصيد، لا يخاتل إيماناً منه بأن فرسه قادرٌ على ملاحقة الوحش، فلا يفوته مهما كانت سرعته(٣):

إذا ما غَدَوْنا نَبْتَغِي الصَّيْدَ مَرَّةً متى نَرَهُ فإننا لا نُخاتِلُهْ

قصد زهير من وصفه لقوة الفرس وصلابته ومتانته، التعبير عن قوة الممدوح، وصلابته التي أهلته للصمود أمام تهديد عمرو بن هند.

وعملية الصيد التي وصفها زهير تحتاج إلى صبر وحذر ويقظة، وانتظار الفرصة الملائمة للانقضاض، وهو ما كان متوفراً لدى الممدوح وجعله

---

(١) الديوان، ص ٧٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينجح في تحديه لعمرو بن هند.

أمّا المعركة التي دارت بين فرس الصيد وحمر الوحش التي كانت نتيجتها انتصار الفرس، ونجاحه بالصيد، فهي تعبّر عن المواجهة التي كانت بين الممدوح وعمرو بن هند، لكن دون قتال، فقد كانت قوته وشجاعته وصموده كافيان لردّه.

ومثلما كانت المعركة التي خاضها الفرس وما نتج عنها من إصابات لم تؤثر في قوة الفرس وحيويته، ولم تنتقص من شجاعته، ولم تقلل من حيويته، كذلك كانت المواجهة بين الممدوح وعمرو بن هند، زادت الممدوح قوة وهيبة، قال(١):

فَرُحنا به ينضو الجيادَ عَشيَّةً   مُخضَّبَةً أرساغُهُ وعواملُه
بذي مَيعةٍ لا موضعُ الرُّمحِ مُسْلِمٌ   لبُطْءٍ ولا ما خلفَ ذلك خاذِلُهْ

ويخلص الشاعر من حديث الصيد إلى التصريح المباشر بما يمتاز به الممدوح من صمود وثبات وقوة وشجاعة وصلابة ومتانة تمكن بها من ردّ عمرو بن هند التصدي له، قال(٢):

وأبيضُ فيَّاضٍ يداهُ غَمامةٌ   على مُعْتَفيهِ ما تُغِبُّ فواضِلُهْ

وهو صلب ثابت على مواقفه وعلى كرمه وعطائه لا يؤثر به لوم العواذل اللواتي كنّ يلومنه على شرب الخمر، وعلى انفاق المال. والشاعر هنا يؤكد صفة الثبات والصمود، التي امتاز بها الممدوح، ومكّنته من التصدي لعمرو ابن هند وتهديده وهو لذلك عزوم، قال(٣):

---

(١) الديوان، ص ٧٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٤.
(٣) الديوان، ص ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَأَقْصَرْنَ منـهُ عن كريمٍ مُرَزَّأٍ عَزُومٍ علـى الأمرِ الذي هو فاعِلُهْ

وهو يهلك المال ليهب الحياة للآخرين، قال(١):

أخي ثِقةٍ لا تُتلِفُ الخمرُ مالَهُ ولكنَّهُ قد يُهلِكُ المالَ نائله

وهو قانع راضٍ بما يهب الناس، فكأنما يأخذ منهم ولا يعطيهم، قال(٢):

تـراهُ إذا ما جئـتَهُ مُتَـهَلِّلاً كأنكَ تعطيهِ الذي أنت سائِلُه

وهو إلى جانب الكرم صائب القول سديد الرأي في الوقت الذي يعجز فيه الآخرون عن تقديم الرأي الصائب وهذه الصفة تزيد من قوته ومن صلابته، قال(٣):

دفعتَ بمعروفٍ من القولِ صائبٍ إذا ما أضلَّ الناطقينَ مفاصِلُه
وذي خَطَلٍ في القولِ يَحسِبُ أنَّهُ مُصيبٌ فما يُلْمِمْ بهِ فهو قائِلُهْ

وهو كريم المَحتدِ والأصل والنسب، قال(٤):

حُذَيْفَةُ يُنْميهِ وبَدْرٌ كلاهما إلى باذخٍ يعلو على مَنْ يُطاوِلُهْ

وهو قوي في الحروب والمواجهة تصدى للنعمان، قال(٥):

ومَنْ مثلَ حِصنٍ في الحُرُوبِ ومثلُهُ لإنكارِ ضَيْـمٍ أو لأمـرٍ يُحاوله
أبى الضّيمَ والنّعمانُ يَحْـرِقُ نابُه عليهِ فأفضى والسيوفُ معاقله

---

(١) الديوان، ص ٧٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٤.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٧٦.
(٥) المصدر السابق، ص ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقارنة بين فرس امرىء القيس في المعلقة وفرس زهير بن أبي سلمى في هذه القصيدة التي مدح بها الحصن ابن حذيفة:

حصان امرىء القيس يمتاز بالاندفاع بقوة، وسرعة كبيرة (كجلمود صخر حطّه السّيل من عل)، وهو (مكرّ مفرّ)، وهذا الاندفاع لا يسبقه أي تروٍ أو صبر أو انتظار وتفكير. فهو يندفع وينقض على الفريسة بسرعة كبيرة، وهذا الفرس ما هو إلاّ امرؤ القيس باندفاعه نحو الملذات، والمتع واللهو، فمثل هذا النوع من الحركة لا يحتاج إلى وقفة تأمل وصبر وتفكير، بل كثيراً ما يكون التفكير والتخطيط المسبق من العوامل الهادمة للذة، والمقللة من حدّتها، وأما قوة الفرس واندفاعه ونشاطه فهي تعبير عن حدّة وقوة الشهوات التي كانت تعصف بامرىء القيس، وتحركه باتجاه ما يشبع هذه الشهوات ويلبيها.

أما الحصان في قصيدة زهير هذه، فنجد في وصفه تركيزاً كبيراً على صفات القوة والمتانة والصلابة والضخامة وهي الصفات التي أراد الشاعر إبرازها للممدوح، والتي مكنته من الصمود والتحدي. نلاحظ أن هذا الحصان كان ينتظر ويترقب الصيد قبل أن يندفع اليه، وينقضّ عليه، لأن حركته هذه تعبير عن حركة قتالية، ومثل هذا النوع من أنواع الحركة يحتاج الى انتظار وصبر وتروٍ وتخطيط مسبق حتى ينجح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

وقفة متأنية عند شاعرين في واحدة من قصائد كلٍ منهما:

١ – الشاعر علقمة الفحل

٢ – الشاعر المثقّب العبدي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقفة مع الشاعر علقمة الفحل في بائيته المشهورة

الحركة في هذه القصيدة حركة سياسيّة، هدفها الوساطة من أجل إطلاق أسرى قبيلة الشاعر، وهي قبيلة تميم، وعلى رأسهم (شأس) أخو الشاعر علقمة الفحل. فقد قام علقمة بدور السفير السياسيّ بين قومه التميميين، وبين ملك الغساسنة الحارث بن جبلة بن أبي شمّر الغسّاني، وكان الحارث قد أسر أخاه شأساً، وعدداً آخر من بني تميم إثر معركة شرسة قامت بين ملك الغساسنة المذكور، وبين ملك المناذرة المنذر بن ماء السماء، ومن تأشب لكلٍّ من الخصمين من العرب، وقد أسفرت هذه المعركة عن مقتل المنذر بن ماء السماء، وهزيمة من قاتل معه[١].

وتمثل الحركة السياسيّة التي هدفها الوساطة لفك الأسرى، الموضوع الرئيس في هذه القصيدة، وقد وظّف شاعرنا جميع عناصر القصيدة الأخرى: كالمقدمة ولوحة الناقة لخدمة هذا الغرض والتعبير عنه توظيفاً برز فيه البعد الجمالي والفني، وتناغمت فيه جميع أجزاء القصيدة للتعبير عن موضوعها الأساسي، وهو الوساطة لإطلاق الأسرى.

بدأ علقمة قصيدته بتعنيف نفسه على تلك الخفّة، وذلك الطرب الذي ألمّ بقلبه، فأين هو من ذكر الحسان، بعدما تقدم العمر، وذهب الشباب؟! قال[٢]:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

ثم من هذه التي أصابت قلبه بالخفّة وطيش الشباب، وقد بعُد عهده بها وحالت خطوب الدهر بينها وبينه؟ وهو لا يبرح يعاتب نفسه، وينكر على قلبه عشق النساء ومتابعتهن، ثم يخاطب قلبه قائلاً: ما لك ولها، وهي من

---

(١) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج ١، ص ٥٧.

(٢) المفضليات، مفضلية رقم ١١٩، ط ٣، ص ٣٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير حيّك، وإقامتها بعيدة عن مكان إقامتك، قال[(١)]:

ومَا أنــت أم ما ذكرها ربعيّة　　　يخــط لها مــن ثرمداء قليـب

وهذه المحبوبة التي يصورها الشاعر منعّمة مكفيّة لا يستطاع الوصول إليها لأن أهلها يمنعونها من أن تُزار أو يُتحدّث إليها[(٢)]:

مُنَعَّمَـــةٌ لا يُسْتَـطَاعُ كَـلامُها　　　عَلَى بَابِها مــنْ أنْ تُزَارَ رَقيبُ

وهي إلى جانب ذلك امرأة وفيّة مخلصة، إذا غاب عنها بعلها ظلّت حافظة لعهده لا تخونه، أو تهتك سرّه، وإذا عاد إليها، أرضت إيابه بطاعتها، وحسن معاشرتها[(٣)]:

إذَا غابَ عنها البَعلُ لم تُفشِ سِرَّهُ　　　وتُرْضي إيَابَ البَعْلِ حينَ يَؤُوبُ

ويختتم شاعرنا حديثه عن تلك المرأة بالتأكيد على أنه رجلٌ خبير بالنساء وطبائعهن، فهنّ يحببن من يعلمن أن عنده مالاً، ويبتعدن عن الفقير الذي لا مال عنده.

والسؤال الذي يلحُّ على أذهاننا هو: هل كان شاعرنا يتغزل حقيقة في الأبيات السابقة؟ وهل كان قصده أن يتحدث عن تجربته في العشق مع امرأة حقيقية في فترة الشباب؟ ترى ماذا يعني بالمرأة؟ وماذا يرمي من وراء حديثه عن تجاربه مع النساء وخبرته بطبائعهنّ؟

إنّ علقمة لا يتغزل في الأبيات السابقة، فهذه المقدمة لا تخلو من معاني الرمز والإشارة إلى ما الشاعر بصدده، فالشاعر الجاهلي مهما عمي وورّي عن

---

(١) المفضليات، مفضلية رقم ١١٩، ص ٣٩١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩١.

(٣) عبد الرازق حسين، علقمة الفحل – حياته وشعره، المكتب الرسلامي، بيروت، مكتبة فرقد الخاني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصده، إلاّ أن الصراحة المعهودة فيه تترك زمام الكتمان، والتعمية ينفلت من قبضته، فليس من أحدٍ يُضرب على بابِه الحجاب، ويقام عليه الحرس، فلا يستطاع كلامه سوى الملوك والحكام[١]، كما قال[٢]:

مُنَعَّمَةٌ لا يُسْتَطَاعُ كَلاَمُها عَلَى بَابِها مِنْ أنْ تُزَارَ رَقِيبُ

إن المرأة في المقدمة هي رمز للملوك، والساسة الذين سبق وتعامل معهم علقمة من قبل، منذ أن كان شاباً، وخبرته الطويلة القديمة في التعامل مع النساء توازي خبرته الطويلة في التعامل مع الملوك، وذوي السلطان. وهذه الخبرة في النساء نابعة من تجربة عملية معاشة، ولم تكن خبرة نظريّة فقط، فقد أحبّ المرأة، وجرّب التعامل معها عن قرب في فترة شبابه، وهذه التجربة صُقلت وتعمقت بتقادم العمر، فقد أضاف السن إلى خبرة الشباب حكمة الشيوخ، ومثلها كانت تجربته في السياسة، فقد سبق له أن تعامل مع الملوك والساسة ومثّل قومه في الكثير من المواقف والمحافل السياسيّة التي صرّح بها مع موضع آخر من القصيدة فقال[٣]:

وأنتَ امرؤٌ أفْضَتْ إليكَ أمانَتِي وقَبْلَكَ رَبَّتْني فَضِعْتُ رُبُوبُ

إن القضية الملحّة على ذهن علقمة منذ بداية القصيدة هي إبراز كفاءته وخبرته وقدرته على تمثيل قومه في سفارته هذه أمام الحارث الغساني، وقد ركز علقمة على الخبرة النابعة من تجربة عملية معاشة، فهي العامل الأساسي الذي لا مناص من وجوده، وتوفره لدى الوسيط حتى ينجح في عملية الوساطة، بين يدي الملوك.

---

(١) سعيد الأيوبي، عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، ص ٥٢٣.

(٢) المفضليات، ص ٢٩١.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عمد الشاعر على تأكيد خبرته، من خلال الإشارة إلى أنها بدأت منذ الشباب، وها هو الآن قد غادر عهد الشبابَ وتحوّل عنه، أي قد مرّ عليه زمن طويل، وهو يمارس هذه المهمة، مما يعني ازدياد تلك الخبرة وقوتها. فعامل العمر وتقادم الزمن، كان عاملاً إيجابياً في تعميق هذه الخبرة وتأصيلها.

وأمّا إشارة الشاعر إلى مدى عفّه تلك المرأة وإخلاصها لزوجها، فذلك يعني أن الوصول إليها لم يكن بالأمر الهيّن، وهو يريد أن يدلل على مدى دربته، وحنكته في ترويض النساء، حتى أكثرهن عفّة لا يستعصي عليه الوصول إليها. وقصد الشاعر من هذا الكلام لا يخفى علينا، فهو يريد أن يؤكد حنكتهِ وخبرتهِ ودربته السياسية في التعامل مع أشد الملوك، وأعتاهم.

ونخلص إلى القول بأن علقمة كان رجلاً خبيراً في السياسة، والتعامل مع الملوك، فيمكن أن يُستفتى بشؤونهم. وقد عبّر عن هذه النتيجة من خلال الحديث عن خبرته في النساء فقال[١]:

فإنْ تَسْألوني بِالنِّساءِ فإنَّني بَصِيرٌ بأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأسُ المرءِ أو قَلَّ مالُهُ فليس لهُ من وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

فالنساء – بنظر علقمة – لا يملن إلاّ للغني، وإذا ما فقد ماله وكبرت به السن، ابتعدن عنه. ولعلّه يعرّض بذلك بملوك المناذرة، مبيناً ما كان من ولاء قومه لهم، فهم لا يحفظون المعروف ولا يقيمون شأناً إلاّ لمن كان قوياً، فإذا أصابته كربة بدلت حاله، تخلّوا عنه، وهو يحاول من خلال ذلك أن يبيّن ندم قبيلة الشاعر على ما كان من ولائها للمناذرة، طمعاً في استمالة قلب الحارث الغساني – العدو الأكبر للمناذرة – لصفّ قبيلته.

---

(١) المفضليات، ص ٣٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما خطاب الشاعر للمرأة وطلبه منها ألاّ تستهين به فهو خطاب موجهٌ إلى الحارث الغساني بألاّ يستهين به، وبقومه وألاّ يقلل من شأنهم، وهذا القول يبين ثقة علقمة بنفسه، وهذه الثقة يحاول أن ينقلها إلى الملك، فهو من علية القوم، ويمتلك من المؤهلات ما يجعله كفؤاً لأداء المهمة الموكلة إليه.

حركة الناقة في القصيدة

نهض علقمة الفحل بعبءٍ كبير هو تمثيل قومه أمام الحارث الغساني لإقناعه واستمالته لفك أسرى قومه بعدما كان من مواقفهم المساندة للمناذرة في حربهم ضدّ الحارث والغساسنة. فهو - إذن - ذاهب إلى رجلٍ يحمل له الكراهية والبغضاء، فكيف له أن يستميل قلبه الذي مُلىء بغيظٍ وحقدٍ لمّا يهدأ بعد، ولم تخفف السنون من حدّته. لهذا نجد علقمة مهموم، فقد شعر بعظم وخطورة الأمر المقدم عليه، فلا بدّ له من التسلح، وخير سلاح هو الخبرة والجرأة والإرادة القويّة، والهمّة العالية، والصبر. وأمّا وسيلة الشاعر لتجاوز أزمته وتسرية همّه القابع بثقله على صدره، فهي الحركة على ظهر ناقته قال[١]:

فَدَعْها وسَلِّ الهمَّ عنكَ بِجَسْرَةٍ ... كَهَمِّكَ، فيها بالرِّدَافِ خَبِيبُ

أمّا وجهة هذه الحركة ومقصدها فهي الحارث الغساني، كما قال[٢]:

إلى الحارثِ الوَهّابِ أعْمَلْتُ ناقَتي ... لِكَلْكِلِها والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ
لِتُبْلِغَنِي دارَ امْرِىءٍ كان نائياً ... فقد قَرَّبَتْنِي مِنْ نَدَاكَ قَرُوبُ
إليكَ أبَيْتَ اللَّعْنَ كانَ وَجِيفُها ... بِمُشْتَبِهاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيبُ

وإذا كان الشاعر قد رسم لنفسه (الوسيط) صورةً مرموقة من خلال

---

(١) المفضليات، ص ٣٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة فقد رسم لهذا الوسيط صورةً طيبةً من خلال ناقته، فهي ناقة اعتادت على التهجر والحركة، وهي ناقة خبيرة بالحياة. وهي ناقة قويّة نشيطة صابرة على الهاجرة، معتادة على السير فيها، ألفت الحركة، وتواصل الليل والنهار في سيرها السريع الدّؤوب، قال[١]:

وناجِيةٍ أفْنَى رَكِيبَ ضُلُوعِها ... وحَارِكَها تَهَجُّرٌ فَدُؤُوبُ

إن سرعتها ونشاطها ليست هي الصفات المطلوبة فيها وحسب، فلا بدّ أن تكون حذرة، نشيطة، حادة الذهن، وهي في خشيتها وترقبها وسرعتها تشبه البقرة المذعورة الخائفة من صياد ألمّ بها يتابعها، قال[٢]:

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأنَّها ... مُوَلَّعَةٌ تَخْشَى القَنِيصَ شَبُوبُ

وقد سبقت هذه البقرة الشبوب نبال الصيادين وكلابهم الذين استتروا بشجر الأرطى ليرموها، وخصّ الشبوب لطول تجربتها وشدة حذرها، قال[٣]:

تَعَفَّقَ بالأرْطَى لها وأرادَها ... رِجالٌ فَبَذَّتْ نَبْلَهُمْ، وكَلِيبُ

وهي سريعة في سيرها تسير في أفياء الظلّ لشدّة لفح الهاجرة، تقطع الفلوات المخوفة[٤]:

[تَتَبَّعُ أفْيَاءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً ... على طُرُقٍ كأنَّهُنَّ سُبُوبُ]

لقد أحسن الشاعر توظيف الناقة لخدمة غرضه الرئيس، وقد عبّر من خلال وصفه لها عن صفات السفير أو الوسيط السياسي التي تؤهله للنجاح

---

(١) المفضليات، ص ٣٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أداء مهمته على أكمل وجه، فالصفات السابق ذكرها أهلت الناقة لتجتاز الطريق التي توفرت لدى علقمة، ومكنّته من التغلب على الصعوبات والمخاوف النفسية، والمخاطر التي تعترض طريق قيامه بالسفارة، فقد كانت الناقة رمزاً لعلقمة، والصفات التي أعطاها للناقة، والتي ساعدتها في نجاح حركتها، وهي القوة والنشاط والصلابة، والصبر على مصاعب الطريق، والخبرة في مقارعة الصيادين، وما يستلزم ذلك من يقظة وحذر هي صفاته التي أراد توكيدها لنفسه أمام الحارث، ليقبل منه وساطته بعدما يقتنع بأهليته لها.

أمّا الطريق التي سكلتها الناقة إلى الحارث الغسّاني فهي طريق صعبة مخوفة لا تقطعها إلاّ ناقة قوية جلدة، وأمّا النوق الضعيفة فقد سقطت من الإعياء وانتشرت جثثها فوق الطريق، وقد ظهرت عظامها البيضاء لقدم عهدها، قال[١]:

بِها جِيفُ الحَسْرَى، فأمّا عِظامُها فَبِيضٌ، وأمّا جِلْدُها فَصَلِيبُ

وقد لمّح علقمة في بداية لقائه مع الحارث الغساني إلى ما لاقته ناقته من مصائب ومشاق في طريقها إليه، فقد أجهدها السير وهزلها طول السفر، ولكن إلى أين؟ قال[٢]:

إلى الحارِثِ الوَهّابِ أعْمَلْتُ ناقَتِي لِكَلْكلها والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ

وهذه الصحراء الرهيبة التي يضلّ السالك فيها قصده تجشمتُها في سرى الليل وسراب النهار، فركبتُ وعر الطريق، وتحملتُ عظيم المشاق في سبيل الوصول إليك. وهذا تعريضٌ ذكي، قال[٣]:

---

(١) المفضليات، ص ٣٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليكَ «أبَيْتَ اللَّعْنَ» كانَ وَجِيفُها بِمُشْتَبِهاتٍ هَوْلُهُنَّ مَهِيبُ

فما اهتديتُ إليك على بعد الدار وهول المغازة لولا تلك النجوم التي دلتني على مكان إقامتك، قال[١]:

هَداني إليكَ الفَرْقَدَانِ ولاحِبٌ لهُ فَوْقَ أصْوَاءِ المِتَانِ عُلوبُ

وقد عبّر الشاعر من خلال حديثه عن تلك الطريق عن المعاناة والمشقة النفسيّة التي كان يستشعرها في التأتي للدخول إلى نفس الحارث الغساني، بعد ما قام به بنو تميم - قومه - وأخوه شأس بينهم.

ويصل بعد ذلك علقمة إلى مدح الحارث الغسّاني، حتى يستميل قلبه ويستجيب لطلبه، ونجد علقمة قد ابتعد في مدحه للحارث الغساني عن النفاق والتذلّل، فمدحه كان صدى لما يتجاوب في نفسه من أحاسيس، بل ويعبر تعبيراً صادقاً عن أخلاق الفارس عند علقمة الذي يشيد بعدوه الذي يثبت كفاءة وشجاعة في ميدان الوغى[٢].

والاعتراف بشجاعة الخصم في الشعر قد عُرف منذ وقت مبكر ذكره البطليوسي فقال: «للعرب قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حرّ اللقاء وفيما وصفوه من أحوالهم في إمحاض الحقّ»[٣].

وقد تحدث علقمة عن فروسية الحارث، فهو النموذج والمثال في الشجاعة والإقدام وبذل النفس، فهو يقدم فرسه في اللقاء، قال[٤]:

---

(١) المفضليات، ص ٣٩٣.

(٢) عبد الرزاق حسين، علقمة الفحل - حياته وشعره، ص ٩٦.

(٣) البغدادي، خزانة الأدب ٣/ ٥٢٠ - ٥٢١.

(٤) المفضليات، ص ٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تُقَدِّمُهُ حَتَّى تَغِيبَ حُجُولهُ		وأنتَ لِبَيْضِ الدَّارِعِينَ ضَرُوبُ

وهو يشارك جيشه في القتال ويخوض معهم غمرات الحروب، ومستعد للتضحية بنفسه إذا لزم الأمر، قال[1]:

[تَجُود بِنفسٍ لا يُجادُ بمثلها		وأنتَ بها عندَ اللقاء تطيبُ]

وأشاد بالجيش الذي قاتل معه والذي ضمّ عدداً من القبائل العربية من غسان، وكأنه يلمّح من وراء ذلك إلى اتساع رقعة سيطرته وحكمه، قال[2]:

قاتَلَ مِن غَسَّانَ أهْلُ حِفَاظِهَا		وهِنْبٌ وقَاسٌ جَالَدَت وشَبِيبُ
كأنَّ رجالَ الأوْسِ تَحْتَ لَبَانِهِ		وما جَمَعَتْ جَلٌّ مَعاً وعَتِيبُ

وأشاد بعدة الجيش وسلاحهم الذي كان عاملاً في نصرتهم[3]:

تَخَشْخَشُ أبدَانُ الحديدِ عليهمُ		كما خَشْخَشَتْ يُبْسَ الحِصَادِ جَنُوبُ

ويأخذ بعد ذلك في وصف شدة المعركة وقساوتها وما كان فيها من رهبة ورعب وجلبة وأهوال على الفريق المنهزم، وهو بذلك يمارس مرةً أخرى سلوك الفرسان الذين يعترفون بهزيمتهم، ويكبرون شجاعة الخصم. فقد شبههم بطيور نفرت من السحاب المتفجر بالصواعق والمتهاطل بالمطر فما أصيب منها قُتِل وما أفلت يحاول النجاء، قال[4]:

كأنهم صَابَتْ عليهمْ سحابَةٌ		صَوَاعِقُها لِطيْرِهِنَّ دبيبُ
فلَم تَنْجُ إلاَّ شِطْبَةٌ بِلِجامِهَا		وإلاَّ طِمِرٌّ كالقَنَاةِ نَجِيبُ

---

(١) المفضليات/ ٧٦، ص ٢٩٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن شدة هول المعركة لم ينجُ منها إلاّ الخيل القويّة التي لاذت بالفرار، والفارس الكمي الشجاع الذي خاطر بنفسهُ حفاظاً على شرفه، فلم ينهزم، بل آثر أن تنال منه السيوف، فتضرج جسده ووجهه بالدماء، وبذلك لم ينسَ الشاعر أن ينصف الأبطال من أعداء الحارث، قال[١]:

وإلاَّ كَمِـــيٌّ ذُو حِفـــاظٍ كـأنَّـــه بما ابتَلَّ منْ حَدِّ الظبَاتِ خَضِيبُ

وإن كان علقمة فارس اعترف بقوة وشجاعة خصمه فإنه يحاول أن يستثير هذه النزعة في نفس الحارث، ليتوصل من خلالها إلى غايته الأساسية وهي إطلاق سراح الأسرى وعلى رأسهم أخيه شأس الفارس، فبما أن الحارث فارس فإنه يترفق ويحسن معاملة الأسير الفارس مثله، ممن شيم الفرسان تقدير فرسان خصومهم وإكرامهم قال[٢]:

وما مِثلُهُ في الناسِ إلاّ أسيـرُهُ مساوٍ، ولا دَانٍ لِـذَاكَ قَرِيبُ

فأنت - كما يقول علقمة مخاطباً الحارث - كريم قد عمّ خيرك الجميع، فلا بد أن ينال شأساً حظاً من كرمك وخيرك، قال[٣]:

وفي كُلِّ حيٍّ قد خَبطْتَ بنـــعمةٍ فَحُقَّ لِشَـأس من نَـدَاكَ ذَنُوبُ

---

(١) المفضليات، ص ٣٩٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقفة مع الشاعر المثقّب العبدي في قصيدته النونية

مطلع القصيدة:

أفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِي ... ومَنْعُكِ ما سَأَلْتُ كأنْ تَبينِي

الحركة في هذه القصيدة حركة سياسية، تمثلت بالسّفارة التي قام بها المثقب العبدي ممثلاً لقومه إلى ملك المناذرة في الحيرة عمرو بن هند، حين كانت العلاقة بين هذين الطرفين بعيدة عن الصفاء، وخيّره فيها بين الصداقة الحقّة أو العداوة الصريحة حيث قال[١]:

فإمَّا أنْ تَكونَ أخِي بحَقٍّ ... فأعْرِفَ مِنْكَ غَثِّي أوْ سمِينِي
وإلاَّ فاطَّرِحْنِي واتَّخِذْنِي ... عَدُوًّا أتَّقِيكَ وتَتَّقِينِي

وقد تآزرت جميع عناصر القصيدة في إيصال هذه الرّسالة الحادة للملك المناذرة.

بدأ المثقب العبدي قصيدته بمخاطبة صاحبته فاطمة قائلاً[٢]:

أفَاطِمُ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِي ... ومَنْعُكِ ما سَأَلْتُ كأنْ تَبينِي
فَلاَ تَعِدِي مَوَاعِدَ كاذِباتٍ ... تَمُرُّ بِها رِياحُ الصَّيْفِ دُونِي

لقد بدأ الشاعر بتوجيه خطاب حاد وقاسي لصاحبته الراحلة يطلب منها فيه أن تمتعه قبل أن ترحل عنه، فإن امتنعت عن تلبية طلبه فإنه يهددها بالقطيعة بينه وبينها، وبإنهاء عهد المحبة والودّ، ويبدو أن هذه الحبيبة التي يخاطبها الشاعر تتلاعب في عواطفه لدرجة يصعب معها تحديد موقفها منه، تمنّيه بالوصل، لكنها لا تصله حقيقةً. فيبدو أنها اعتادت الكذب عليه واعتادت

---

(١) المفضليات ٧٦/٢٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إخلاف المواعيد، لذا يطلب منها الشاعر أن تصدق في موعدها هذا معه، وألاّ يكون هذا الوعد كمواعيدها السابقة الكاذبة التي شبهها برياح الصيف المجدبة التي مهما اشتدت لا تبشر بخير، ولا تحمل مطراً.

ويواصل الشاعر تهديده لها إن هي استمرّت على هذا الأسلوب المتذبذب الضبابي الذي لا يبين ما خلفه محبة أم عداوة، فإنه سوف يقابل القطيعة بالمثل، لأنه يعامل الناس كأنداد ويقابل السيئة بمثلها، قال[١]:

فَإِنِّي لو تُخَالِفُنِي شِمالي ... خِلافَكِ ما وَصَلْتُ بِها يَمِيني
إِذًا لَقَطَعْتُها ولَقُلْتُ بِيني ... كذلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِيني

إنّ هذه الحدّة والقسوة في الخطاب لا يمكن أن تصدر عن عاشق محبّ، فالعاشق لا يقسو على حبيبته مثل هذه القسوة، حتى وإن لم يجد منها القبول والودّ والمحبة. إن هذه الحبيبة ما هي إلاّ غطاء ورمز قصد به ملك المناذرة الذي رحل إليه، يخيّره بين الصداقة الحقّة والعداوة الصريحة، فهي في تذبذب موقفها من الشاعر وعدم الوضوح في علاقتها أشبه بموقف ملك المناذرة من قومه.

وقد أعاد الشاعر تصوير موقف ملك المناذرة من قبيلته من خلال لوحة الظعائن التي أوردها في القصيدة حيث قال[٢]:

لِمَنْ ظُعُنٌ تُطالِعُ مِنْ ضُبَيْبٍ ... فما خَرَجَتْ من الوادي لِحِينِ
مَرَرْنَ على شَرَافِ فَذَاتِ رَجْلٍ ... ونَكَّبْنَ الذَّرَانِحَ باليَمِينِ
وهُنَ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلْجًا ... كأَنَّ حُمُولَهُن على سَفِينِ
يُشَبَّهْنَ السَّفِينَ وهُنَّ بُخْتٌ ... عُرَاضَاتُ الأباهِرِ والشُّؤُونِ

---

(١) المفضليات، ص ٢٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدأ الشاعر حديثه عن الظعائن بالتساؤل عن أصحاب هذه الظعائن، فالشاعر ينكر معرفته الأكيدة والتامة لأصحاب هذه الظعائن، وقد جعل هذه الظعائن، تطلع من مكان ضبب ولفظة (ضبب) توحي لنا بمشهد الضباب وما يصاحبه من التباس وعدم وضوح في الرؤيا، فالظعائن إذن، وما يحيط بها من التباس وغموض صورة عن صديقه عمرو بن هند وصاحبته فاطمة.

صوّر الشاعر حركة ومسيرة موكب الظعائن، ورصد الأماكن التي مرّ بها موكب الظعائن. وقد شبهها في مسيرتها وحركتها بالسّفن في سيرها في عرض البحر، وصورة السفن في عرض البحر توحي بالقلق والإحساس بالخطر الذي كان يكتنف قلب الشاعر على مصير هذه الحركة ونتيجتها.

وكأن الشاعر قصد أن يصور من خلال مسيرة الظعائن سيرورة العلاقات ما بين قومه وبين ملك المناذرة عمرو بن هند من الماضي وحتى هذا الموقف. أما الأماكن التي جعل الظعائن تمرّ بها، فقد قصد منها الذكريات والمواقف وأيام الصفاء والمودة التي كانت بينهما سابقاً.

وقد عبّر الشاعر عن قلقه حول نهاية هذه العلاقة وما ستؤول إليه من خلال صورة السفن التي أوردها للظعائن.

صوّر الشاعر جمال النساء الظاعنات، لكنهن يجمعن مع هذا الجمال الظلم والقتل، ورغم ذلك فهنّ محبوبات، قال(١):

وهُنَّ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلْجاً   كأنَّ حُمُولَهُن علي سَفِينِ

إن صورة نساء الظعائن صورة أخرى لملك المناذرة عمرو بن هند الذي يظلم قومه ويقسو عليهم، ولكن لا غنى لهم عن ودّه.

(١) المفضليات، ص ٢٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الوصف الذي قدمه المثقِّب للنساء الظاعنات فهو يوحي بالغموض والحيرة والقلق الذي يشعر به الناظر إليهن، فمرةً يَظهرن ومرةً يحتجبن، يرفعن الستر مرة، ويسدلنه مرّةً أخرى، يبدين بعض محاسنهن ويخفين بعضها، مما يترك الناظر إليهن في حيرةٍ من أمره، فلا يستطيع أن يكوّن نظرة أو فكرة واضحة عنهن.

إنّ صورة هذه النساء مطابقة لصورة صاحبته فاطمة التي لا تصله ولا تصده عنها، وهي صورة أخرى لعمرو بن هند، فهو لا يظهر لهم الودّ الخالص ولا يصرّح لهم بالعداوة. وأمّا الغموض الذي يشعر فيه الناظر إلى الظعائن هو ذاته الذي يكتنف عقل صاحبنا فيجعله في قلق وحيرة واضطراب، فلا يستطيع أن يستكشف أمره، ولا أن يكوّن رأياً ثابتاً حول حقيقته. لهذا نجد شاعرنا يقف من نساء الظعائن الموقف ذاته الذي وقفه من عمرو بن هند ومن صاحبته فاطمة، فقد التفت إلى إحدى الظاعنات مخاطباً[١]:

فَقُلْتُ لِبَعْضِهِنَّ، وشُدَّ رَحْلِي ... لِهَاجِرَةٍ نَصَبْتُ لَهَا جَبِينِي
لَعَلَّكِ إنْ صَرَمْتِ الحَبْلَ مِنِّي ... كَذَاكِ أكُونُ مُصْحِبَتِي قَرُونِي

فهو سيقاطع من يقاطعه، ويهجر من هجره، وها هو قد أخذ يعدّ العدة للرحيل مغلناً المقاطعة الفعليّة التي هدد بها صاحبته فاطمة في مقدمة القصيدة إن هي استمرّت على موقفها الغامض المضطرب منه.

ووسيلة الشاعر للقيام بهذه الحركة الناقة، وقد جاء حديث الناقة متناغماً مع الموضوع الرئيس في القصيدة، فقد كانت ناقة الشاعر تشكو الهجر والسفر، فهي لا تريده، بالرغم من قدرتها عليه، وهي القوية الضخمة السريعة، إنّ الناقة تعبر عن إحساسات الشاعر ومشاعره فقد أسقط هذه المشاعر على ناقته، فشاعرنا قد ضاق بهذا الهجر، وملّه فلم يعد قادراً على التصبّر وتحمل المواقف المتذبذبة. لهذا فهو يطلب منه – على لسان ناقته

(١) المفضليات، ص ٢٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتي هي رمز للشاعر – أن يراعي حق الصداقة ويقصر عن باطله ويحفظ حق صحبتهما، قال(١):

إِذَا مـا قُمْـتُ أَرْحِلُها بِلَيْلٍ   تَـأَوَّهُ آهـةَ الرَّجُلِ الْحزِينِ
تقُـولُ إِذَا دَرَأْتُ لها وَضِينِي   أَهـذا دِينُـهُ أَبَـداً ودِينِـي
أَكُـلَّ الدَّهرِ حِلٌّ وارْتِحـالٌ   أَمَـا يُبْقِـي عَلـيَّ ومـا يَقِينِي
فأَبْقَـى باطِلي والجِـدُّ مِنْها   كـدُكَّانِ الدَّرَابِنـةِ المَطِيـنِ

بعد ذلك صرّح الشاعر بحركته الأساسية في القصيدة وهي الرحلة إلى ملك المناذرة عمرو بن هند صاحب النجدة والحِلم الرصين، ويجهر له بموقفه ويخيّره كما خيّر فاطمة والظعينة بين الصداقة الحقة أو العداوة، دون تورية أو مواربة..

ولهذا ظهر شاعرنا مهموماً، حزيناً، ضاق ذرعاً بالمواقف الغامضة الضبابيّة التي لا يستطيع أن يميّز خيرها من شرّها وهو يترك للأقدار أن تفعل به ما تشاء، كما قال(٢):

ومـا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْـتُ أَمْـرًا   أُرِيـدُ الخَيْـرَ أَيُّهُـما يَلِينِـي
أَأَلْخَيْـرُ الَّـذِي أَنـا أَبْتَغِيهِ   أَم الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي

فالقصيدة كما نرى، تتنوّع الحركة فيها وتتعدد أغراضها ظاهرياً إلاّ أنها تدور حول محور واحد، هو الصداقة الحقة أو العداوة ويسيطر عليها إحساس الغضب والألم والضجر للضّبابية المحيطة به، فغزل الشاعر عتاب، وناقته تشكو الظلم وعتابه للملك يعبّر عن نفس مثقلة بالهموم، نفس ساخطة متمردة ترفض (المنزلة بين المنزلتين(٣)) تطلب الوضوح والتحديد والثبات في المواقف.

---

(١) المفضليات، ص ٢٩١، ٢٩٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٢.
(٣) سعيد الأيوبي، عناصر الوحدة والربط، ص ٤٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــة

حاولت هذه الدراسة أن تتبيّن الحركة في الشعر الجاهلي منطلقةً من وجود ارتباط وثيق بين الشعر الجاهلي وتركيبة المجتمع التي خلّفها النظام الاقتصادي السائد آنذاك. ولعل أبرز ما خلصت إليه الدراسة يتضح فيما يلي:

* بيّنت الدراسة أن الحركة هي المحور الذي قامت عليه حياة الإنسان الجاهلي، وهذه الحركة وليدة نظامه الاقتصادي الرعوي الذي فرض عليه الحركة الدائمة تتبعاً لمساقط الأمطار ومنابت الكلأ التي تعتمد عليها حياته وحياة ماشيته. وهذه الحركة تسربت إلى مناحي حياته كافة وأثرت بالتالي في شعره.

* بينت الدراسة أن النمط الرعوي كان النمط الانتاجي السائد والغالب والأقوى. وهذا لا ينفي وجود أنماط اقتصادية أخرى عرفها العرب. لكن هذه الأنماط لم تكن قوية ومتطورة وواسعة بصورة تؤثر في تركيبة المجتمع، كما أثر النظام الرعوي.

* بيّنت الدراسة أن الحركة التي فرضت على الإنسان الجاهلي بسبب نظامه الاقتصادي الرعوي تفرعت إلى أنواع عدة أهمها:

١ - الحركة وراء الكلأ والماء، ٢ - الحركة القتالية، ٣ - حركة تأمين السلاح، ٤ - الحركة وراء الثأر، ٥ - الحركة السياسية، ٦ - حركة وراء السلم، ٧ - الحركة نحو الحرية والخلاص من الرّق، ٨ - حركة الزمن، ٩ - حركة وراء اللهو والمتعة واللذة.

وقد تناولت الدراسة كل فرع من هذه الفروع بشيء من التفصيل موضحة أثر الظروف البيئية والمناخية والاقتصادية في نشوء هذا النوع من الحركة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الحركة وراء الكلأ والماء: كانت عماد حياة الإنسان الجاهلي فعليها تتوقف حياته فقد كان مضطراً - بسبب ظروفه البيئية والطبيعية - أن يبقى في حركة مستمرة وراء الكلأ والماء، فما أن يخصب المكان حتى يجف فيضطر الإنسان الجاهلي إلى الانتقال إلى مكان آخر أكثر خصباً وأوفر ماءً. وهكذا وقد وصف الشعراء حياتهم الموزعة بين الحل والترحال وما يتخلل هذه العملية من معاناة وألم يصيب القبيلة ككل.

* وقد وضّحت الدراسة أثر الجفاف والطبيعة القاسية في التصادم المستمر بين القبائل حيث أوجدت نمطاً اقتصادياً يعتمد على الكلأ الذي كان منذ البدء قليلاً مما جعل الجاهليين يتسابقون ويَتنافسون في الوصول إليه. فكانت القبائل تحاول أن تحمي حماها ومراعيها بقوة السلاح أو تضطر إلى توسيع هذا الحمى بالاغارة على حمى غيرهم. فالغارة حركة قتالية كان تضطر إليها القبيلة عندما تجدب ديارها وتشتد عليها الأزمات كوسيلة للخروج من أزمتهم من خلال ما تحصل عليه من غنائم، تنهبها من وراء الغارة تقضي بها على جوع أبنائها.

* وبيّنت الدراسة أن أكثر حروب العرب وأيامهم كانت على الماء أو على حيازة الكلأ، مما يؤكد دور العامل الاقتصادي في التصادم بين الجاهليين والصراعات بين القبائل، فلم تكن هذه الغارات والحروب ضرباً من اللصوصية أو رغبة في سفك الدماء، إنما كانت ضرورة حياتية ملحّة فرضتها عليهم ظروفهم الاقتصادية.

* وبيّنت الدراسة أن الحركة لتأمين السلاح كانت نابغة من حرص الإنسان الجاهلي على اقتناء السلاح، نظراً لأهمية السلاح ودوره الكبير في المحافظة على وجوده وبقائه في ذلك المجتمع المتصارع على موارد العيش الشحيحة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* بيّنت الدراسة أن الحركة للأخذ بالثأر كانت وليدة الحياة التي عاشها العربي والقائمة على الحركة المستمرة وراء مواطن الكلأ والماء، وما أدى إليه من صراع حول حيازة الكلأ والماء. كل ذلك كان يتطلب من الفرد العيش ضمن جماعة تؤازره وتسانده وتساعده في الحصول على موارد رزقه وتحمي هذه الموارد وتمنع غيره من الاعتداء عليه. وهذه الجماعة هي القبيلة. والقبيلة بنفس الوقت كانت بحاجة لهذا الفرد للدفاع عنها وحماية حقوقها ومساندتها في الغارة على غيرها ولهذا فهي مضطرة لحمايته حياً والمطالبة بدمه ميتاً. فالعصبية القبلية هي المسؤولة عن عادة الثأر لدى الإنسان الجاهلي.

* وظهرت في الشعر الجاهلي حركة وراء الحريّة والخلاص من الرّق ونلمس هذا النوع من الحركة لدى الرقيق. فالتفاوت الطبقي الموجود في المجتمع الجاهلي كوّن لديهم إحساساً بالنقص. وهذا الإحساس بالنقص والظلم كان دافعاً لبعضهم للتمرد والخروج على رسوم القبيلة ونظمها، فكوّن هؤلاء طائفة الصعاليك التي اتخذت من الغارة على قبائلهم وغيرها من القبائل وسيلة للتنفيس عن غضبهم وحقدهم على التفاوت الطبقي في مجتمعهم.

وهذا الإحساس كان دافعاً للبعض الآخر للتسامي في السلوك والتصرفات بإظهار ضروب الشجاعة والفروسية.

* صوّرت الدراسة النشاط السياسي الذي نهضت بأعبائه الشعراء. فقد كان الشاعر صحيفة قبيلته السائدة يفتخر بأمجادها ويهجو أعداءها، ويصوّر علاقاتها السياسية مع غيرها من القبائل والدول المجاورة وما يتخلل هذه العلاقات من أحلاف وعهود، وصلح ومواثيق.

* صوّرت الدراسة نظرة الإنسان الجاهلي السلبية لحركة الزمن، فحركة الزمن بنظر الإنسان الجاهلي كانت تؤدي إلى الفناء والدمار والموت في كل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما حوله فهي السبب في إقفار الديار وجدبها مما يضطر القبيلة إلى الرحيل والحركة وما يلحق ذلك من ألم ومعاناة، وهي تؤدي إلى الموت والشيخوخة ورحيل الأهل والأحبة لذلك كان الجاهلي يشعر بالخوف والقلق من المستقبل ويتشاءم منه. ويحن إلى الماضي، ويرسم له صوراً مشرفة قياساً إلى حاضره ومستقبله الذي يكتنفه القلق والخوف.

* ظهر في الشعر الجاهلي حركة وراء اللهو والمتعة. وهذه الحركة نبعت من اتجاهين: اتجاه يصدر عن ترف وفراغ لا يقتله إلاّ اللهو وهذا النوع ظهر لدى علية القوم وسادتهم.

واتجاه آخر يصدر عن فلسفة عميقة بالحياة ترى الموت يتربص بالحياة. ونرى الزوال والفناء يكتنفان كل شيء، وان الحياة قصيرة، فلا بد من اغتنامها بالملذات، التي تشغل الإنسان عن التفكير بالموت وانتظاره. وهذه الحركة جاءت في ثلاثة أنواع:

١ - حركة وراء المرأة، ٢ - حركة وراء الخمر، ٣ - حركة من أجل الصيد.

* بيّن الفصل الثاني والذي كان عبارة عن دراسة تطبيقية أن الشعر الجاهلي يزخر بالحركة فكل ما جاء فيه كان متحركةً، فالحركة انعكست في صور الشاعر وتشبيهاته وألفاظه، فلم يكن الشاعر الجاهلي يرى الأشياء إلاّ متحركة.

* قدمت الدراسة تحليل لمجموعة من القصائد مظهرة الحركة فيها بأنواعها المختلفة.

* قدمت الدراسة تحليل متكامل لقصيدتين إحداهما لعلقمة الفحل والأخرى للمثقب العبدي، أبرزت فيهما الحركة ودور الحركة في إجلاء الجوانب الجمالية في القصيدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثَبتُ المصادر والمراجع

المصادر المطبوعة:

* القرآن الكريم:

- الأخفش الأصغر، أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل، كتاب الاختيارين، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد، المكتبة العلمية، ١٩٥٩م.
- البحتري، أبو عبيد الوليد بن عبيد الطائي (ت ٢٨٤هـ)، حماسة البحتري، ضبطه وعلّق عليه كمال مصطفى، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٩٢٩م.
- البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار الكاتب العربي، (١٩٦٧ - ١٩٦٨م).
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان الحماسة، تعليق محمد عبد المنعم الخفاجي، القاهرة، ١٩٥٥، طبعة دار العلم، بيروت، ج ١ و ج ٢.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح أحمد العوامري وعلي الجارم، مطبعة دار الكتب، ١٩٤٠م، ج ١.
- الجاحظ، الحيوان (الحلبي)، ط ٢، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٢ و ج ٤.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة، حققه وعلّق عليه محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٤م، ج ١.
- أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، شرحه وقدم له علي الفاعوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٦م.
- ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف بمصر، ط ١، ج ١، ١٩٦١م.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، لجنة التأليف والترجمة، ج ١.
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، القاهرة، ١٣١٣هـ.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، أيام العرب، تحقيق عادل جاسم، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ)، شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط ١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩١م.
- المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط ٣، ط ٦.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج ١، القاهرة.

المـــراجـــع:

- ابتسام مرهون الصفار، مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٨م.
- أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط ٣، ١٩٥٦م.
- أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣م.
- أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، ١٩٦٢م.
- أسامة بن جندل، الديوان، تحقيق فخر الدين قباوة، ط ٢، دار الكتب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- الأعشى، الديوان، شرح د. محمد محمّد حسين، ط ٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

- الأفوه الأودي، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.

- امرؤ القيس، الديوان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م.

- الدكتور أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ط ١، دار عمان، عمان، ودار الجليل، بيروت، ١٩٨٧م.

- أوس بن حجر، الديوان، تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

- اوليري دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى علي الغول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط ١، ١٩٩٠م.

- بشر بن أبي خازم، الديوان، تحقيق د. عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤م.

- ثعلب، أبو العباس، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.

- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات مجمع اللغة العربية العراقي، ١٩٥٢ - ١٩٥٩م، ج ٥.

- حاتم الطائي، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت، دار صادر، ١٩٥٣م.

- حسان بن ثابت، الديوان، شرحه عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٦م.

- حسين الحاج حسن، حضارة العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

- الدكتور حسين عطوان، بيئات الشعر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

- الخطيب التبريزي، يحيى بن علي (٤٢١ - ٥٠٢هـ)، شرح القصائد العشر،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٦٧هـ.

- الخنساء، الديوان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.

- دريد بن الصمة، الديوان، تحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة، ١٩٨٥م.

- الربيع بن ضبيع - حياته وشعره.

- ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية (الصورة الشعرية لدى امرىء القيس)، دار الآداب، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

- الزوزني، القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

- سعيد الأيوبي، عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٦م.

- سعيد الحفناوي، أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٣م.

- سلامة بن جندل، الديوان، ط ٢، صنعه محمد بن الحسن الأحول، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- السليك بن السلكة، الديوان، قدم له وشرحه سعيد الضناوي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٨٤م.

- الشنفرى، لامية العرب، شرحها وحققهامحمد بديع شريف، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م.

- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط ١١.

- صالح درادكة، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار شيرين للنشر، عمان، ١٩٨٨م.

- طرفة بن العبد، الديوان، تحقيق درية ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.

- طفيل الغنوي، الديوان، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط ١، دار الكتاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجديد، ١٩٦٨م.

- عامر بن الطفيل، الديوان، شرح الأنباري، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣م.

- الدكتور عبد الحميد المعيني (محقق) شعر بني تميم في العصر الجاهلي، نادي القصيم الأدبي، أبها، ١٩٨٢م.

- عبد الرازق حسين، علقمة الفحل - حياته وشعره، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة فرقد الخاني، الرياض، ط ١، ١٩٨٦م.

- عبيد بن الأبرص، الديوان، تحقيق وشرح حسين نصار، ط ١، ١٩٧٧م.

- عروة بن الورد، الديوان، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين الملّوحي وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

- علي الجندي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ط ٣، ١٩٦٦م.

- علي العتوم، قضايا الشعر الجاهلي، مكتبة الرسالة الجديثة، ط ١.

- عمرو بن القميئة، الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١م.

- عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الديوان، جمعه وحققه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٤م.

- عنترة، الديوان، تحقيق سيف الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨١م، وطبعة دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م.

- فوزي محمد أمين، شعر بشر بن أبي خازم، رؤية تاريخية وفنيّة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

- قيس بن زهير، شعره، تحقيق عادل جاسم البياتي، مطبعة الآداب في النجف الشرقي، ١٩٧٢م.

- لبيد بن ربيعة، الديوان، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- لقيط بن يعمر الأيادي، الديوان، رواية أبي المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية، ١٩٧٠م.
- الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط ٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧م.
- المثقّب العبدي، الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١م.
- مصعب حسون الراوي، الشعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، ١٩٨٩م.
- مفيد قميحة، شرح المعلقات العشر، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- النابغة الجعدي، شعره، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٩٦٤م.
- النابغة الذبياني، الديوان، دار صادر، بيروت، شرح وتعليق كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٠م.
- هاشم ياغي، معاناة ومعايير من جمال في طائفة من القصائد الجاهلية والمخضرمة، ط ١، دار الفجر، ١٩٩٠م.
- الهذليون، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة، ج ١، ١٩٦٥م.
- الهمدانيون، شعر همدان وأخبارها، جمع وتحقيق حسن أبو ياسين، طبع دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣م.
- وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
- يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسائل الجامعية:

- أيمن الأحمد، الرّق في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٨م.
- أيمن الأحمد، مجاز القرآن وسنن العرب في كلامها، رسالة دكتوراة، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.
- عبد العزيز طشطوش، حركة الزمان في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٨٩م.
- غدير الشمايلة، الثأر في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، كلية الاداب، ١٩٩٦م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Motion and its Pathways in the Pre-Islamic Poetry

Khitam Mohammad Hasan Tantawi

Supervised by

Dr. Hashem Yaghi

This study tries to follow up the impact ofthe motion and its pathways on the Pre-Islamic Poetry. That motion was a direct outcome of the dominant economic system in the darkness era, which based on the correlation between the surrounding climate and the earth, i.e the grass.

This study depends on a scientific and releastic method which treats the human activities including literature as a reflection of the socio-economic basis.

The study shows the different impacts of motion on the Pre-Islamic Poetry. It detects the different types and branches of motions and their influence on the infrastructure of the poem. The applied analysis of definite examples was of great help. Many objects of special concern of the pre-islamic poem have been considered as the woman, the ruins, the continuous travelling including the poet's travelling, war, spirits and others.

The study consists of three chapters preceded by a prelude. The prelude clarifies the concept of motion and the role of economic, geographical and environmental factors. This concept is an essential line in this study.

The first chapter stresses on the motion impacts on the pre-islamic human life and different types of motion. It considers also the effects of these types on the poetry.

The second chapter presents an applied study where the different types of motion in certain pre-islamic poems were induced. The selected poems represent the brilliant face of that era.

٤٩٤٧١٢

The third chapter is inclusively dedicated to analyse two well known poets at that time: AL-Muthakab Al Abdi, in his famous "Nounia" and, Al Gama, Al Fahel in his famous "Baeia".

These two poems are comprehensively analysed, considering the factors of motion and their effect on the artistic elements.

The study includes the final results which have been achieved.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit